





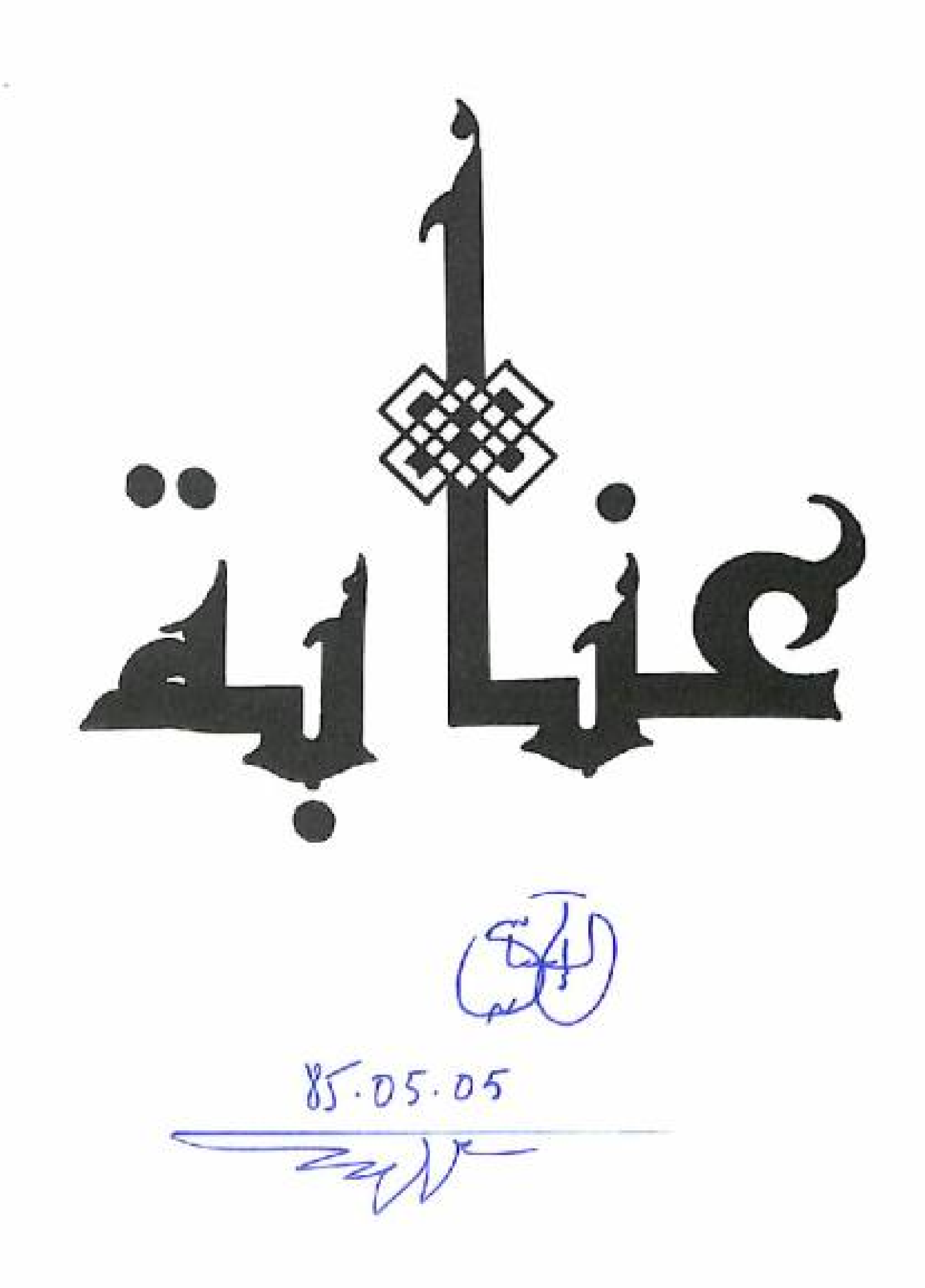
فن وثقافة

وزارة الإعلام - الجزائر

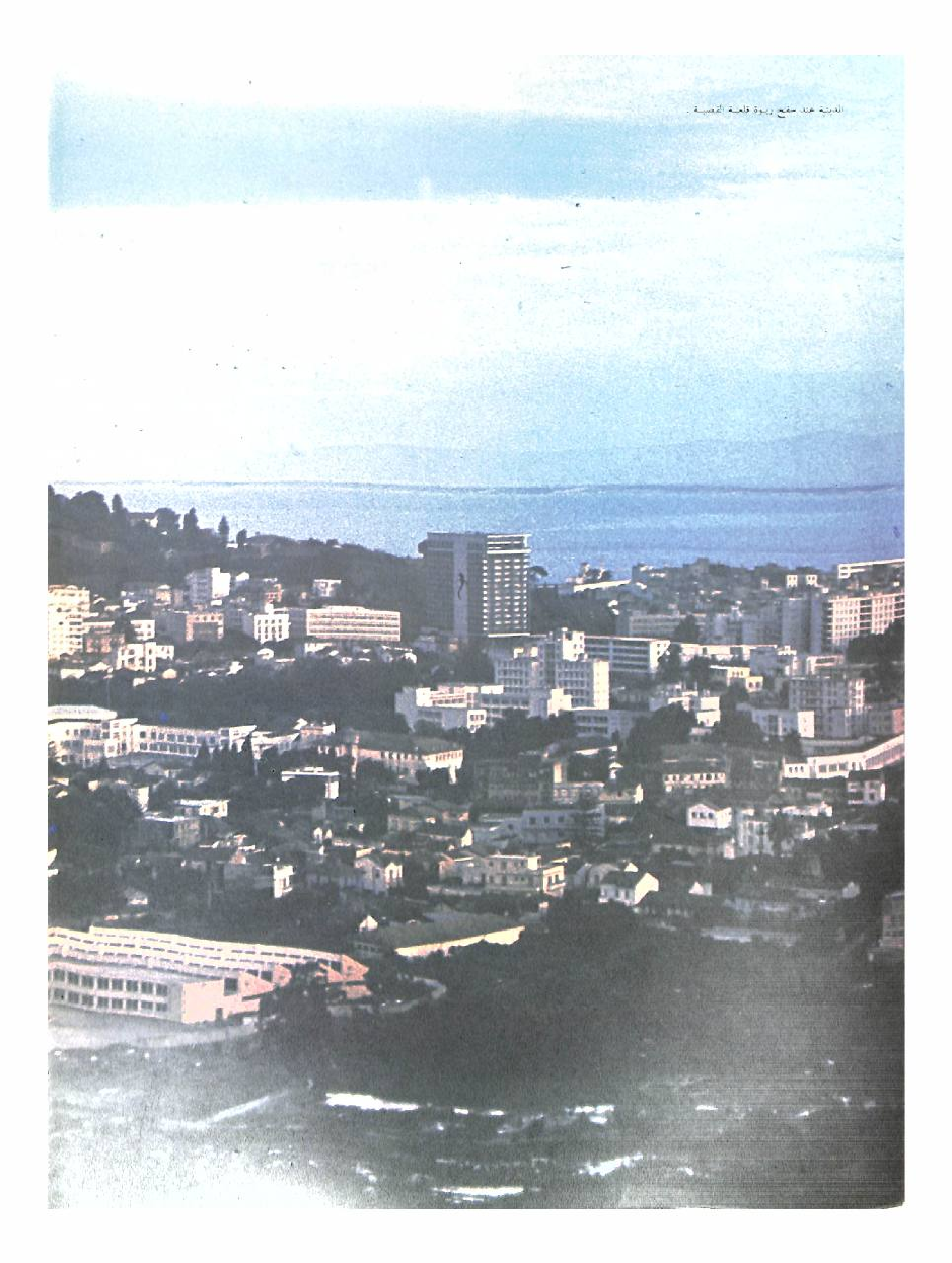

عنابة



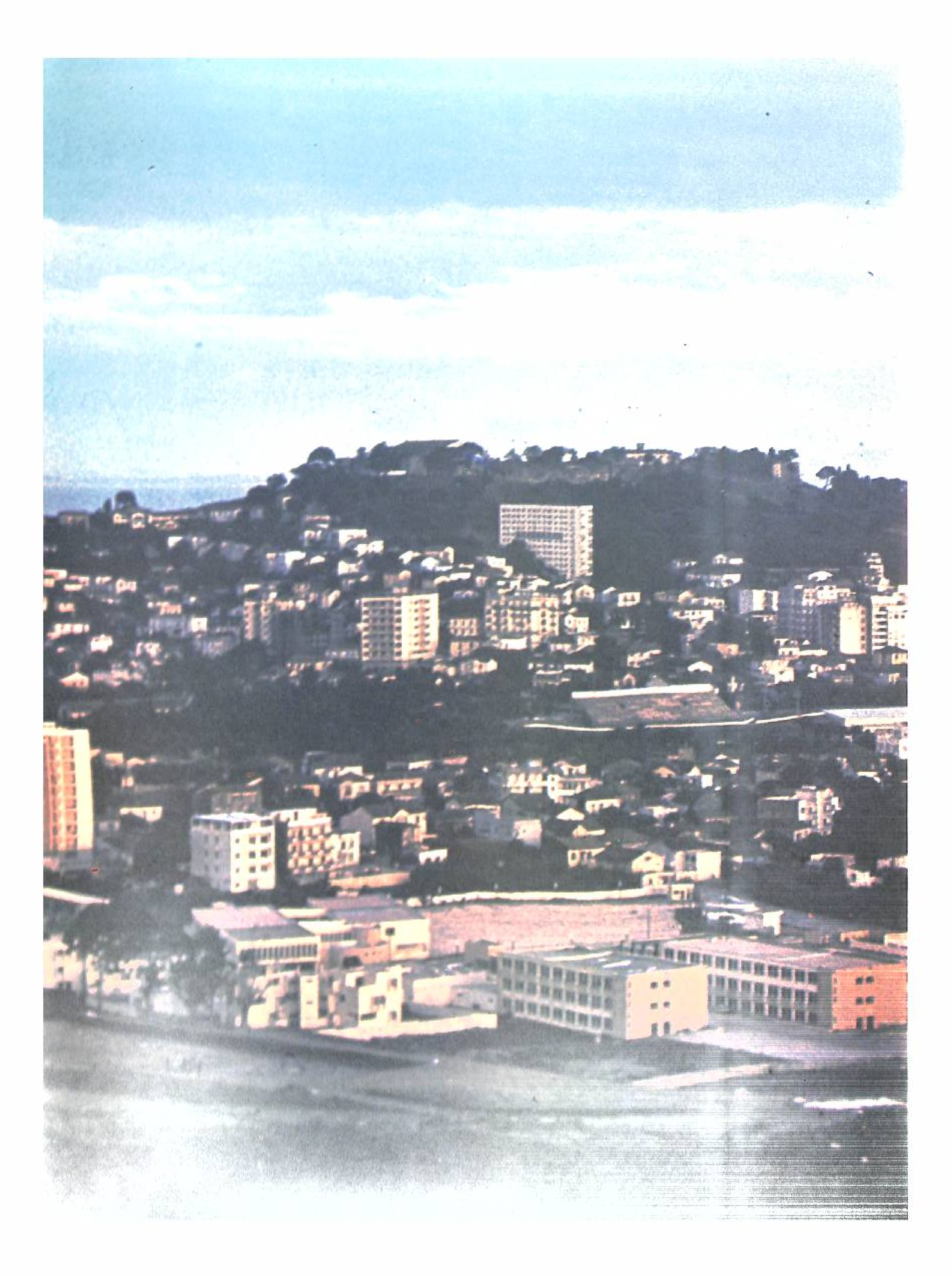
سعيد دحماني



فن وثقافة
وزارة الإعلام - الجزائر



المدينة عند سفح ربوة قلعة القصبة .

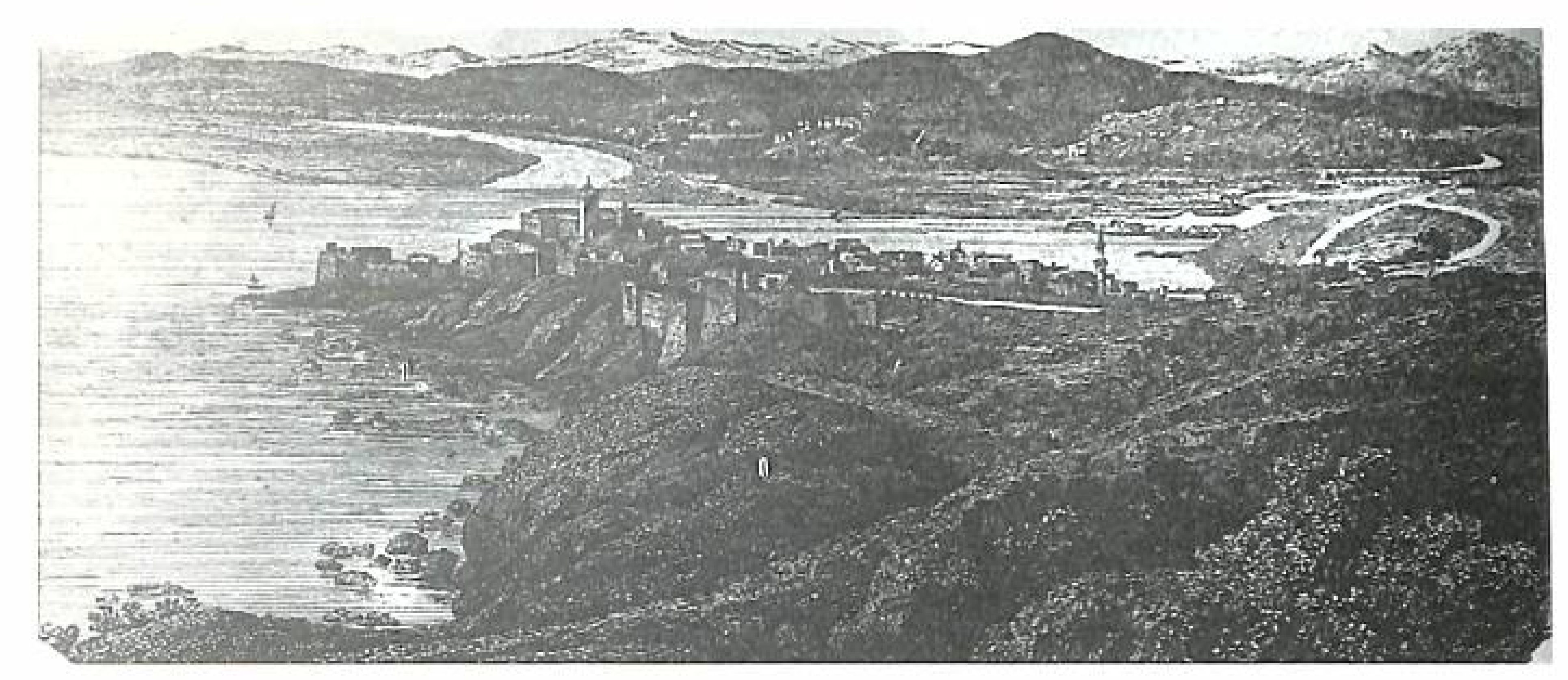


مقـــدّمة

هبون ، بونة ، عنابة ، اسماء لنفس المدينة ، ولكنها ترادف قرونا من التاريخ والثقافات والحضارات . هي عمل وتعبير انسانية واحدة ومختلفة .

وتتجلى الوحدة في الموقع و في شخصية تاريخ المدينة .

ويظهر الاختلاف معبرا في انفتاح المدينة واتجاهها المتوسطي . وفي استعدادها العجيب لاستيعاب المؤثيات الخارجية المادية منها والروحية . وتراكمت الوحدة والاختلاف عبر عصور طويلة من ما قبل التاريخ الى ايامنا الحالية . واذا كانت عنابة اليوم شعار الصلب بالجزائر ، فهي أيضا احدى العواصم القديمة للممالك النوميدية ، ومدينة القديس اغستين ، ومدينة ابي مروان البوني ، وهي أيضا ثغر متوسطي في علاقاتها مع أوروبا وثغر بري مفتوح على المشرق الاسلامي .



عنابة والمصب القديم لوادي سيبوس حوالي 1840



جبل بوزيزي بقمته ثلج



السهل الغربي وتلال بوحمرة .

الإطـــار الجغـــرافي

مدينة عنابة ـ التي قبل شواطئها مياه الخليج المسمى بها ـ تتكئي غربا على منحدرات جبل الادوغ ، وتنفتح شرقا وجنوبا وغربا على سهول عنابة . واضافة الى هذا ، يستقبل الخليج بغرب المدينة وادي سيبوس (وطوله 200 كم) ثاني وديان الجزائر.

سهول عنابة

السهل الصغير:

يمتد بين سفح الادوغ وتلال بوحمرة ، وهذا السهل امتداد لسهل الخرازة .

السهل الكبير :

يسقيه واديان كبيران يجريان من الجنوب الى الشمال ، وادي سيبوس ووادي بونموسة . وهذا السهل الذي بنته رواسب الانهار والموجود جنوب وشرق المدينة ، قد انتهى توطيده جنوبا على جانبي وادي سيبوس . أما شرقا فتنصب مياه وادي بونموسة وغيرها في مصب مشترك يدعى المفرق حيث خلقت قرعة تدعى المقدة والمراقدة تحتلها خاصة في الفترات الممطرة سطوح مياه لا تجد جريانا منظما . وسيمكن مشروع احياء وادي بونموسة الضخم ، المنطلق من سد الشافية ، والجاري العمل به الآن ، سيمكن تجفيف وتهيئة هذا الجانب من السهل .

الخليج :

هنا يوجد الجرف القاري الممتد على 23,5 كم عند مصب المفرق وتهيىء صخرته قاعدة متينة حيث تستقر ديدان المرجان . وهذه المنطقة غنية بالقنبري الذي اشتهر به الخليج .

الادوغ :

يرتفع الادوغ الى 1008 م بجبل بوزيزي ويرمي ضله على المدينة والبحر الابيض المتوسط .

وتضاف الى الجبال الاساسية شرقا ربوة بوقنطاس وربوة البلاليطة التي تليها روابي بوحمرة ، ومنحدرات عنابة ورأس الحمراء الذي يقدم بفضل إقامة الطريق طنفا جميلا يشرف على الجون على امتداد عشرة كلم .

وتكون المنحدرات النازلة من الادوغ ، مجموعة من المدرجات المنضدة من ممر ابن آوى الى منارة رأس الحمراء والى مختلف الجونات التي تكون شواطيء لطيفة ومراسي صغيرة مثل «البرج الجنوي» والشاطيء اللازوردي ، وشاطيء ريزي عمر (جون صائدي المرجان) وجون الخروبة وجون مطلع الفجر...

ونشير ان روابي بوحمرة تنتهي شمالا الى تلين : تل غرف الاطعان (34 م) وتل القديس اوغستين (55 م) امتدت بينهما مدينة بونة العتيقة .

العصور الجيولوجية الكبرى

كان موقع المدينة لا يزال مغمورا تحت بحر العصر الجيولوجي الثاني (بين 225 مليون سنة ق . م و70 مليون سنة ق . م) ونقص عمق هذا البحر أوائل العصر الجيولوجي الثالث (اثناء الايوسين) ، ويستمر تقهقر البحر بانتظام اثناء الاوليوغوسين (حوالي 35 مليون سنة ق . م) وينتهي بروز البر الكامل عند أواخر العصر الجيولوجي الثالث من (7 الى 6 ملايين سنة ق . م) ولم تبق الا سطوح ماء كونت بحيرات حقيقية منها بحيرة فزارة او بحيرات منطقة القالة .

وتشرع في نفس الوقت ، تحركات الارض والطيات التي تشيد التضاريس أثناء العهد الجيولوجي الثالث ، بين الميوسين (25 مليون سنة ق . م) والبليوسين (7 الى 6 ملايين سنة ق . م) ويبدو ان خليج عنابة الناتج عن انهيار في صخر الادوغ الصلب معاصر لهذه الفترة .

وهكذا تتقدم الخطوط العامة للتضاريس والساحل ابان العصر الجيولوجي الرابع في الهيئة التي هي عليها اليوم .



عصر ما قبل التاريخ

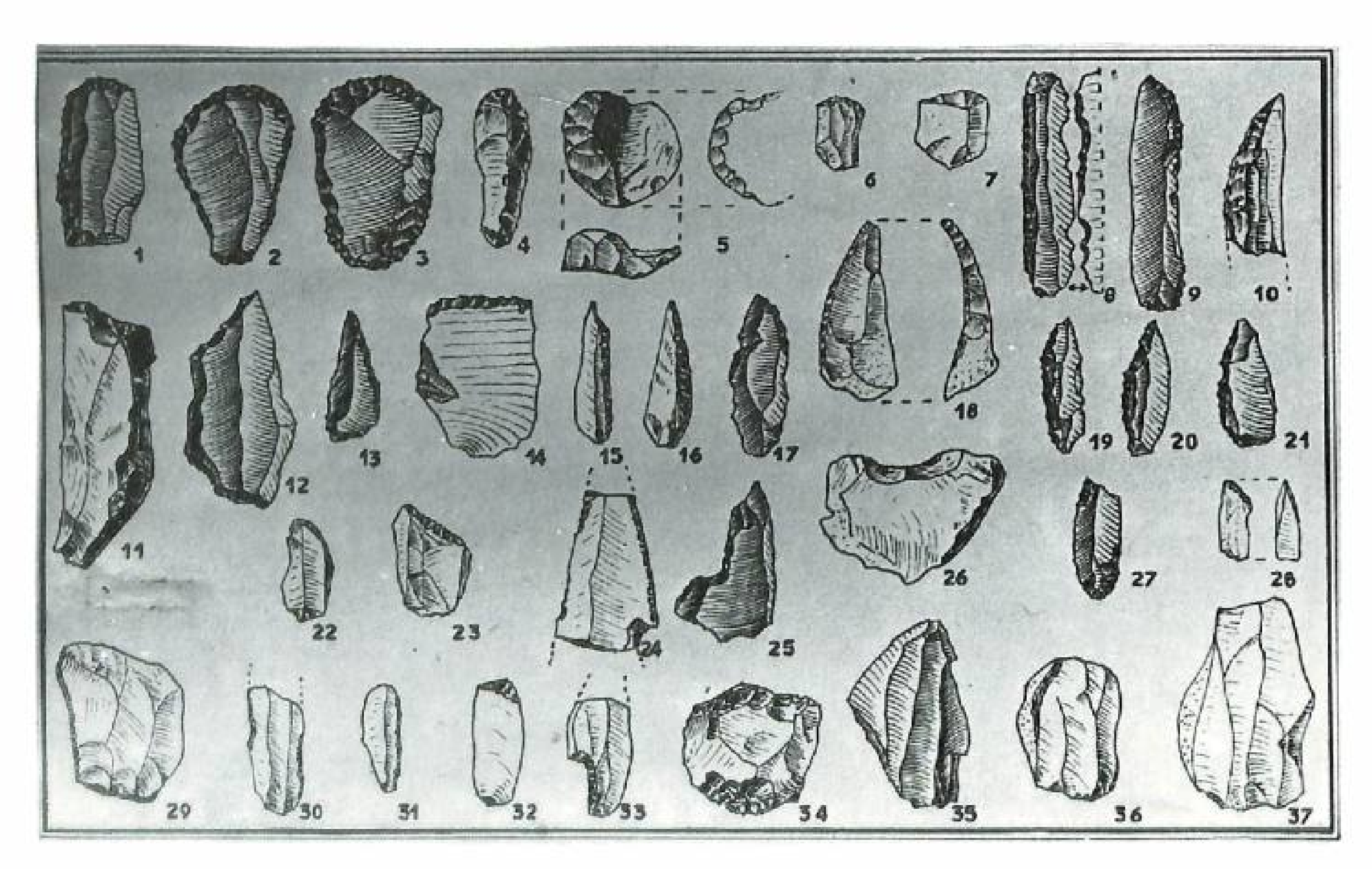
ظهر الانسان منذ عهود مبكرة جدا داخل موضع عنابة هذا الذي وصفنا خطوطه العريضة .

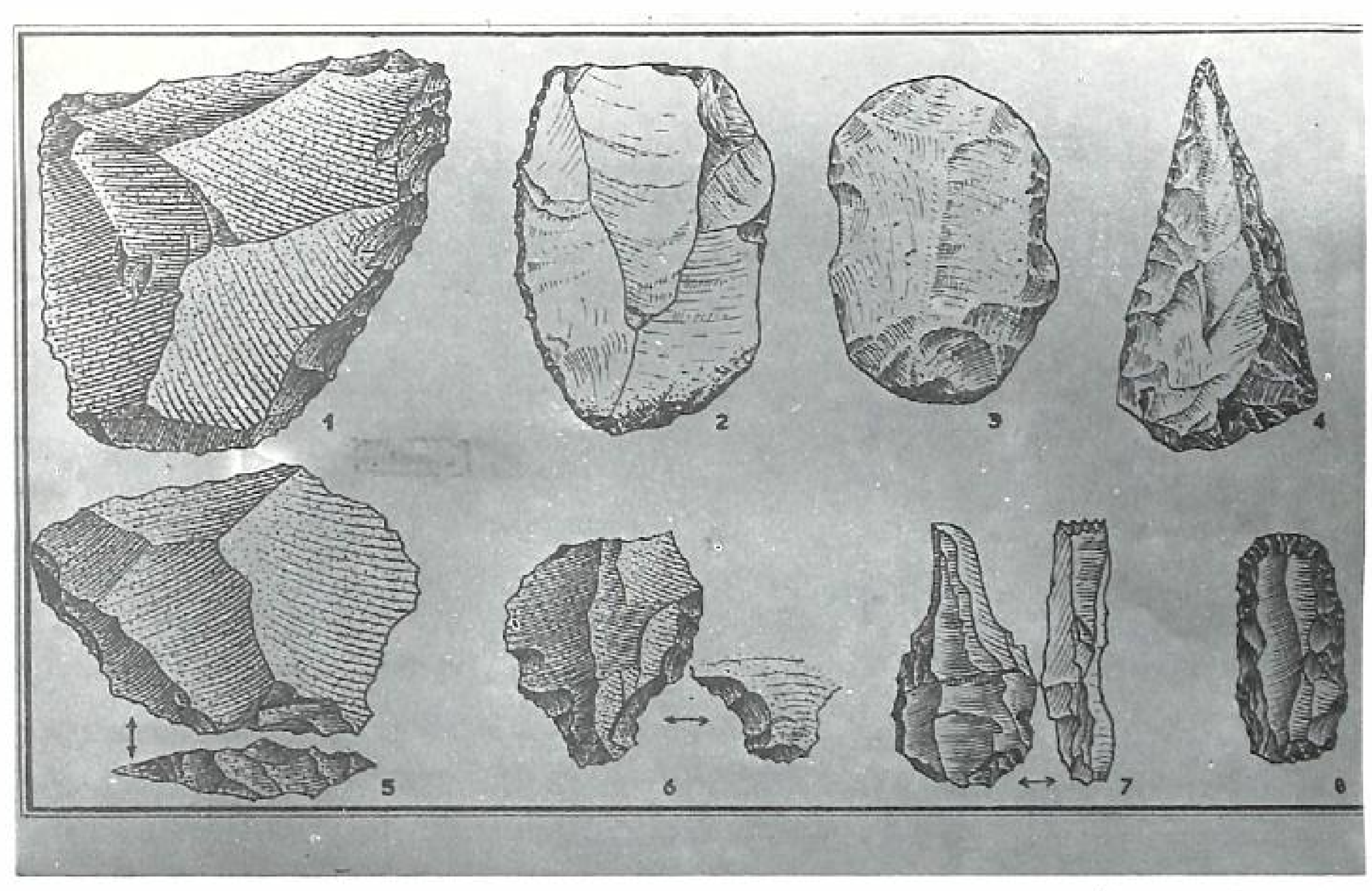
فأهم عصور ما قبل التاريخ ممثلة في كامل جبل ادوغ وفي ضاحية عنابة الغربية ، وفي منطقة بوحمرة ، وفي رأس الحمراء .

ومكنت البحوث المتأخرة التي شرع فيها ابتداء من الخمسينات من العثور على مشطرات من الصناعة الحجرية التي تمثل مراحل ما قبل التاريخ الكبرى .

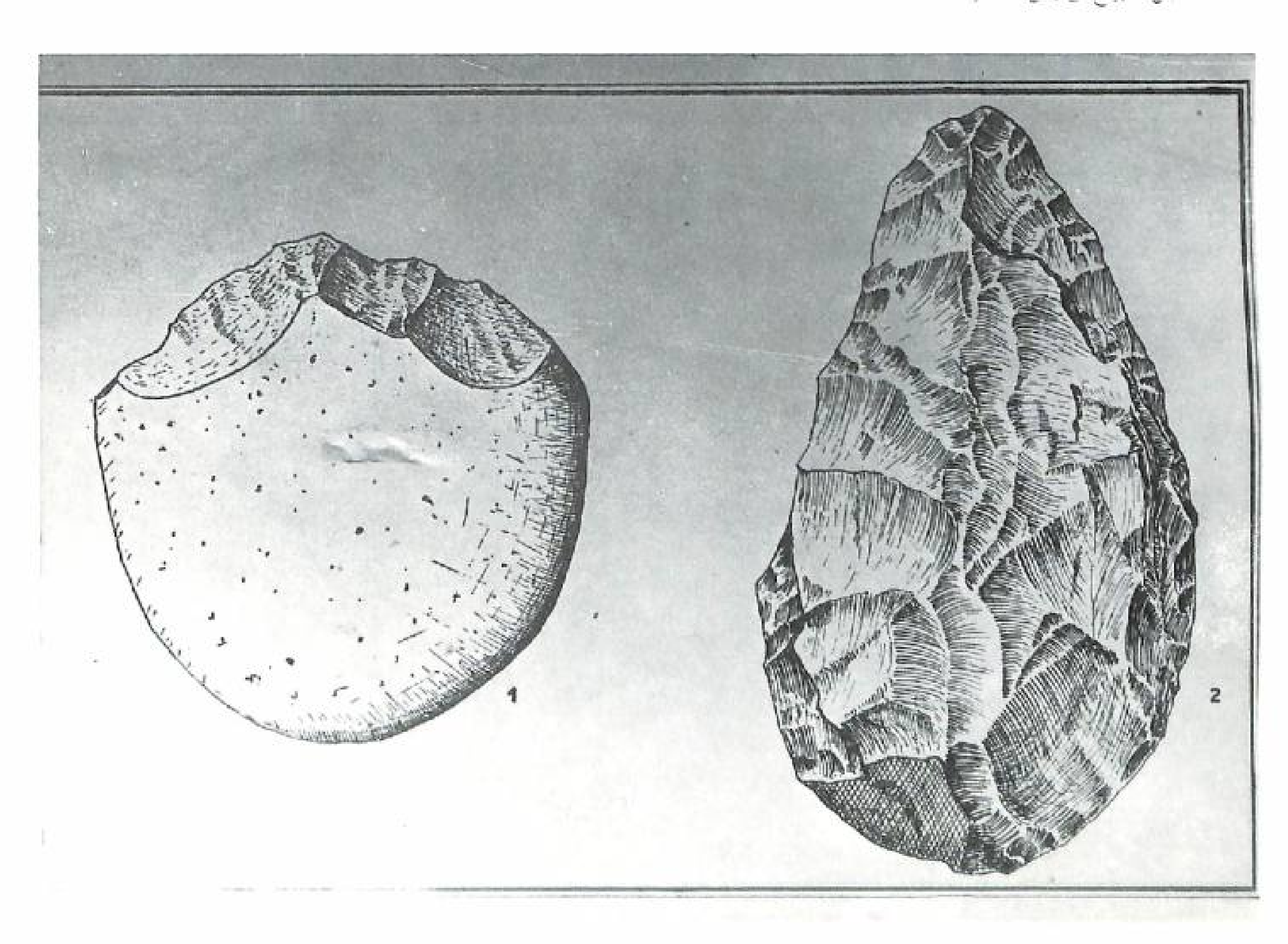
ومكن الادوغ قرباس وضفاف بحيرة فزارة من العثور على لقى مؤرخة من العصر الحجري القديم السفلي (200,000 سنة ق . م) في حين مكن رأس الحمراء من العثور على ماعون من العصر الحجري القديم المتوسط والعلوي (بين 50,000 و 4,000 سنة ق . م) .

اما روابي بوحمرة والادوغ فاستوعبت بقايا من مواد العصر الحجري الحديث ترجع اساسا الى الحضارة القفصية .



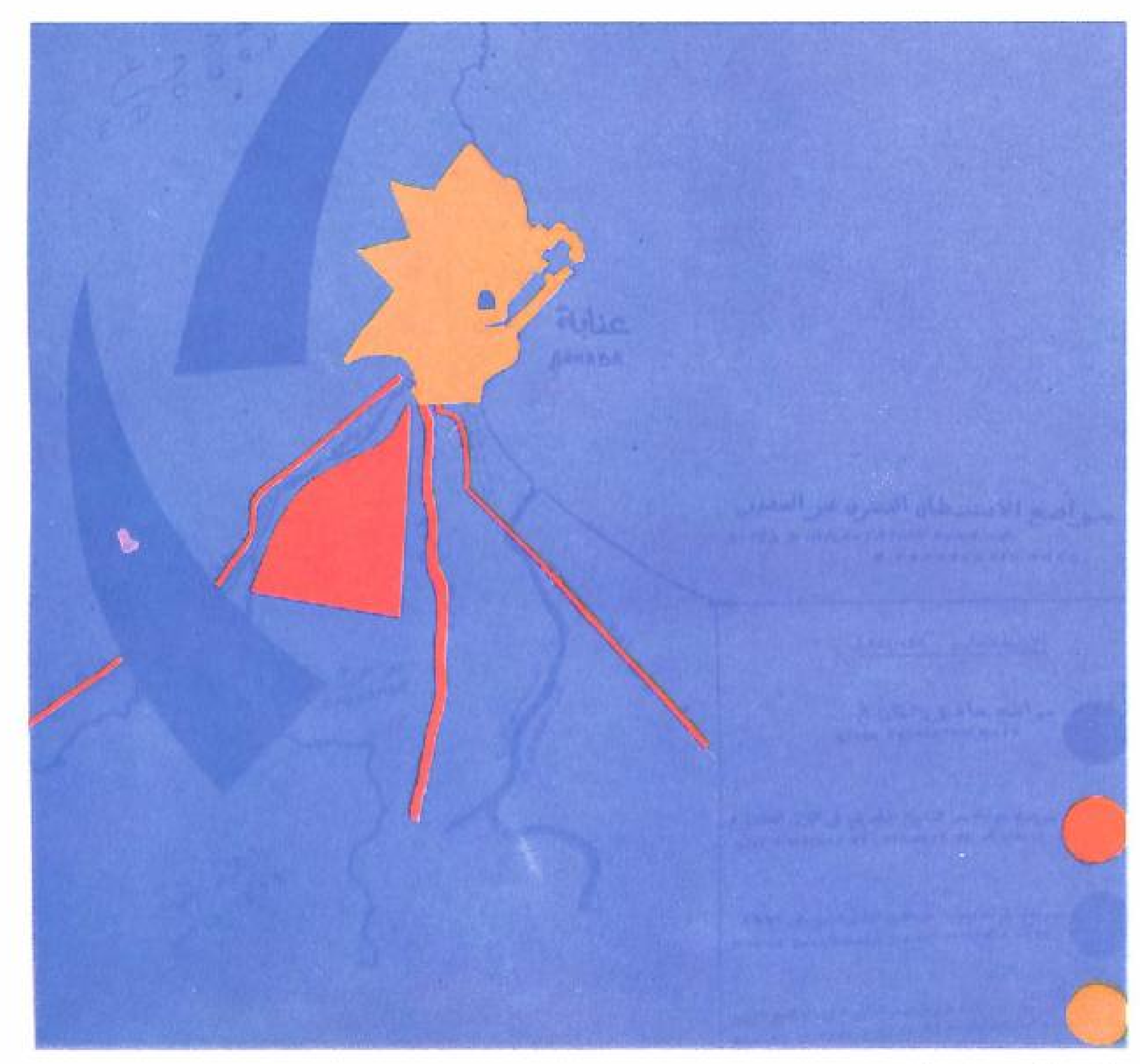


صناعة ما قبل التاريخ من رأس الحمراء



حجر منحوت من رأس الحمراء




عنابة

تنبىء ،هذه الشهادات عن ماض بعيد ، إن الانسان عمر هذه الجهة وتعاطي بها نشاطات . وعلى حدود العصر الحجري الحديث وبداية العصر التاريخي ساير هذا الانسان التطور الذي عرفته **نوميديا الشرقية** ، ما بين الالف الثالثة والالف الاولى ق . م .

وتبين البحوث الحديثة ان الحضارة النوميدية قد ولدت أثناء هذه الفترة وتبرز شخصية هذه الحضارة مثلا في أشكال القبور : الحوانيت والدكن التي بقي منها البعض الى بداية القرن الحالي في الجهة .

وعرفت نوميديا الشرقية التي كانت جهة عنابة جزءا منها ، نواميس دفنية كانت تجري فيها عادة ازالة اللحم عن جثث الموتى والقربان . ومثل هذه التفاصيل تجعلنا نعتقد أن الاتصلات مع الحضارات المتوسطية الوسطى والشرقية انطلقت من قديم قبل الاتصال مع الفنيقيين .

وأساس الحياة الاقتصادية يتمثل في الفلاحة التي بدأت في الظهور في أواخر عصور ما قبل التاريخ : فالوثائق مثل رسوم ملجأ العنز (على كيلومترين جنوب بوثلجة) تؤكد ذلك . أما المزروعات فتستوعب أنواعا عديدة يغلب عليها الخضر والاشجار المثمرة التي لا تزال ترسم طابعها على المنظر الفلاحي حتى يومنا هذا . وتمثل الطينيات المكتشفة في القبور ، أواني ذات استعمال يومي تشهد أن النوميديين كانوا يصنعون بين أواخر العصور الحجرية وبداية العصور التاريخية ، الكسرة والعصيدة والكسكسي ...

وكل هذه الاشياء تؤكد استقرارية البشر العمرانية في الشرق الجزائري وخاصة بجهة عنابة ، وحركتهم الاقتصادية المتجهة أساسا نحو الأرض وتربية الماشية .

العصر النوميدي

تشهد الالفية الاولى ق . م . التطور المطرد لشعوب المنطقة لما قبل التاريخ :

« فرغم تضاريس مشوشة (بنوميديا الشرقية) وغاباتها خاصة بالجزائر الشرقية ، فهي الباب المفتوح أمام الحضارات الشرقية واذا اثرت قرطاج بطابعها تأثيرا عميقا على المنطقة الشرقية القصوى من هذا المجموع ، فذلك لأنها وجدت فيه مجالا مهيئا » .

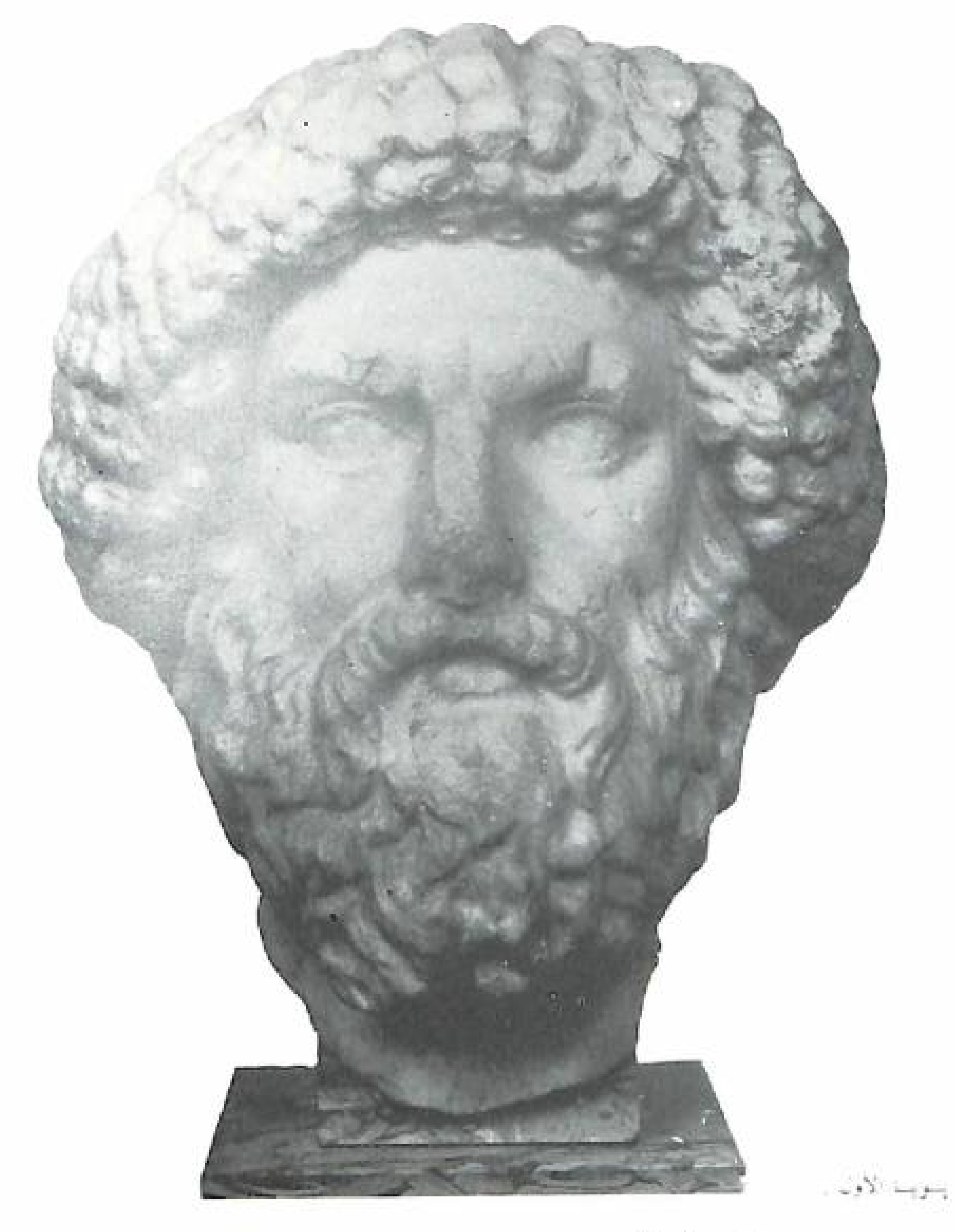
(ق . كامبس ، ماسنيسا ، ص . 134)

ويبدو ان رجال هذه الجهة عند التحول من عصور ما قبل التاريخ الى الازمنة التاريخية ـ قبل حلول الفينيقيين بكثير ـ اتصلوا بالثقافات الشرقية والغربية المتوسطية ، فالتشابه في بعض مظاهر القبور مع مظاهر أخرى من البحر الأبيض المتوسط عجيب .

فأثناء هذه الالفية ، حيث تتكثف الاتصالات البشرية عبر البحر الابيض المتوسط ، شرع بشر الفترة الانتقالية التاريخية في تكوين مجموعات ثقافية وسياسية . والمجموعة التي تنتمي إليها جهة عنابة هي المجموعة النوميدية الشرقية التي برزت فجأة في المصادر التاريخية ، عند انفجار الصراع القرطاجي الروماني من أجل الهيمنة على المغرب والبحر الأبيض المتوسط أثناء القرن الثالث ق . م . :

« فلا عجب ان كان النوميديون القاطنون هذه الجهات ، أول الشعوب التي دخلت التاريخ وأظهرت أكثر استعدادا في تنظيم نفسها داخل مملكات » .

(نفس المصدر ، ص.135)



يوبا الأول

أصول عنابة

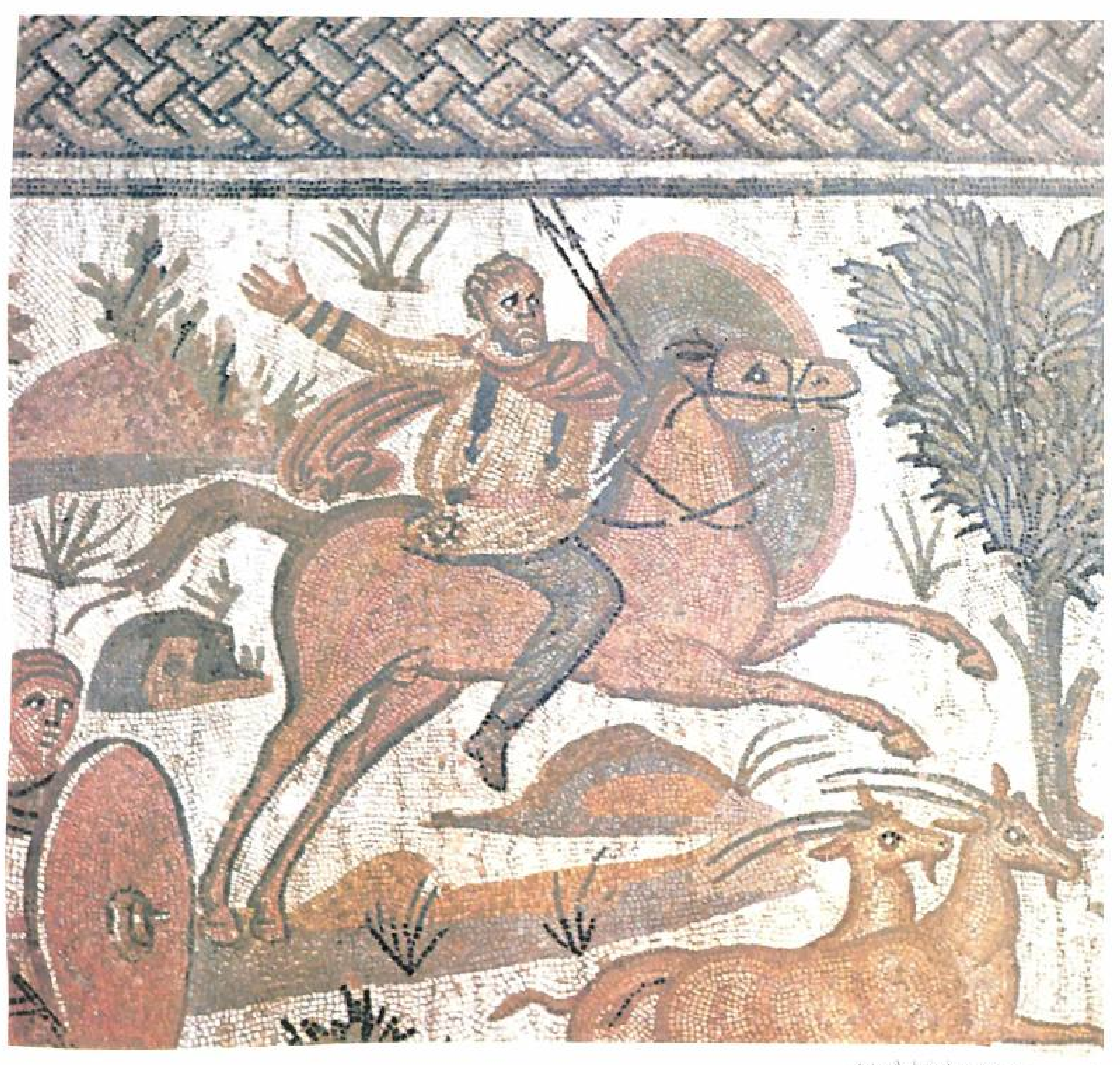
يقدم موضع عنابة جميع العناصر المساعدة على خلق تجمع اجتماعي اقتصادي شبيه ببلدة أو قرية يعززها مرفأ نظرا للعلاقات البحرية القديمة مع شعوب أخرى من البحر الابيض المتوسط . فينبسط الموضع بين سفح جبل قابل للعمران ومصب وادي سيبوس والخليج ؛ وينفتح الكل على السهول والجبال المشجرة المجاورة .

فالعمران البشري الذي لم يفتأ يتطور منذ ما قبل التاريخ ، لم ينتظر الايجيين الكريتيين ولا البونيقيين القدامى لخلق مركز تجمع .

واقصى ما يمكن اعتباره ، ان البونيقيين عند حلولهم ، وبالاتفاق مع السكان الأصيليين ، وضعوا مركزهم التجاري ، أما قرب المركز النوميدي أو بالمساكنة في نفس المركز النوميدي العتيق ؟ ويبدو ـ على أية حال ـ ان ظهور محطة فينيقية على موقع عنابة وقع حوالي القرن الثاني عشر ق . م . ولكن أهم مراحل تطور الموضع يستحسن اعتباره في اطار تطور نوميديا :

« فالبحوث الأثرية تكشف ، يوما بعد يوم ، ومن خلال المخلفات الرومانية والفنيقية ، عن مجتمع أصيل بسيط التنظيم غير أنه عارف بفنون الفلاحة والحياة القارة وحتى المدينة (...) ولم ينتظر الافارقة القدامى الهيمنة القرطاجنية أو الرومانية لتشييد المدن (...) كما لا يمكن فهم وجود المدن أو القرى عند النوميديين بدون فلاحة وحد ادنى من المبادلات » .

(نفس المصدر ، ص . 49)



فارس نوميدي (جزء من فسيفساء الصيد) .

وتسلط كشوف المصادر القديمة السابقة للقرن الثالث ق . م والبحوث الاثرية أضواء اقوى على المملكة الماصيلية التي تنتمي عنابة إليها ؛ وأول شيء مؤكد هو ان هذه الدولة النوميدية سابقة لماسنسة بكثير أي للقرن الثالث ق . م . ومن جهة أخرى فإن ماسنسة أساسا وأهم اعقابه : ابنه ميقبسة (148 ـ 118) وابن أخي هذا الأخير يوغرطة (118 ـ 105) وحفيده يوبة الاول (60 ـ 56) قد نظموا هذه الدولة ، وقد احتلت عنابة في عهودهم مكانة مرموقة اذ استعملوا عنابة **كمدينة ملكية** ، وبسطوا **بها سلطتهم** ومراقبتهم . وهذا ما أكسبها في العصور القديمة تسمية « **هيبورجيوس** » « **أي بونة الملكية** » . واكتسبت هذه الأهمية بفضل موقعها كمخرج بحري ولوجودها في قلب الاراضي الماصيلية ، على المحور الشمالي الجنوبي الذي يربطها بتيفستة (تبسة) وعلى المحور الشرقي الغربي حيث يمر طريق قرطة قرطاج عبر دقة .



شاهد نوبي ، مقام لرقطوط .

وجهويا فإن بونة الماصيلية ، كانت المخرج والموقع السياسي للعرشين النوميديين الماصيليين : عرش بونطة (ويقطن الساحل من الادوغ الى القالة) وعرش مسيصيرة (ويقطن بلاد سيبوس وبونموسة والوادي الكبير ووادي الشافية) .

واقتصاديا ، طُبع تشييد الدولة الماصيلية ـ خاصة أثناء قرن ماسنسة ـ بحركة مكثفة لعبتْ فيها بونة دورا مهما .

فبوجودها عند مخرج السهول والجبال ، كانت المدينة سوقا للمنتوجات الفلاحية والرعوية . وتأكد الازدهار الصناعي والتجاري بنمو مصانع الأواني الطينية والخزفية النوميدية التي ارتفع انتاجها . وتشهد كثرة وتنوع الدنون والخزف المستوردة عن حيوية التجارة وخاصة التجارة الخارجية . فقد أحتوت بونة بوصفها ميناء ، جزءا من البحرية التجارية والبحرية الحربية لماسنسة وخلفائه ؛ فمن هنا صدرت المنتوجات الفلاحية وخاصة القموح الى أقطار البحر الابيض المتوسط الغربي واليوناني .

فنتج عن هذا الازدهار الاقتصادي تمدين قوي . ومن الراجح جدا ان يكون جزء من جدار الواجهة البحرية ببونة معاصرا لهذه الفترة الماصيلية ، وكذلك بالنسبة لبعض اجزاء الفن المعماري المكتشفة تحت مبنى **الكوريا** : التاج الايوني الضخم وقطعة من سارية من نفس الطراز . ويرجح ان يعود تصميم المدينة الموروث في العصور اللاحقة الى الفترة الماصيلية .

وقد كان تنظيم بونة السياسي على غرار المدن الماصيلية . اذ نظمت المدينة تنظيما مستقلا عن الكنفدراليات القبلية رغم كون المدينة سوقا لهذه القبائل .

فالمعتقد أنه كان على رأس المدينة لجنة أو مجلس شعبي صاحب السيادة المحلية ، أما الادارة فتخضع لثلاثة موظفين سامين أحدهم الاقليد (أو الملك) معين لمدة سنة واحدة ورئيسان . وتعود المراقبة العامة لرئيس الدولة الماصيلية الذي كانت قبضته الادارية على المدن الملكية قوية .

أما دينيا فتتعبد بونة ، على غرار النوميديين للآلهة الماورية . وانتشرت التعبدات للقوات الطبيعية وسط الغيران أو حول ثغرة صخرة (أليس التعبد الحالي للاله بونة تركة بعيدة لهذه التعبدات) ؟

بيد أن النوميديين يغلب عليهم التعبد للاموات : فإعتناؤهم بالشواهد لدليل على ذلك . كما يجدر إضافة ذكر التقديس الملكي في شكل التعبد للملوك الماصيليين .

الإتصال بالعالم البونيقي

ويعتقد انه ابتداء من اتصالها بالعالم البونيقي أصبحت المدينة تسمى «**هبون**» . لأن أصل تسميتها لا يزال غامضا . فيعترض تفسير الكلمة وتحديده فيما يعترض الالتباس بينها وبين تسمية مدينة أخرى «**هبو ديارتوس**» (بنزرت) غير بعيدة عن هبون . فإذا تركنا جانبا مختلف التأويلات التي يغلب عليها أحيانا طابع الهزل ، يبقى ان الكلمة قريبة جدا من كلمة فينيقية «عبون» ومعناها الخليج والجون وقد تطور الى «هبو» و«هبون» . ولكن أصل كلمة «عبون» هو نفس أصل الكلمة العربية (اذن سامية الأصل) **عب وعباب** أي الماء المتدفق . وبما اننا أمام موقع على الشاطىء يستجيب لتعريف خليج وجون وماء متدفق فإنه من المحتمل ان الفينيقيين سموا بهذا الاسم الميناء أو القلعة التي انتصبوا بها بين القرنين الثاني عشر والسادس ق . م .

فلا يستبعد ان هذه التسمية كانت في الأصل من نوع «خليج كذا» ، ثم مع طول المدة سقطت الكلمة الثانية ولم يبق الا كلمة «هبون» الاسم الذي نجده في جميع النصوص منذ أن بدأ ذكر المدينة فيها .

وتندمج بونة في المجموعة القرطاجنية أو خضعت لهيمنة قرطاج حوالي القرن السادس ق . م . ويبدو أنها تتمتع في تلك الفترة ببعض الشهرة في العالم القرطاجني وربما هي التي تعرضت لغزو أو **ماكوس** قائد جيش **اغاتوكل** صاحب سركوزة .

أما التنظيم السياسي أثناء هذه الفترة فربما كانت له منظومة يقل اختلافها عن منظومة النوميديين . فتنظيرها بالتنظيم القرطاجني قد قلص عدد المسؤولين السامين أو الشافطين الى اثنين . ويبقى مجلس القدامى على حاله اذ كانت مؤسسة تبنتها قرطاج أيضا .

واجتماعيا يكون العنصر اللوبي – النوميدي ، النسيج الانساني الاساسي . بيد أنه من الراجح أن تكون الطبقة الحاكمة بونيقية .

وثقافيا فإن العادات والتقاليد والديانة واللغة البونيقية تطغى أكيدا على المدينة وناحيتها . بيد أنه يعتقد أن لهذا التأثير اتساع اضافي أثر في الحضارة المحلية ؛ أكثر منه حضارة بديلة فرضت على النوميديين اذ :

> **«... غلط غلطا فادحا هؤلاء الذين أرادوا الاعتماد في تفسير الحضارة بنوميديا الى التأثير البونيقي وجعل المدن البونيقية خالقة لكل شكل من الحضارة في بلاد البربر (...) والاعتماد في التفسير نفسه على ما أوتي به من جديد حتى الفنيات الأكثر بساطة أو الجمالية الأكثر ثانوية للبربر . الى حد التناسي ان الفينيقيين ليسوا أول بحارة الابيض المتوسط (...) وأنه انطلاقا من العصر الحجري الجديد قامت علاقات بين شمال افريقيا وشبه الجزر والجزر الاوروبية المجاورة .**

(كامبس . ماسنسة . ص 50)



شاهد نوفي غير مكتوب

إن حيوية وجدور الحضارة النوميدية العميقة ، رغم الارتواء من الحضارة البونيقية ، برزت عندما حلت ساعة الاستقلال ، حيث قطعت بونة وناحيتها علاقتها مع قرطاج ، للانضواء تحت حكم الملك سفاكس ثم المملكات الماصيلية .

وعلى أية حال ، وأثناء الفترة القرطاجنية لعبت بونة وميناؤها دورا هاما في التجارة المتوسطية . فمن بونة كانت تصدر محصولات الجهة الفلاحية . كما استمرت المدينة في انطلاقتها في انشطتها الصناعية والتجارية .

وتحملت بونة ابتداء من القرن الثالث ق . م ، عواقب الحروب البونيقية وعرفت نهب الجيوش الرومانية لها حوالي 205 قبل المسيح . ولكن بونة بعد الهزيمة القرطاجنية عقب معركة زامة (202 ق . م) استرجعت مكانتها كمركز هام مع صفتها مدينة ملكية .

ضم بونة الى العالم الروماني

وتأتي روما على الاستقلال النوميدي بعد انتفاضة يوغرطة وبعد هدم قرطاج . فدانت نوميديا أولا لنوع من نصف حماية ابتداء من 104 ق . م . ثم انساقت المملكة النوميدية في تيار الصراعات القائمة بين الاحزاب الرومانية أثناء الحرب الأهلية التي تواجه فيها قيصر وبومبيوس . وتحالف الملك يوبا الاول مع بومبيوس الذي أدت هزيمته سنة 46 ق.م الى هزيمة حلفائه الماصيليين وضياع استقلالهم . فكانت بونة ومنطقتها آخر مسرح لهذه المأساة وقد انتحر يوبا الاول حتى لا يسقط بين ايدي الجيوش القيصرية .

فضم الرومان إليهم مملكة يوبا الاول لتصبح افريقيا الجديدة ومركزها بونة . وكان أول والي سالوست المشؤوم الذكرى .

وتعم فترة جديدة من الاستقرار . فتستعيد المدينة نموها لا سيما ان وراءها ماضي طويل : ماضي حضاري وماضي من الازدهار . والواقع ان بونة لا تقوم الا بمتابعة انطلاقتها . فهي تقدم مظهرا خاصا بها : فلا هي المستعمرة العسكرية مثل تيمقاد أو لامبيز . ولم تعرف قدامى الجنود الرومانيين ولا الحامية العسكرية .

الادارة :

مدينة بونة جزء من افريقيا البروقنصلية ويدبرها بروقنصل مولى من قبل مجلس الشيوخ الروماني . ويقيم ببونة أحد نوابه الثلاثة .

كما كان سلك الموظفين السامين والاعيان الدينيين يتركب من قساوسة **أغشت** ، ومن قضاة سامين ومن موظفين من طبقة **الكوريال والديكريون** . ومن أجل هذه الادارة الجديدة ، اقام التخطيط المعماري مركزا سياسيا واداريا وهو الفوروم (الساحة العامة) وفروعها من مباني دينية وادارية .

وضع المدينة القانوني :

أصبحت بونة في عهد الامبراطور **اغشت** ، مدينة ذات كيان قانوني (مونيسيبوم) . ثم ارتقت الى صف مستعمرة (كولونيا) في عهد القياصرة الانطونينيين **فرسمت** في قائمة القبيلة **كويرينا** بروما .

فهل كان هذا الادماج نتيجة استيعاب سريع للحضارة الرومانية ؟ يبدو ان الامبراطورية الرومانية كانت في حاجة الى المدينة وإقليمها فارادت بالادماج استجلابها إليها .

هيئة المدينة العامة :

كانت بونة العتيقة تمسح 60 هكتار ، حسب تقويمات بعض المؤرخين وعلماء الآثار . وكان الحوز البلدي يمتد الى 32 كلم غربا و 50 كلم شرقا . واشتمل هذا الحوز البلدي ضيعات كبيرة عديده من الراجح أنها موروثة عن تنظيم ماسنسة الريفي ، فكان عمران الريف اذ ذاك أكثف مما هو عليه اليوم : وتوجد بقايا هذه الضياع وديارها المريحة في كامل الجهة وبجميع الأراضي الزراعية (انظر : « الاطلس الأثري » ورقة رقم . 90) .



مشهد صيد بحري (من فسيفساء بونة العتيقة) .

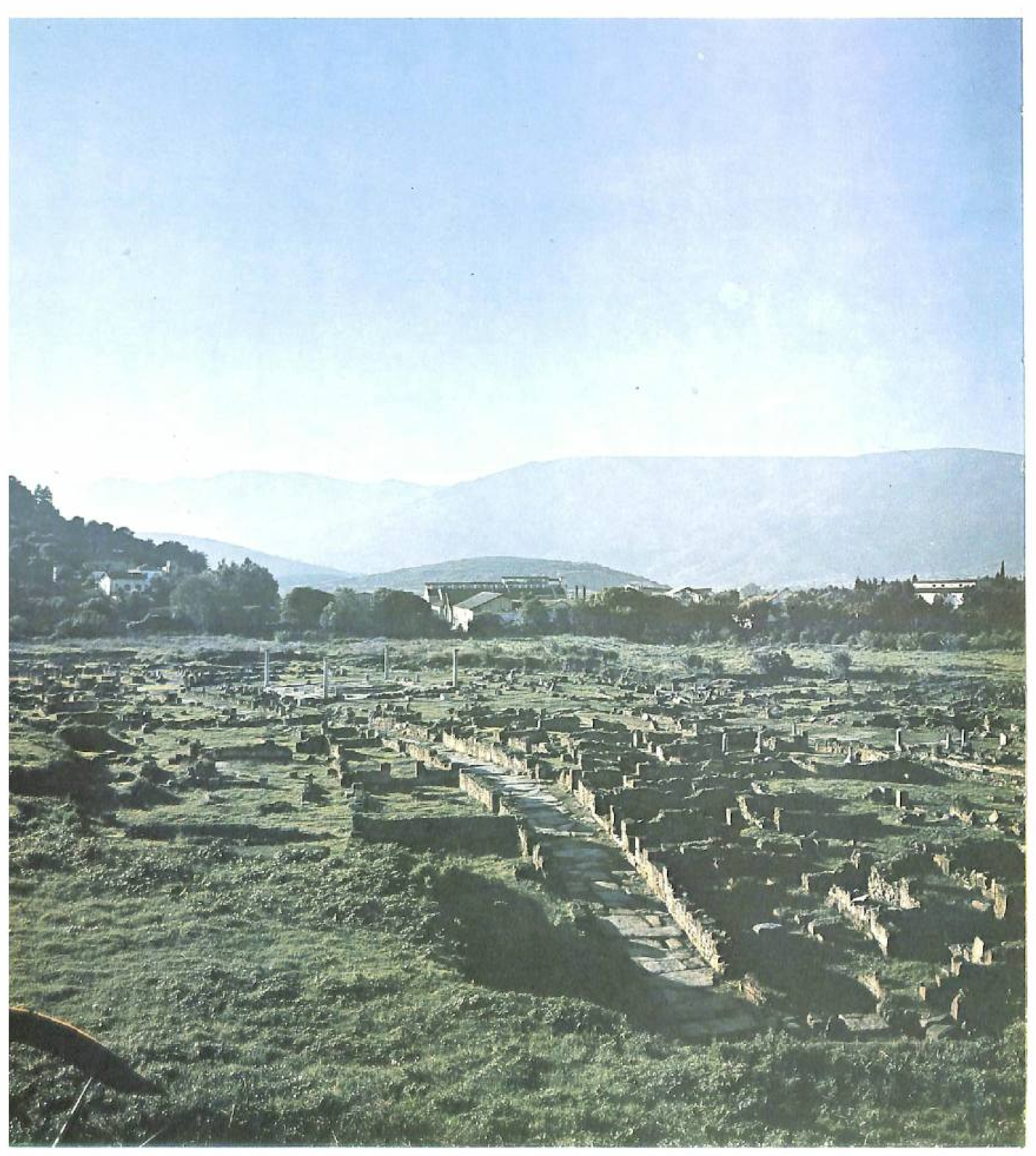
الاقتصاد وادارته :

كان أساسا اقتصاد زراعيا يكون امتداد للانطلاق الذي وقع أثناء الاحقاب الماضية فالارض خصبة تنتج مختلف الثمار منها (غابات الزيتون أساس لإنتاج الزيت ، وتنشر الاشجار المثمرة على الجبال المجاورة الليمون والتين واللوز والرمان والعناب ..) ولكن أساس الثروة الزراعية الكروم والقمح اللذان كانا يتدفقان بكميات وافرة على بونة قصد تصديرها : وكانت بونة المرسى الرئيسي للصادرات في الشرق الجزائري القديم .

ولم يكن القطاع الصناعي معدوما . فهناك النشاط المعدني الذي يستخرج المرمر النوميدي ذو الخطوط الحمراء من حَضائر رأس الحمراء والبرفير الأحمر والبرفير الأخضر من حَضائر رأس الحديد والرداء الأسود . ولا يستبعد ان الحديد كان يستخرج من الجهة ، وان الافران كانت تذيبه في الأحياء الجنوبية من المدينة . ويشمل القطاع الاقتصادي الانتاج . اذ زيادة على معاصر الزيت ، وجدت معامل الفخار والصباغة وكان الصيد البحري نشطا ذا شأن ، ولا تزال آثار معمل لتصبير السمك قائمة قرب البازليكة الكبيرة ضخم الحجم ، يشهد بان هذا النشاط كان له شأن .

وكانت التجارة الداخلية مزدهرة : وتتجلى ضخامة المبادلات التجارية داخل بونة في ما عثر عليه من بقايا السوق الكبير .

وتبرهن ادارة المدينة الاقتصادية على الازدهار الاقتصادي لبونة وإقليمها . اذ كانت بونة مقر مندوب امبراطوري مكلف بالاملاك العقارية الدولية المتوكل على شراء القمح لتموين روما . فكانت بونة أحد مستودعات الحبوب الامبراطورية .



المجتمع والمعتقدات :

يرجح أنه لم يتغير تركيب المجتمع ببونة بعد الاحتلال الروماني اذ ان القاعدة البشرية الاصلية نوميدية ، اختلطت الى حد قليل بالمشارقة (الفينيقيون وغيرهم) ، ولكن تغلغل بعض معالم الحضارة البونيقية مثل اللغة والدين كان قويا .

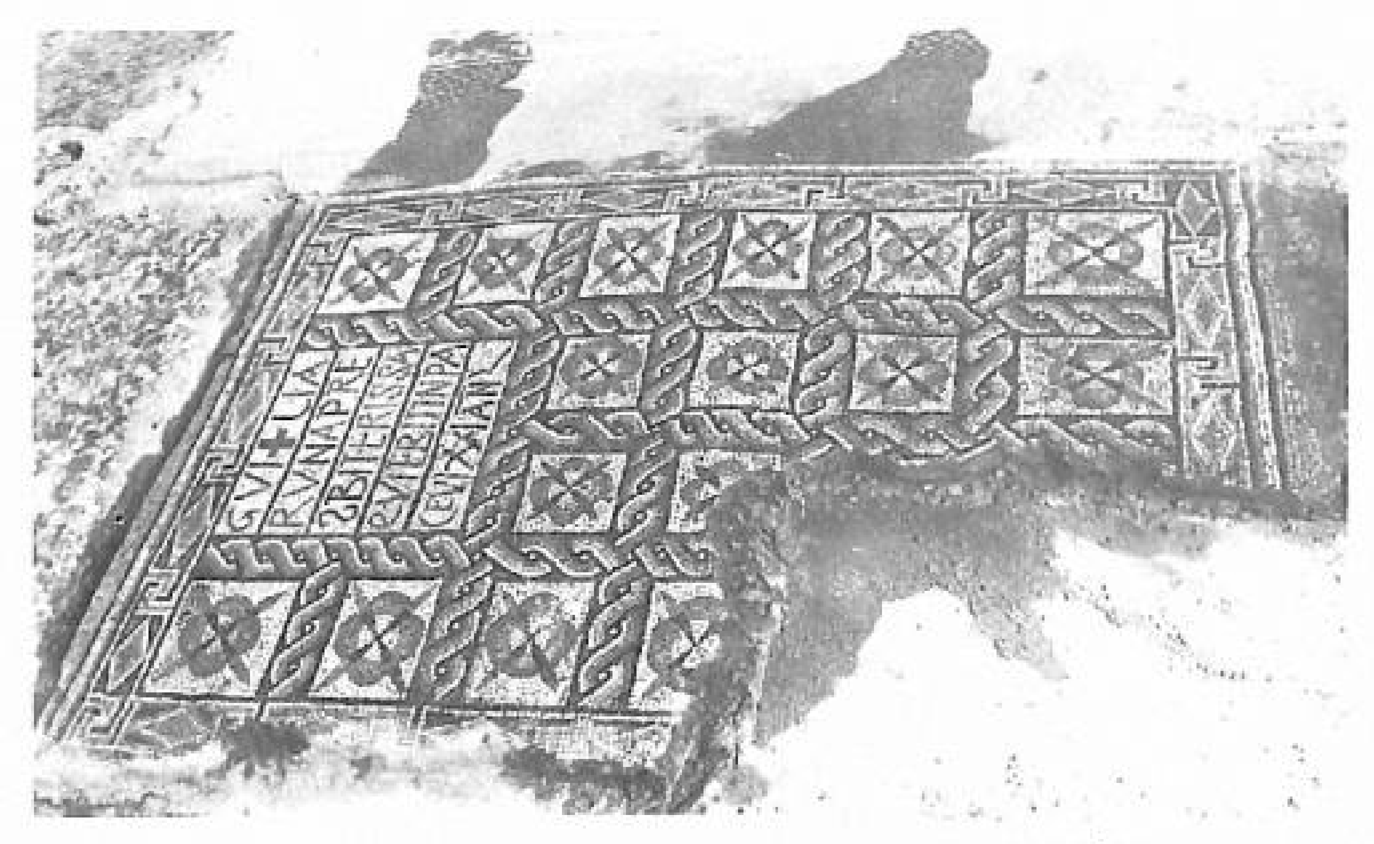
وبالرغم من انتصاب مجمع الآلهة الروماني بأربابه مثل يوبتر ومينرفة ... الخ . فإن الشرك البوني ، على غرار الشرك بالمغرب العتيق اكمله ، ذو اصالة في الواقع فالمذاهب الجديدة ليست الا لباسا لمذاهب الجدود مثل التعبد ببعل ـ سترنوس أو التعبد للسيريرس وبلوتون (وهي آلهة الفلاحة والثروة) .

تخطيط المدينة ابتداء من ضمها الى روما :

لم تتغير هيئة بونة في الاجمال ، بيد ان الرومان أدخلوا تعديلات في التفاصيل حتى يضفوا طابعا رومانيا على المدينة . وأصبحت بونة ، ابتداء من عهد **أغشت** مدينة ذات كيان قانوني . ولكن من الناحية المعمارية ، أدخلت تعديلات أيضا ومن أبرزها : **الفروم** والمسرح والسوق ومعبد الآلهة (لم تبق منه الا القاعدة) . وقد تعود مظاهر الحضور الروماني هذه الى عهد اغشت (حسب ج . ب . موريل ، في مقاله المنشور بمجلة الآثار الجزائرية ، 3 ، ص.35 الى 84) . والى جانب هذه البنايات الجديدة ، تواصل بناء أو ترميم بعض المباني الاخرى ، خاصة منها جدران الواجهة البحرية التي قد يعود تاريخها الى منتصف القرن الاول ق . م (حسب نفس المؤلف السابق الذكر) . .



منظر جوي لآثار بونة العتيقة



فسيفساء قبرية ببازليكة السلام .

الفروم . منظر مأخوذ من الجنوب الغربي



منظر من بونة في العصر القديم .

ونشير بأن ابتداء من القرن الأول ب . م . تقهقر البحر فمكنت الاراضي المكشوفة المدينة من الاتساع على ضفة الخليج ، وطوال الوادي بين التلين : ويتعزز هذا الاتساع ابتداء من القرن الثاني بعد الميلاد . والمحتمل أن يكون هذا التوسع ذاك الذي نشاهده اليوم أمامنا .

وكانت الطرق التي تربط المدينة بخارجها عديدة : طريقان محاذيان للشاطيء وهي طريق غربية تصل الى روزكادة (سكيكدة) مارة بمدينة تكاتوة (شطايبي) ؛ وطريق شرقية تتجه نحو تونيزة (القالة القديمة) وثبرقة (طبرقة) ، وتربط بونة بداخل البلاد ستة طرقات : طريق قرطة (قسنطينة) وطريق تبازة الشرقية (تيفاش) ، وطريق قرطاج مارة على ثاغست (سوق اهراس) وشقبنارية (الكاف) ، وطريق قرطاج مارة على سيمتو (شمتو) ، وطريق غربية مارة بجهة الخرازة وبحيرة فزارة .

الوحدانية الالهية ببونة العتيقة

لم يترك لنا التاريخ من الوحدانية الا أخبار الديانة المسيحية . مع أنها عرفت قبل المسيحية الديانة اليهودية التي لا يشهد على وجودها الا وثائق اثرية قليلة : مثل المصباحين الزيتيين المعروضين بالمتحف .

وقد ظهرت المسيحية في فاتح القرن الثالث ببونة . وانتشرت بسرعة بين قوم شديدي التفاعل بالتأثير السامي الذي يحمل في كيانه فكرة اله واحد تستوي أمامه درجة الآدميين جميعا . وكما هو الشأن في جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية ، تصادم الاعتقاد الديني الجديد بالمباديء السياسية والدينية لهذه الدولة ، فنتج عن ذلك صراع عنيف بين القوتين . فقدمت بونة للكنيسة نصيبها من الشهداء وأهمهم القديس ثيوجنيس اول اسقف ببونة و 36 مسيحيا آخرين قتلوا في شهر جانفي من



رحى حجرية من الحجر الصخري

سنة 259 م ، تحت حكم الامبراطور فاليريانوس ، وشهد ملك ديوكلبسيان مقتل ليونسيوس حوالي سنة 303 م .... الخ .

وبعد فترة اولى من الانتصار ، عرفت الكنيسة الافريقية ، وكنيسة بونة على الاخص ، أزمة دينية خطيرة ضاعفتها أزمة اقتصادية حادة برزت خاصة ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث م .

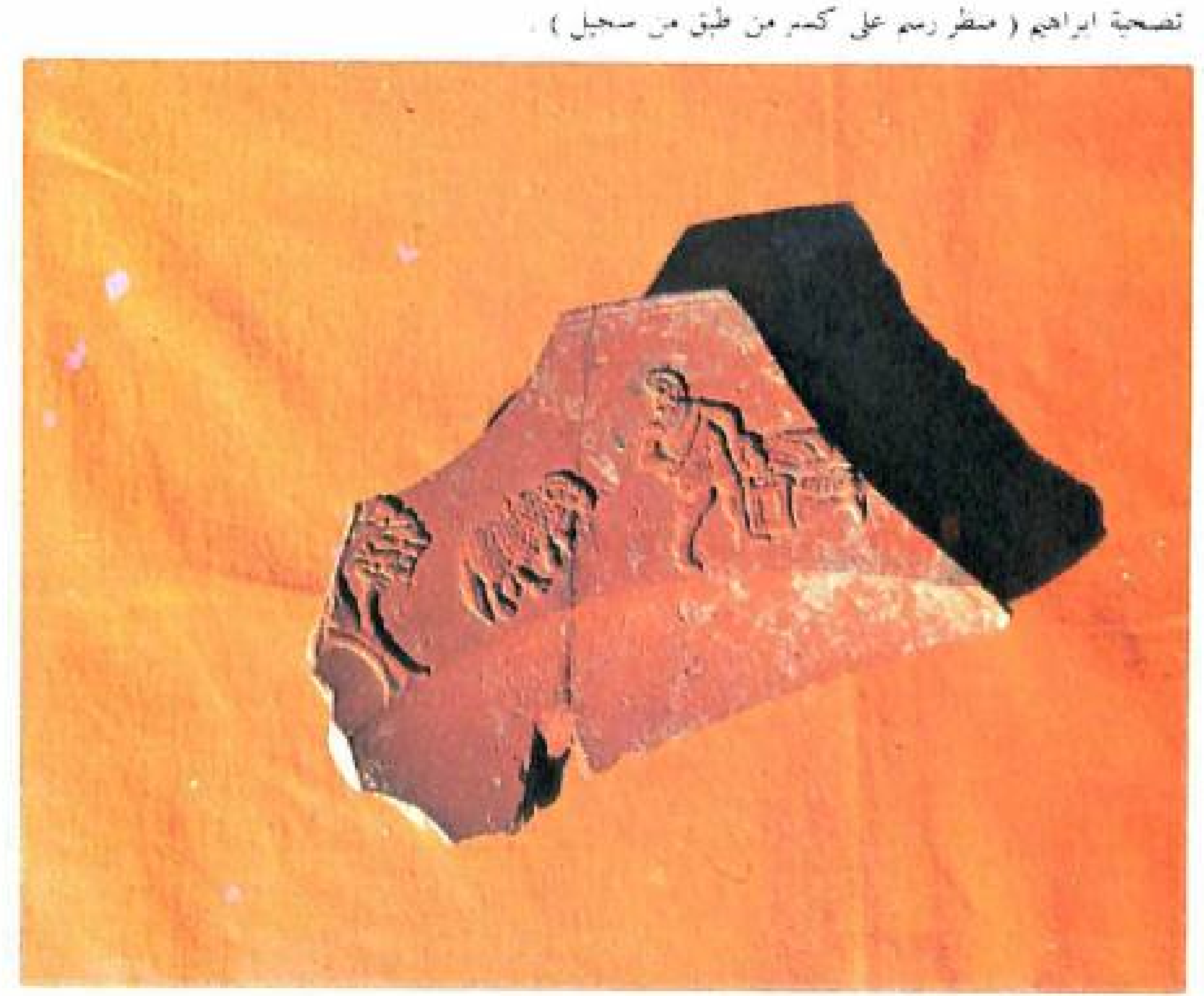
اذ أصابت افريقيا آنذاك أزمة بيع خطيرة لأن روما أوقفت الاستيراد اذ أنهكتها الأزمة الاقتصادية التي تتخبط فيها . فأصبح المجال ملائما لنموشيع عديدة بين الأفارقة وأهمها شيعة الدوناتية .

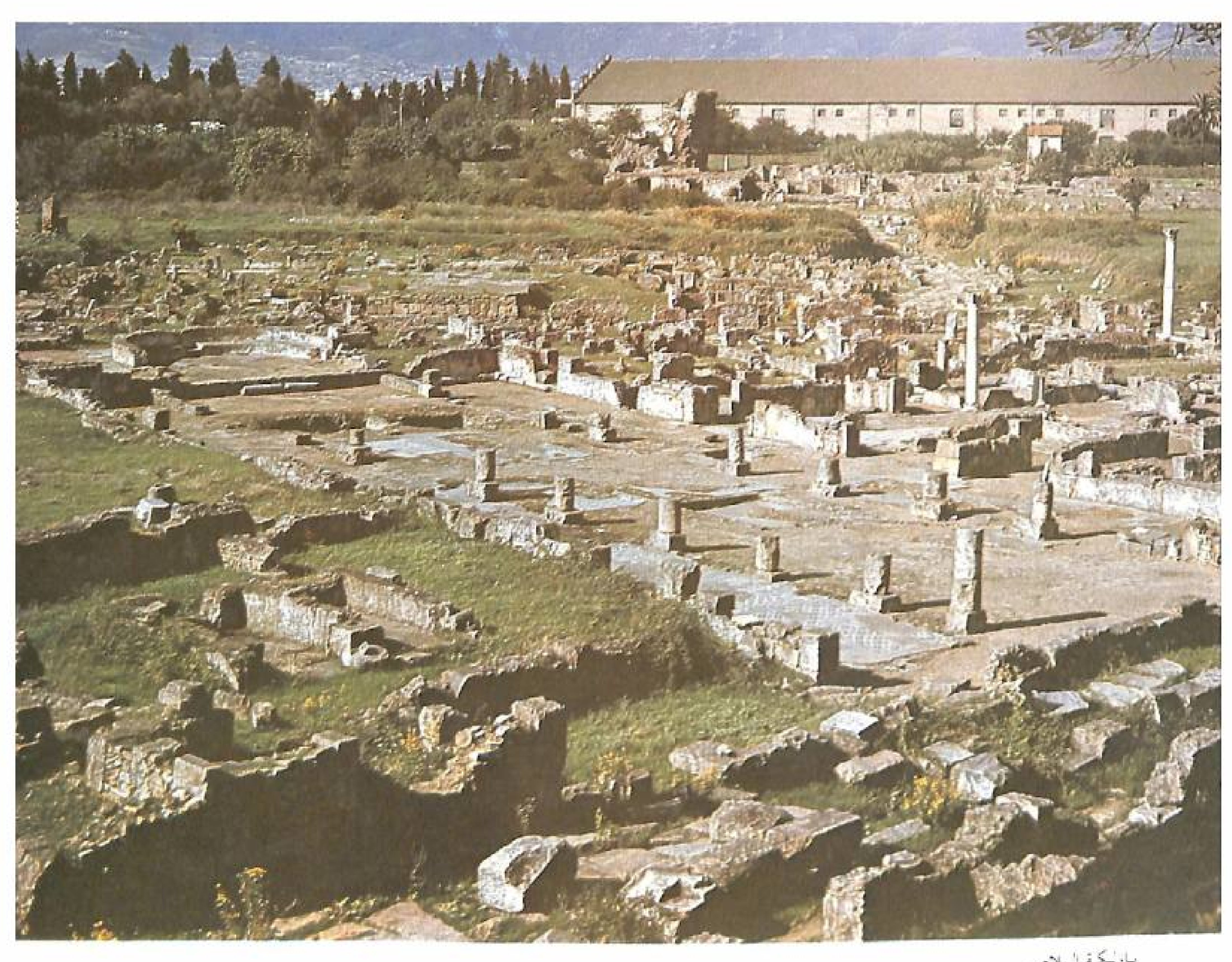
فهل كانت الدوناتية مجرد شيعة عفوية ؟ أو كانت تعبيرا عن عقيدة مسيحية كان الأفارقة يريدونها تعبيرا خاصا بهم يمكنهم من فرض انفسهم سياسيا واقتصاديا ؟ تجمع الآراء على القول بأن مذهب الدوناتية شمل صراعا اجتماعيا أفسحت له المجال الأزمة الاقتصادية ، فانصار المذهب الرئيسيون هم العمال الفلاحيون ، وأرباب الصناعة الصغار . فكان نوع من الجهاد أعلنه الاهالي الاصيليون ضد الرومان والمدجين الذين يمثلون الطبقة المسيطرة على الغنى والقوة والذين كانت المسيحية الرسمية تعبيرهم الديني .

فثارت الدوناتية على المسيحية الكاثوليكية التي بدت كأنها تخلف المذهب الوثني السياسي والاقتصادي ، لان هذه المسيحية لم تستجب لآمال النوميديين ولم توافق ميولهم .

فقد تكون الدوناتية محاولة استرجاع النوميديين لمصيرهم في الميدان الديني لتمهيد الطريق لاسترجاع مصيرهم السياسي . فلم يكن من محل الصدفة ان تمت هذه الحركة في قرن انفجرت فيه الانتفاضات وحركات المقاومة المسلحة ضد الامبراطورية الرومانية عبر جميع أنحاء المغرب وخاصة عبر المغرب الأوسط والشرقي .

تضحية ابراهيم (منظر رسم على كسر من طبق من صحيل) .





بازليكة السلام .

وتكاد المدينة كلها تدين بالمذهب الجديد عند حلول **اغشتين** بها ، في حين ان عباد المسيحية الرسمية اصبحوا قلة . فبادر **اغشتين** باعادة المسيحية الكاثوليكية الى قوتها مستعملا في ذلك الخطاب والقلم ، خصوصا في إطار المجامع الدينية المتعاقبة وأهمها المجمع المنعقد ببونة في البازليكة الكبرى (او بازليكة السلام) يوم 8 اكتوبر من سنة 393 . ولم يحكم على الدوناتية نهائيا الا أثناء انعقاد مجمع سنة 411 بقرطاج .

انتصر القديس **اغشتين** اكيدا بالتوصل الى الحكم على الدوناتية ، واستطاع اعادة السيطرة للمذهب الرسمي ببونة . فماذا كان ثمن انتصاره ؟ هل تحالف الرومان والافارقة المندمجين الاثرياء ؟ قد يكون الأمر كذلك . **فاغشتين** أصيل هذا الوسط ، فرغم ميلاده بافريقيا ربما تضامن مع اصحاب المصالح السياسية والاقتصادية التي هددها المذهب الدوناتي ؟ ولا ننس ان الامبراطورية الرومانية كانت تلفظ انفاسها الاخيرة وتنهار أمام زحف شعوب جرمانيا الذين قاومهم **أغشتين** أيضا : لقد مات القديس وسط هذا التخبط في بونة المحاصرة ، يوم 28 أوت 430 م .

القديس أغشتين :

انها شخصية قد أثرت بطابعها على مدينة بونة وناحيتها مدة أكثر من ثلاثين سنة . وقيمته



إبريق برنزي .

الشخصية عالمية أيضا . اذ كان من دعائم الكنيسة المسيحية كما كان لتعليمه وآرائه الدينية اعتبار شائع .

واسمه اوريليوس اغشتنوس . ولد بثاغست يوم 13 نوفمبر 354 م . وفي اعتناقه للمسيحية ربما ورث عن أمه مونيكة التي كانت مسيحية . أما أبوه باتريسيوس . من أعيان ثاغست ، فقد بقي وفيا لمعتقدات أسلافه . وبعد تلقيه للمبادئ الأولية من التعليم . بعث باغشتين من طرف والديه الى مادوروص (مداوروش) ، المركز الفكري بجنوب نوميديا : وهناك تعلم اللغة اليونانية . وهناك أيضا تعلم البلاغة والنحو . اذ كانت لمادوروص شهرة باساتذتها في هذه المواد . ثم انتقل الى قرطاج حيث دخل في عالم آخر : عالم الدراسة والتفكير الذي ينهل منه ، وهناك أحتك بالفلسفة من خلال قراءته لأحد مؤلفات سيسرون ، وعنوانها « **الهرتنسيوس** » . وكان هذا سنة 373 . وهي الفترة التي اعتنق فيها آراء المانويّة .

وفي سنة 274 . وبعد سنوات من الدراسة والاستمتاع بالملاذ بقرطاج . عاد أغشتين الى ثاغست حيث أصبح أستاذا . وابتداء من ذلك العهد ينطلق في سلك التدريس . فعلم على التوالي بقرطاج ثم بروما سنة 383 م ، وبميلانو سنة 384 . غير أن مطالعاته . وخاصة مطالعة كتب الفيلسوف بلوتان . ومواضبته على سماع خطب الوعظ والإرشاد التي يلقيها أمبرواز أسقف ميلانو . وتأثير أمه التي التحقت به في ايطاليا فصلته عن المانويين . ولكنه يردد طويلا قبل ان يعمد في شهر افريل سنة 387 م . وقد توفيت أمه في نفس السنة بأوستيا . فعاد الى افريقيا وانتصب بعض الوقت بقرطاج ولكنه عاد الى مسقط رأسه ثاغشت حيث يمكث مدة ثلاث سنوات : فيدرس ويؤلف بين سنة 388 م وسنة 391 م ، ويؤلف على الخصوص حوارا حول الموسيقى ويناظر المانويين وعين سنة 391 م معاونا لأسقف بونة ثم يخلفه سنة 395 م . ويظل في منصبه الاسقفي الى وفاته يوم 28 أوت 430 .

وانطلق أغشتين في صراع حقيقي ضد جميع التيارات المعارضة للمسيحية الرسمية : فناظر المانويين والآروسيين . وكافح الدوناتية اقصى الكفاح . وكانت النظرية التي يدافع عنها صلبة : « **لا أحد يستطيع النجاة الا بالاغاثة الالهية ، وقليلون هم المختارون** » .

وقد ألف كثيرا في علم اللاهوت الاعتقادي وفي علم اللاهوت الأخلاقي . كما انتج مقالات حول علم التربية . ومن أهم مؤلفاته : «**الاعترافات**» (حوالي سنة 398 م) و«**مدينة الله**» (413 ــ 427 م) و«**الرسائل**» (من 386 الى 429 م) .

وقع الانحطاط الروماني على بونة

الوندال :

وتخضع ،بونة لجيوش الوندال في شهر أوت من سنة 431 م . وقام الاحتلال على ما يبدو ، بموجب اتفاق على إيقاف القتال الذي نتج عنه تهديم المدينة الجزئي ، وقد نجت مكتبة أغشتين وأخلى سبيل الكونت بونيفاسيوس والاسقف بوسيديوس اللذين تمكنا من مغادرة بونة .

وجعل جنسريق ملكهم من بونة عاصمة له حيث وقعت معاهدة السلم في شهر فيفيري سنة 435 ، التي جعلت من جنسريق تابعا للامبراطورية المتداعية ، وبقيت بونة عاصمة الوندال حتى سنة 439 عند استيلاء جنسريق على قرطاج (أكتوبر 439) .

واستقر سلم نسبي في بونة حيث لانت شدة الوندال وأصبح جيشهم ، خاصة تحت حكم آخر ملوكهم جلمير ، جيشًا ضعيفًا وهنا .

وتقلصت المدينة في هذا العهد ، ولا يستبعد أن هجرها سكانها الذين قد تفرقوا داخل الاقليم .

ولم تكشف الحفريات بعد من مرور الوندال ببونة الا عن قبور متناثرة بين اطلال بونة ، وشاهد مقام لذكرى ارمنقوزوجة أحد القواد الوندال ، وحلي من المعدن معروض بالمتحف .

البزنطيون في بونة

لم يجد الجيش الجستيني سنة 533 م ، تحت قيادة بليزير ، عناء كبيرا في وضع حد للسلطة العسكرية الوندالية ، بيد انه انتصب ، عوض الانحلال الوندالي ، الفكر القانوني الثقيل الميال للجدل البزنطي الفارغ . فكان تذمر الأهالي منه أكبر من تذمرهم من الوندال .

واستعادت المدينة نفسها وعرفت من جديد نهضة محتشمة ، اذ استرجعت مكانتها كمدينة اسقفية وطمحت الرفاهية فيها ــ وان كانت محدودة في البداية ــ الى أيام جميلة أخرى .

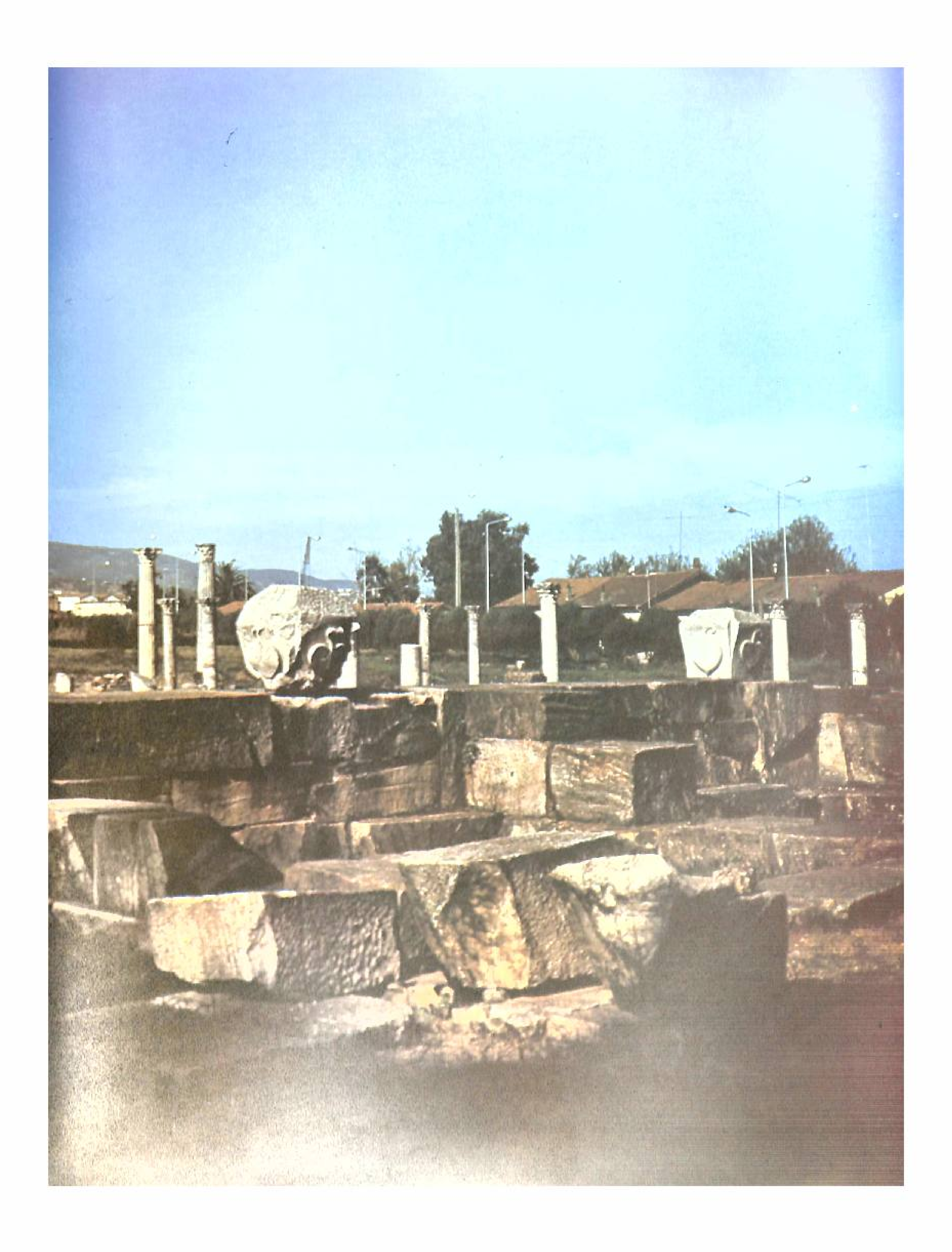
ولكن بونة انفصلت نهائيا عن الامبراطورية الرومانية . اذ ان ضعف روابطها بها لم يقو على مواجهة الازمات وبالرغم من تجديد الامبراطورية في بزنطة ، فبونة ، مثل سائر المغرب ، عادت الى الاصول الأولى التي كانت تبنتها .

أهم بقايا بونة الملكية

ان التنقيبات والبحوث الاثرية التي شرع فيها منذ بداية هذا القرن ، مكنت من ابراز مساحة واسعة تؤكد الدور الذي لعبته بونة خلال تاريخ الاقليم . ولكن البحوث بعيدة عن الانتهاء ، لأنها ــ الى حد الآن ــ سلطت الجهد على العهد الروماني ومكمله العهد المسيحي . فلا تزال العهود السابقة والموالية للعهد الروماني في حاجة الى البحث والدراسة .

فوروم بونة

هو أوسع وأقدم فوروم كشف عليه في المغرب طول صحنه 76 م . وعرضه 43 م . ولا تزال آثار الاعمدة التي كانت تزين الساحة المحيطة بالصحن قائمة . ومن بين ملحقات الفوروم التي تستحق



الذكر هناك من جهة **الكورية** (وهي مقر اجتماع المجالس الرئيسية) الموجودة في زاوية الباحة الغربية. ومن جهة أخرى بقايا معبد الثالوث الكابتولي (وهو معبد يوبتر وزوجته مينرفة وابنته يونو) الموجود جنوب صحن الفوروم.

وقد اكتشف تمثال النصر (طروفي) المشهور بالفروم. وهي قطعة فخمة طولها 2.50 م مسبوكة من البرنز.

السوق

هذه السوق الانيقة والواسعة تتركب من جزءين: ساحة رحبة ذات الرواق تتوسطها طارمة. وتحيط بها الدكاكين من جهات ثلاثة.

ويتركب الجزء الثاني من ساحة واسعة بلاطها من الفسيفساء الهندسية.

الحي المسيحي:

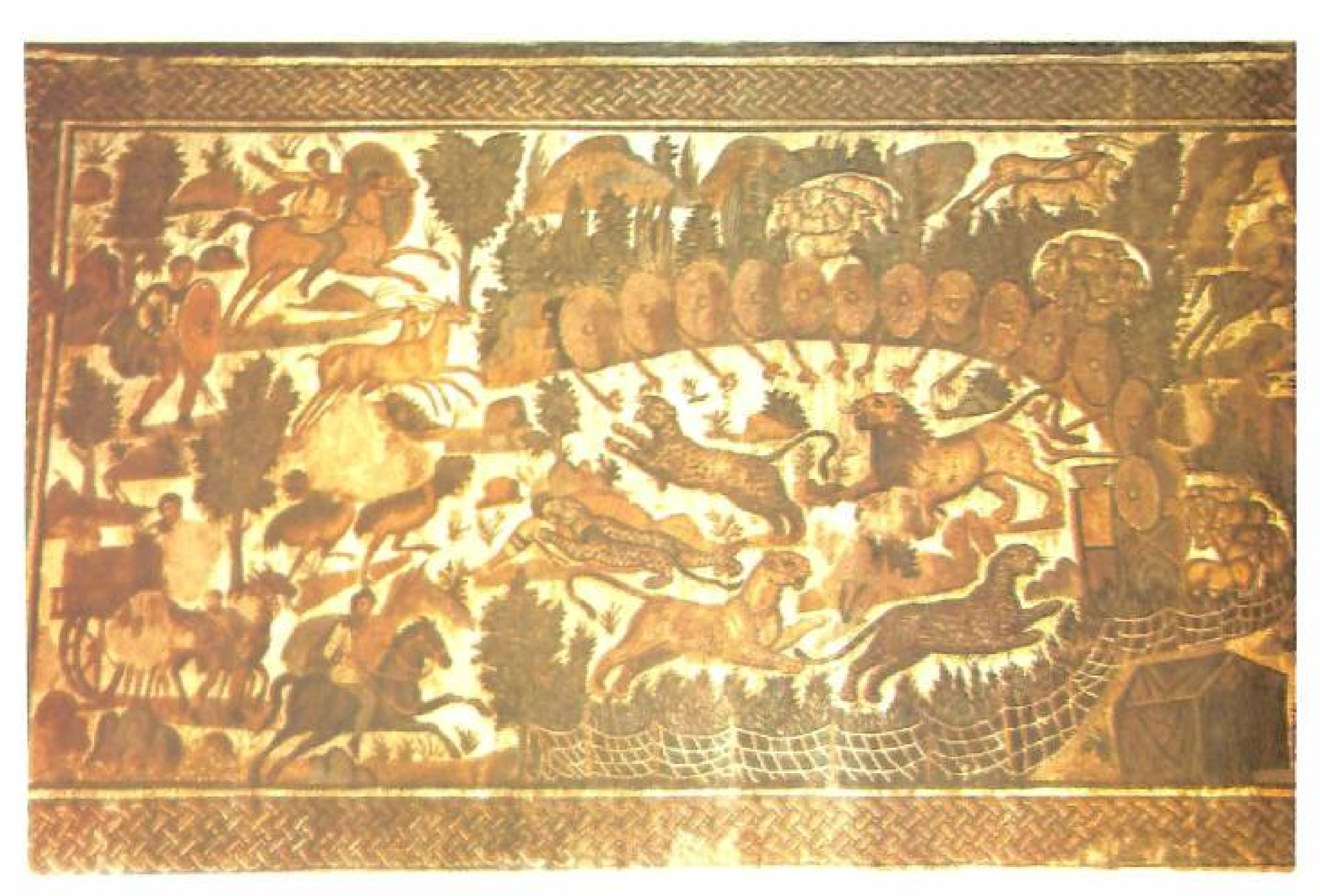
هذا الحي الموجود قرب «الواجهة البحرية» ينفرد ببقايا البازليكة الكبرى أو بازليكة السلام. وقسمت البازليكة الى ثلاثة بلاطات. ويبلغ عرضها 20 م. وطولها 42 م. ويغطي كامل أرضية الكنيسة تبليط زخرفي زاهي الألوان جميل الرسوم بقي منه هنا وهناك شواهد صنعت من الفسيفساء التي رسمت عليها اسماء الدفينين.

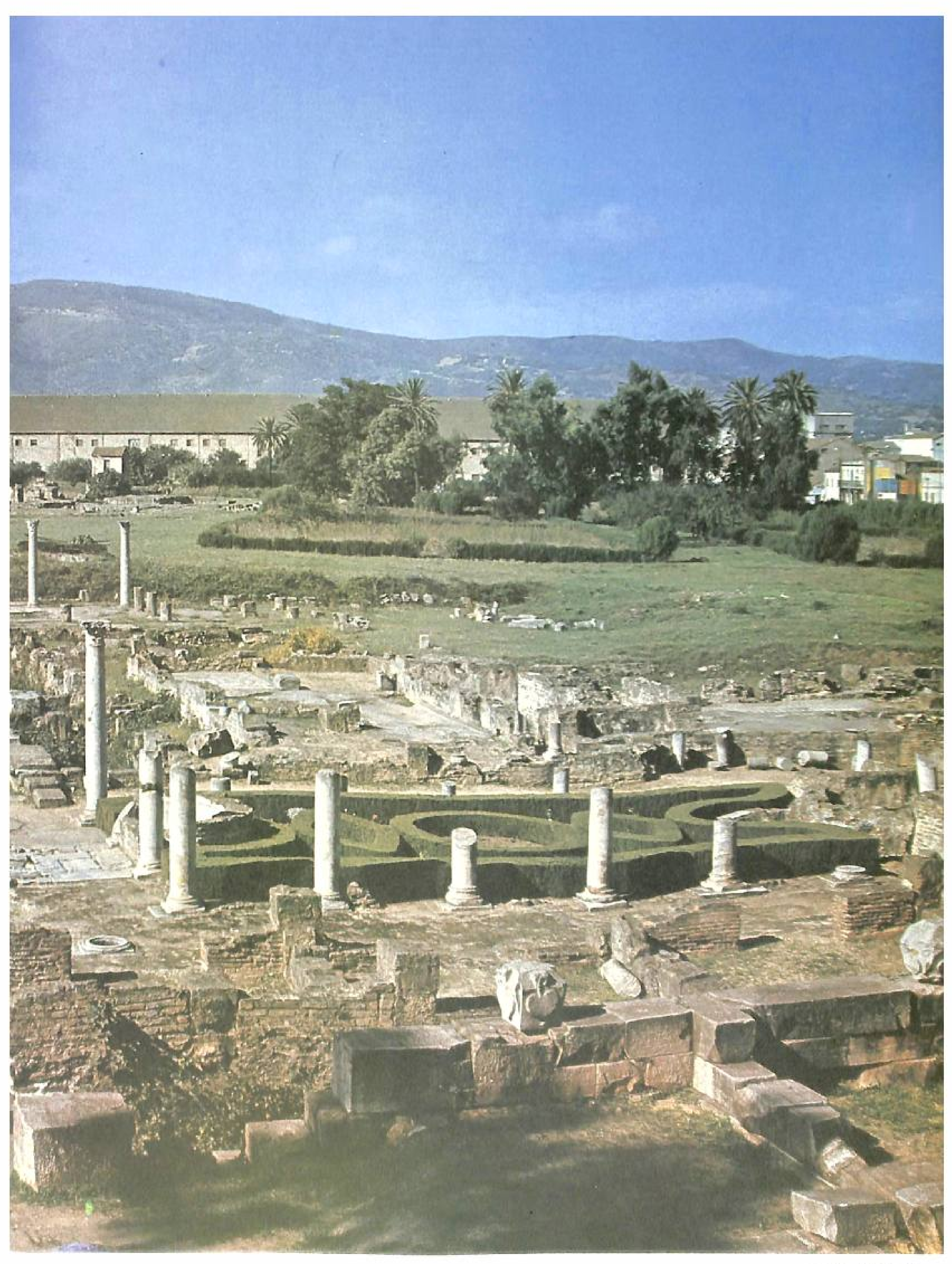
حي الواجهة البحرية:

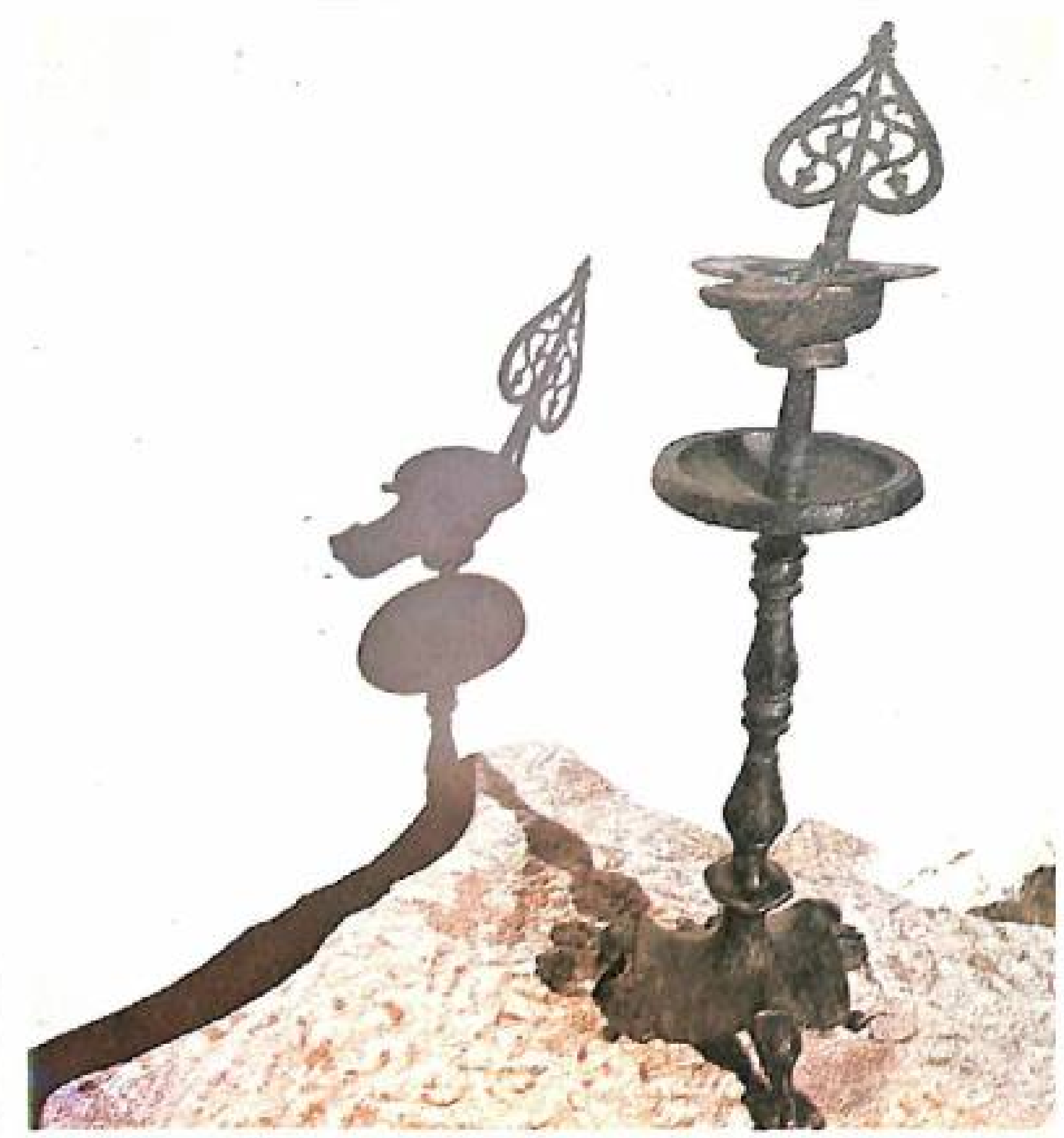
ينفرد هذا الحي بجدرانه المرضومة وبالفلات:

الجدران المرضومة:

يبدو ان هذه الجدران المتقونة البناء، كانت جزءا من جهاز السور والدفاع عن المدينة، وكانت تلعب أيضا دور الحماية من أخطار وأمواج البحر والفيضانات القوية.







قنديل برنزي



مجموعة قناديل من البرنز

الفلات :

بنيت هذه الاقامات الجميلة مستندة على الجدران الضخمة أو متخذة إياها أساسا . وهي أنيقة وتمتاز بارضيتها المصنوعة من فسيفساء جيدة الاتقان . وقد رفعت من هنا لوحات الفسيفساء المعروضة بالمتحف ونذكر منها :

فسيفساء انفتريت :

يؤطرها افريز عريض زين كل زاوية منها رأس أقيانوس .

فسيفساء « منظر عام من بونة العتيقة »

تمثل هذه اللوحة منظرا عاما من بونة أخذ من عرض البحر : فترى من جهة المدينة على شاطيء البحر ، وعلى اليسار الخليج حيث يقوم منظر لعملية صيد بحري ويترامى كامل الطنف الى رأس الحمراء .

فسيفساء الصيد :

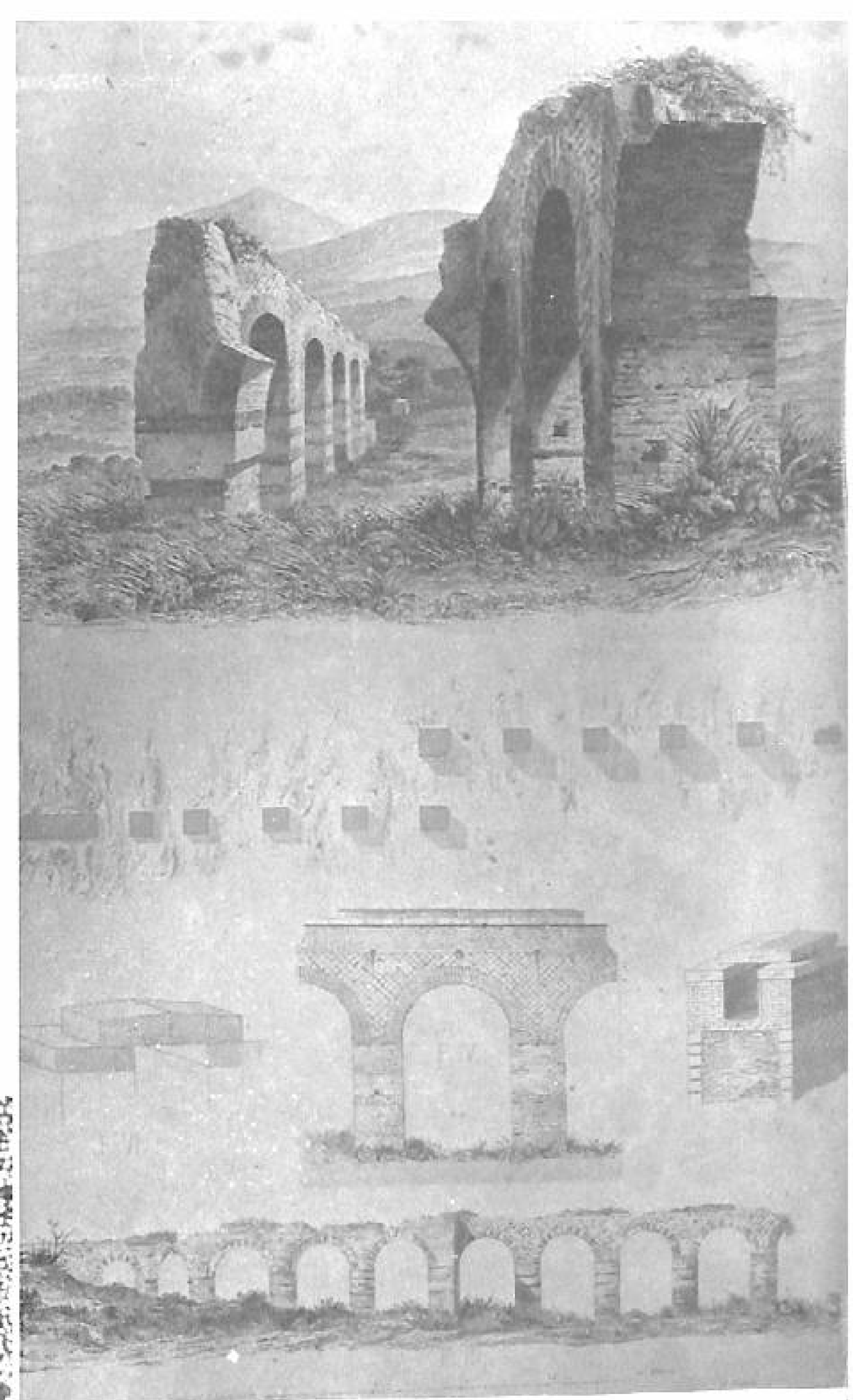
وهي أحد اللوحات التي وصلتنا سالمة وكاد اتقانها يبلغ الكمال ، وتمثل هذه الفسيفساء مشهدا من صيد الوحوش المخصصة لالعاب السرك .

الحمام الكبير الشمالي :

يمثل هذا البناء الاستحمامي مجمعا واسعا ، أقيم اثناء القرن الثالث م . فقد شيد المهندسون المعماريون مجمعا جليلا نسقت فيه علميا مختلف قاعات الاستحمام المقدمة للجمهور ، وساحة التمارين البدنية ، وكثر فيه البذخ بإقامة البرك وأحواض الساحة المرمرية .

المسرح :

شيد المسرح أسفل سفح ربوة القديس أغشتين . وبنيت المدرجات على جانب الربوة ببذخ جعل هذا المسرح شبيها بنماذج المسارح المتأثرة بالفن اليوناني . وتعطي اللواحق الجانبية لمسرح بونة إتساعا إجماليا نادرا يبلغ 100 م تقريبا . أما خشبة المسرح ، الذي خدمت منها الطريق المارة فوقها ، فلها إتساع كبير .



الأكدود العتيق الذي هدم حوالي سنة 1860

الهة ملهمة : جزء من فسيفساء الـه السنة



انتشار الإسلام والرجوع إلى الأصل

بداية العهد الإسلامي

لا تعطي المصادر أخباركافية عن تاريخ المدينة وإقليمها بين القرن السابع والعاشر م ، وخاصة عن عهد انتصاب الاسلام في المغرب ، ويبدو أن بونة وإقليمها بقيت بعيدة عن معارك الفتح . وهذا يرجع الى كون بونة كانت خارجة عن محاور الانتشار الاسلامي الذي سار في العشريات الأولى من العهد الاسلامي ، في إتجاه المسالك الداخلية تاركا السواحل ؛ وخاصة السواحل الشمالية .

ومن الروايات القلائل عن بونة ، في المصادر العربية حول الفتح ، تلك التي تروي كيف ضغطت جيوش حسان بن النعمان على أفارقة أقاليم قرطاج وبنزرت حتى أجبرتهم الى الإلتجاء الى إقليم بونة حوالي 692 م . وإذا كان الأمركذلك ، فإن المدينة كانت تشكل منطقة هادئة حتى أوائل القرن الثامن م . وهكذا – إلى أن يأتي ما يخالف ذلك – لم تفتح بونة بالسيف . ولم يكن الفتح الاسلامي سبب خراب بونة العتيقة . والبكري الذي يروي عادة أهم الاحداث المتصلة بتاريخ كل مدينة يصفها . لا يروي في كتابه شيئا عن بونة .

والامر الأكيد أنه ضل الموقع العتيق معمورا وان كانت المساحة قد تقلصت ، وقد كان هذا التقلص نتيجة لانحطاط المدينة أثناء العهد السابق وللتقهقر الاقتصادي العام في البحر الابيض المتوسط . ولهذا يبدو أن بونة لا تقوم بأي دور تحت حكم الولاه الأمويين والعباسيين إبان انتصاب الاسلام بالمغرب .

وظاهريا ، قد كانت بونة – الى حد القرن العاشر الميلادي – تحتل منطقة الواجهة البحرية من بونة العتيقة ، وتمتد طوال الطريق الوطنية الحالية رقم 16 في اتجاه بوحمرة نحو الجنوب وفي اعتقادنا فإن المسجد أقيم وسط البناية المستطيلة الشهيرة الموجودة بحي الوجهة البحرية فهناك أثر يخيل لنا من وراء هيئته واتجاهه أنه بقية محراب .

العهد الفاطمي

وتعود بونة للبروز على المسرح التاريخي عند انتصاب الحكم الفاطمي . فبعد مرور قرنين على الفتح أصبح إسلام المغرب أمرا واقعا . فقررت شعوب المغرب الذين تسلحوا بمذهب يطابق ميولهم للحرية ، القيام بدور فعلي في إدارة مصيرهم .

والاقاليم التي كانت مهيئة تاريخيا لهذا المشروع ، هي الاقاليم التي رأت بزوغ حضارة قارة منذ نهاية العصر الحجري الجديد : ومن بين هذه الاقاليم نوميديا وشعبها التي وضعت الأسس التي أعطتها أهمية تاريخية مكنتها من فرض شخصيتها من جديد ، ابتداء من القرن العاشر الميلادي . ومن المعلوم أن بونة شاركت في ازدهار نوميديا .

موقع القصبة المنطقة الاسلامية من بونة العتيقة



خزف من سطيف الجديدة

فليس من الصدفة أن يتوجه مؤسسوا الحكم الفاطمي لشعوب نوميديا القديمة أهل كتامة . لذلك تنخرط بونة ، عند انطلاق الدعوة الشيعية في حزب الداعي عبد الله ، وتمثل إحدى المراحل الهامة في الاستحواذ على الملك من طرف الفاطميين . وتصبح فيما بعد إحدى ديار صناعة البحرية الفاطمية مثل القالة . فادمجت اذن بونة في الخريطة الجغرافية والسياسية الجديدة للمغرب الاسلامي .

ويقدم ابن حوقل الذي عاصر هذه الاحداث ، بونة كما يلي :

« ومدينة بونة مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رقعتها كالاربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة وفيها خصب ورخص موصوف ، وفواكه وبساتين قريبة ، وأكثر فواكهها من باديتها والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له .

وبها معادن حديد كثيرة ويحمل منه الى الاقطار الغزير الكثير . ويزرع بها الكتان .

ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة .

ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع ؛ وبها العسل والخير والمير ما تزيد به على من داناها من البلاد المجاورة لها . وأكثر سوائمهم البقر ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير ... »

(ابن حوقل ، صورة الارض .77 ـ طبعة بيروت)

ويروي المقدسي (المتوفي حوالي 375 هـ / 988 م) هذا الوصف عن بونة في القرن العاشر م . فيقول :

« وبونة بحرية مصورة بها معدن حديد ، شربهم من آبار . »

وبالرغم من ايجازه فأن المقدسي يدعم مارواه ابن حوقل ، ويتمم على الاخص وصف المدينة بذكره للسور الذي قد يشهد على وجوده بقايا جدار ضخم لا تزال ظاهرة بالقرب من حي الواجهة البحرية .

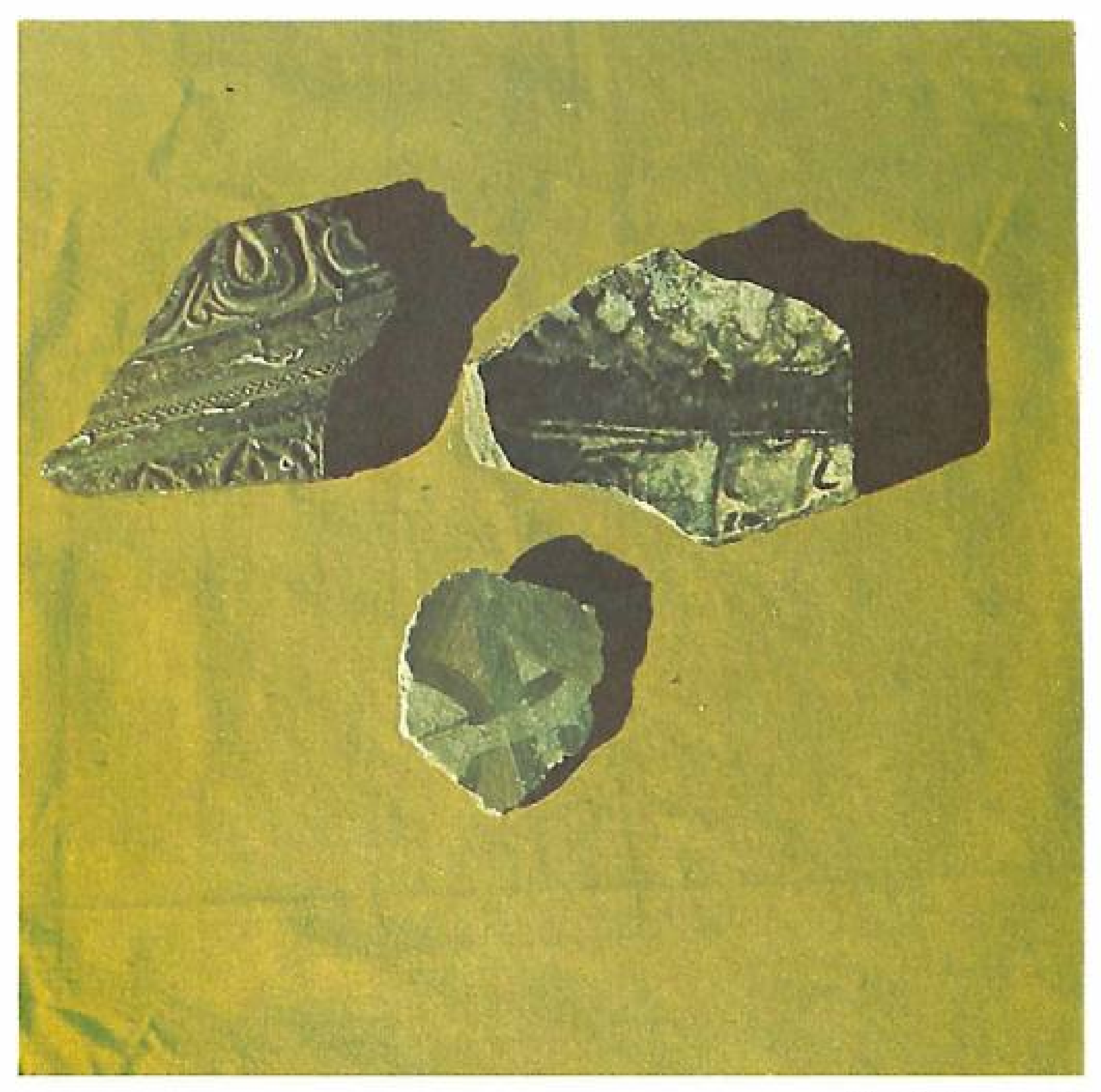
وهكذا تظهر بونة ، بين 934 و 988 م : بلدا مكن فيه استقرار السلم نموا اقتصاديا يربطها بازدهار الماضي .

ومع أنها سياسيا جزء من الدولة الفاطمية الا أنها تبدوكأنها تتمتع بوضعية قانونية خاصة ، اذ ان بونة تكون نوعا من الامارة . ويرجح أنها كانت تخضع لأمير يسمى زاوي مما جعلها تدعى « مدينة زاوي » حسب شهادة البكري . وقد يكون زاوي بن زيري بن مناد ، أبو بولوغين .

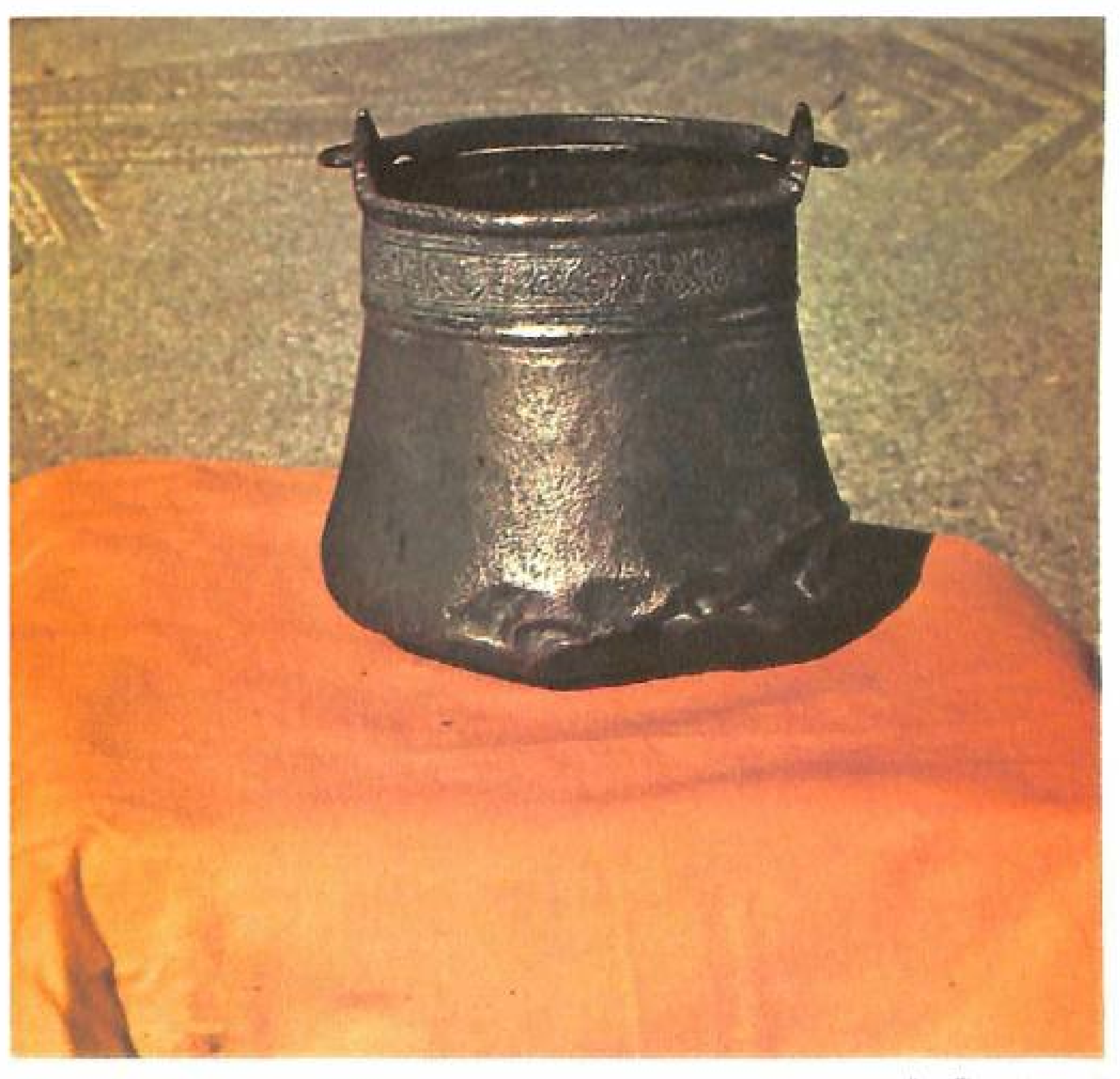
العهد الصنهاجي :

ان وضعية الاستقلال هذه في الواقع ، وضعت منذ البداية في إطار أقرب من عزم تشييد دولة إسلامية أهلية . اذ أن الأمير الذي تحمل اسمه هو ابن الأمير زيري واحد من المؤسسين الاعيان للدولة الصنهاجية .

وتدخل بونة في مرحلة جديدة من تاريخها عند انتصاب بني زيري كخلفاء ظاهريين للفاطميين وهم أصحاب السلطة الحقيقيين منذ البداية والمسيرين الحقيقيين لمصير نوميديا القديمة التي أصبحت



خزف من النمط الحمادي .



دلو حمام من القرن الخامس . هـ

افريقيا الاسلامية الجديدة . ويلخص البكري (المتوفي حوالي 1091 م) انتقال حياة بونة من المرحلة السابقة الى المرحلة الجديدة فيقول :

«ومدينة بونة أولية وهي مدينة أقشتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشر من الارض منيع مطل على مدينة سبوس ، وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال .

ولها مساجد وأسواق وحمام وهي ذات ثمر وزرع وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين واربعمائة .

وفي بونة الحديثة بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بئر النثرة منها يشرب أكثر أهلها . وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتين وهو مستنزه حسن ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد (...)

ومدينة بونة برية وبحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل وأكثر لحمانهم البقر .

الا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة واوربة وغيرهما وأكثر تجارها اندلسيون .

ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار .»

(البكري ـ المسالك والممالك ـ ص . 54 ـ 55)

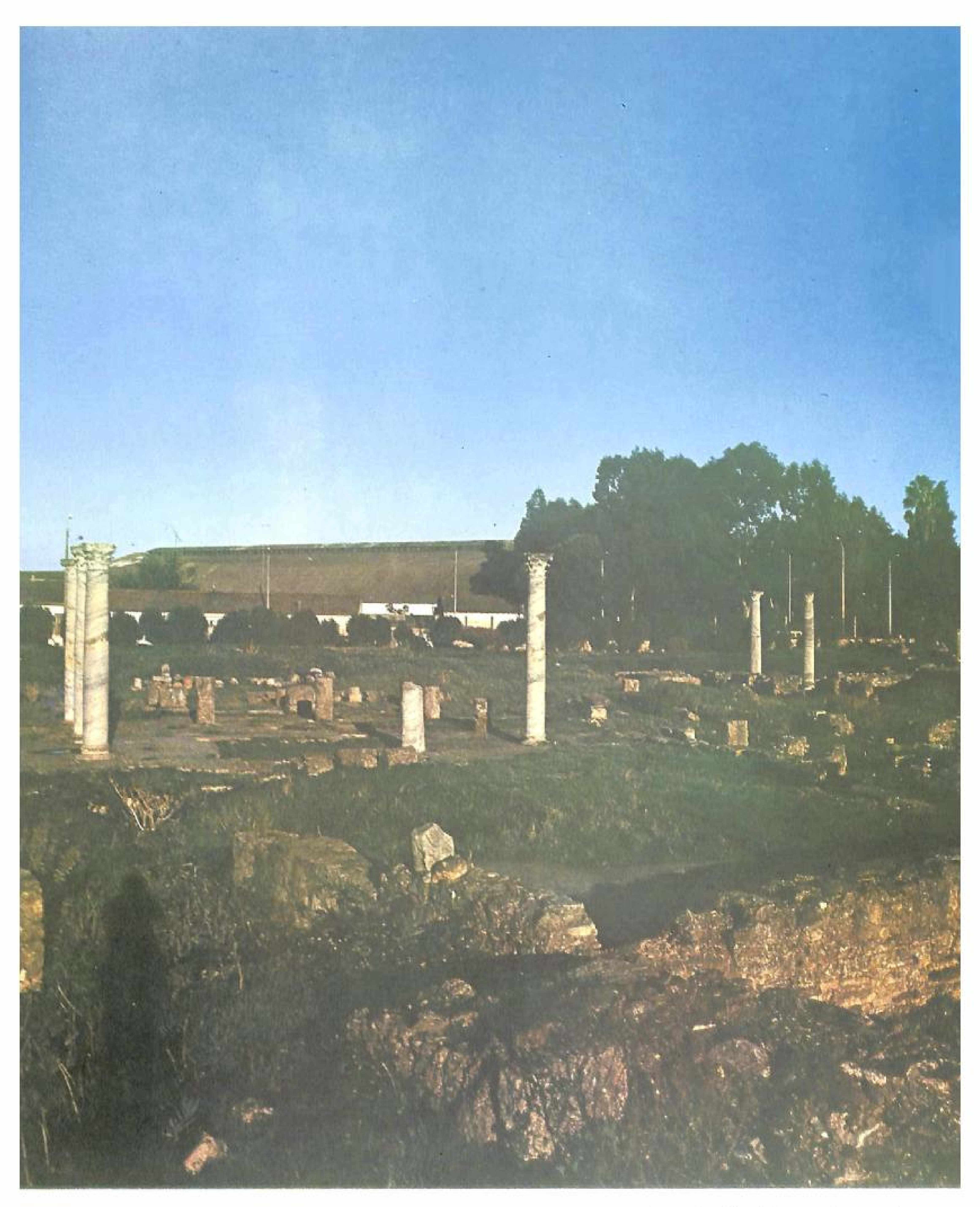
فيوضح البكري أن موقع بونة العتيقة شغرته أولا «مدينة سبوس» أو «مدينة زاوي» التي كانت على ضفة نهر سبوس . وقد فهم البعض أن البكري خلط الوادي بالمدينة ، والواقع أنه سمي المدينة باسم الوادي . وهذه هي المرحلة الأولى من محط المدينة في العهود السابقة للصنهاجيين .

أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة بونة الحديثة التي أقيمت على ثلاثة أميال من المدينة العتيقة (وحاليا فالحي القديم من عنابة يبعد عن آثار بونة العتيقة بثلاثة كلم .) .

وزيادة على ذلك ، يعرف البكري بالمجموعات القبلية بذكر أهم الكنفدرليات وهي مصمودة واوربة التي قد تكون سليلة ووارثة مسيصبرة وبونطة والتي وجدت في التاريخ القديم والتي قوما من الفلاحين ومربي الحيوانات . ويدل هذا التعريف من جهة أخرى على التقسيمات الاجتماعية الادارية الكبرى ، اذ يبدو أن هاذين الكنفدراليتين تمثلان التقسيمين الاداريين الرئسيين : من جهة السهول الساحلية وهي التقسيمة التي تغلب عليها اوربة من جهة أخرى داخل الاقليم والمناطق الجبلية وهي التقسيمة التي تغلب عليها مصمودة .

أما عن كيفية التسيير ، فقد يكون على رأس كل كنفدرالية شبيه بالقائد ، أما القائد فقد يساعده شيوخ الفروع والقرى ... وكان هذا التنظيم هو المحتمل شيوعهُ تحت حكم العائلات الماصيلية وسنجده قائما أيضا في القرن التاسع عشر .

وهناك إشارة مهمة في هذا النص تلقي ضوءا خاصا على مكانة بونة الاقتصادية الا وهي الاشارة الى التجار الاندلسيين . ويجدر تأويل خبر البكري هذا على أن هؤلاء التجار كانوا يتعاملون مع سوق بونة . ولذلك فإن التجارة التي يشير إليها ابن حوقل والبكري أثناء القرنين العاشر والحادي عشر م . كانت تقوم خاصة مع الاندلس والاندلسيين .



مبنى أثري يحتوي على آثار مسجد (في الواجهة البحرية)

ويجدر التأكيد على أن بونة بوصفها ميناء ، كانت محطة مرور على الطريق البحرية من الاندلس نحو المشرق ، كما أنها موجودة على الضفة الجنوبية من البحر الطربني . لذلك وابتداء من القرن الحادي عشر م . تفرض سياسة خارجية جديدة نفسها بالنظر الى هذه الوضعية في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط حيث انطلقت أوروبا الجديدة في مغامرة الحروب الصليبية .

وهو الشيء الذي يعلل تنقل المدينة من الجهة السفلى ، عند مصب وادي سبوس الى الجهة العليا من تل أبي مروان .

وكانت الدولة الحمادية (التي آلت إليها بونة بعد الانقسام الصنهاجي) الواعية بقيمة الميناء الاستراتيجية ، هي التي قررت هذا النقل فمتى وقع هذا ؟ من الراجح ان كان أثر غارة التحزب بين البيزانيين والجنويين والبروفنساليين سنة 1034 ؟

فوقع إعادة تنظيم الشواطيء في إطار التنافس من أجل البحر الأبيض المتوسط والوقاية من الغارات الآتية من الشمال . ومسجد أبي مروان في الحقيقة ليس هو الاجزء من رباط شيد من أجل ذلك الغرض . ويذكر البكري اسماء المراسي الآتية وهي: مرسى رأس الحمراء ومرسى ابن الالبيري (القلعة الجنوية) ومرسى الخروبة ، ومرسى منبع وهو مرسى بونة الاول . وللتأكيد على أهمية مرسى بونة الاستراتيجية ، يضيف البكري قائلا :

«ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها ...»

(المسالك ، ص . 83)

وبعبارة أوضح ، رافقت إعادة التنظيم هذه سياسة الحملة المضادة الموجهة ضد أساطيل جزر البحر الابيض المتوسط .

حتى يكتمل جهاز المدينة الدفاعي ، قرر ملك بجاية الناصر تسوير بونة سنة 1058 م . وهكذا تمكنت المدينة من وقاية تجارتها وأهلها . ويبدو أن هذه السياسة كانت الثمن اللازم لاستقرار رفاهية . المدينة وإقليمها والامر الذي أجبر في النهاية أطراف البحر المتوسطي الآخرين على قبول علاقات مخالفة لعلاقات العدوان .

ونذكر أيضا إنه ابتداء من 1055 ، تلعب الدولة الحمادية دورا مسيطرا في المنطقة لأن جيرانها بني زيري بالمهدية قد اضعفتهم مواجهة هجومات قراصنة الجزر المتوسطية ومواجهة زحف بني هلال وبني سليم الكثيف (وهي القبائل العربية التي وجهها فاطميو مصر الى المغرب للانتقام من قرار رفض بني زيري ولائهم لهم وللتخلص من مشكل اجتماعي كان يشوش الحياة المصرية) .

فأصبحت قلعة بني حماد عاصمة افريقيا الاولى ، فأكتسبت بونة بوصفها موقع محصن ومرسى تجاري ، مكانة مرموقة .

ونضيف أن اختيار موقع بونة الجديد كان له سبب صحي . اذ يدقق البكري قائلا : «**الا انها يصح بها السودان ويسقم البيضان**» ويشير بذلك الى حمي المستنقعات التي كانت تصيب السكان البيض في المدينة السفلى لقربها من المياه الراقدة في مصب وادي سبوس .

وخلال الفترة الجديدة من وجودها ، تشارك بونة في الاحداث الجارية داخل البلاد الحمادية الزيرية . فاثناء حكم المنصور بن الناصر ، شهدت الدولة الحمادية ثورة بلبار . عم الأمير ووالي



عنابة في موقعها الحديث (رسمت من البحر سنة 1833) .

واجهة قاعة الصلاة بمسجد أبي مروان .



قسنطينة . وهي الفرصة المنتظرة التي استغلها رئيس أحد العشائر الهلالية ، ابن مسعود للاستيلاء على بونة . فكلف المنصور أمير جيشه ابايقني بارجاع الامور الى نصابها في قسنطينة وعنابة . وكان ذاك ما فعل .

ولكنه عندما تحصل على الانتصار ، حوالي 1090 م ، ثار أبويقني ضد ملكه وتحالف مع صاحب المهدية الزيري تميم بن المعز . وعين أبويقني ببونة أخاه ويغلان واليا ، ولكن تميم أسند ولاية المدينة الى ابنه أبي الفتوح سنة 1094 م .

فكان رد فعل المنصور عنيفا . فجهز حملة لاسترجاع ما خسره وبعد سبعة أشهر من المعارك والحصارات ، تمكن المنصور من استرجاع بونة بطرده للامير الزيري أبي الفتوح .

فاندمجت بونة من جديد في الملك الحمادي الى منتصف القرن الثاني عشر،ففي سنة 1148 ، كان الحارث بن المنصور ، عم الملك يحيي بن عبد العزيز عامل بونة يسيطر على الوضع رغم خطر الموحدين المحدق ، لذلك نراه يعارض التحاق ابن أخيه الملك بالعراق هروبا أمام القوات الموحدية . ويمكن الاعتقاد اذن ، انه بالرغم من ولائه للحماديين كان عامل بونة الحارث يحكم كأنه أمير مستقل ، وهذا ما قد يكون تعليلا لعدم اعتناء الموحدين بعنابة في الابان .

دينار مرابطي .





ولكن هذا لم يمنع تدخل الصقليين الذين يرتمون على منطقة كانت محط أطماعهم منذ زمن بعيد ، مستغلين الفوضى الناتجة عن ضعف الدولتين الحمادية والزيرية . فأرسل روجار الثاني صاحب صقلية أسطولة تحت قيادة فيليب المهداوي لاحتلال بونة بإعانة الهلاليين (سنة 548 هـ / 1153 م) . فخربت المدينة ووقع أهلها في الأسر ، وعفا فيليب عن علماء وصلحاء المدينة فمكنهم من مغادرة بونة (انظر ابن الاثير ، الكامل ج 10 ، ص . 187) . وبعد إخضاع المدينة ، عين عليها روجار الثاني من جديد الحارث الذي وافق مقابل وضعه تحت مراقبة حامية عسكرية صقلية .

وتنتهي سلطة الحماديين السياسية بافول الملحمة الصنهاجية . بيد ان المغامرة الصنهاجية لا تنتهي اجتماعيا وثقافيا ، اذ أنها ترسم انطلاق تعريب نوميديا العتيقة عند الزحف الهلالي .

وبعد روايته لنفس الوصف الذي وضعه ابن حوقل للمدينة ، يضيف الجغرافي العربي الادريسي (المتوفي حوالي 1166 م) قائلا :

« ... ولها أقاليم وأرض واسعة تغلبت العرب عليها وافتتحت بونة على يدي أحد رجال الملك المعظم رجار في سنة 548 هـ . وهي الآن في ضعف وقلة عمارة وبها عامل من قبل الملك المعظم رجار من آل حماد . »

(الادريسي ، وصف افريقيا ... ، ص . 85 ـ 86)

واحتفظت عنابة ، من العهد الصنهاجي ، بالتصميم الذي يطابق اجماليا المدينة القديمة الحالية التي يحدها شرقا السور ، والذي يعود جزء منه (موجود بساحة بن بقة) الى جهاز القرنين الحادي عشر والثاني عشر م . أما البناية التي تمثل أكثر من غيرها هذا العهد فهو مسجد سيدي أبي مروان ، وقد خرب تصميمه الاهلي وتركيبه الأول من طرف الجيش الاستعماري الذي حوله الى مستشفى عسكري . ودراسة لما كان عليه المسجد تعطي الوصف التالي . فالتصميم العام يغطي القياسات التالية : 19,60 م عرضا ، على عمق 36,5 م . أما قاعة الصلاة حاليا فلها 19,60 م ، على 19,20 م . وتشتمل على سبعة أجنحة وسبعة مجالات . وحسب رسوم قديمة ، فقد كان يحيط بالصحن من جميع جوانبه اروقة معتمدة على سواري ، وتختص الصومعة بشكلها الهرمي المكون من ثلاثة طوابق متتالية ومتلاصقة من تحت الى فوق . أما القبة في أعلى الصومعة فهي إضافة خلال الفترة الاستعمارية .

العهد الموحدي

في أواسط القرن الثاني عشر م ، انتشرت بالمغرب محاولة جديدة لقيام امبراطورية ، بعد فشل الامبراطورية المرابطية . ويتزعمها عبد المؤمن بن علي ، أمير الامبراطورية الموحدية . وأثناء المرحلة الأخيرة من حملات التوسع نحو المغرب الشرقي ، طرد عبد المؤمن الصقليين النورمانيين وحلفائهم من بونة التي اخضعها سنة 1157 م . وحتى يعزز من قدرتها الدفاعية ، حرص عبد المؤمن على توطيد السور . وتعود بونة بوصفها مرسى الى نشاطها ، خاصة وان في عهد الموحدين أصبح أسطول الشمال الافريقي اقوى الاساطيل الاسلامية ، من حيث التجهيز والقواعد البحرية . وكان على هذا الاسطول ان يواجه أطماع الجمهوريات التجارية الاوروبية .

وبما أن العدوان أصبح غير مفيد ، قبلت الجمهوريات التجارية الايطالية بالاخص إقامة معاهدات تجارية وقنصلية .

وكانت جمهورية جنوة من الأوائل التي فاوضت الدولة الموحدية من أجل الحصول سنة 1155 م على امتيازات لصالح التجار والصيادين الجنويين في الموانيء المغربية ، ومنها بونة . ووقعت سنة 1160 م



رواق قاعة الصلاة بمسجد أبي مروان

معاهدة بحارية مع نفس الجنويين : وتنص المعاهدة على فتح الموانيءأمامهم ، ومنها بونة ، مقابل ضريبة قدرها ثماني في المائة . ومنح نفس الامتياز لبيزة سنة 1166 م ، وللصقليين 1186 م . فتحتفظ بونة هكذا باهميتها التجارية ومركزها الاستراتيجي في البحر الابيض المتوسط .

واما على الصعيد السياسي الداخلي ، فقد بقيت بونة تابعة للنفوذ الموحدي الى مستهل القرن الثالث عشر م .

وانتصب سنة 1209 م بنوغانية آخر ممثلي المرابطين ببونة ، بعد اخضاعهم تونس . وكان انتصاب إمارة بني غانية الى سنة 1226 م ، هو علاقة بونة الوحيدة بالمرابطين . ومن الأدلة القليلة على ذلك ما عثر عليه من دنانير مرابطية بمسجد أبي مروان .

ويقدم ،لنا مؤلف كتاب الاستبصار المجهول . المدينة أثناء النصف الثاني من القرن الثاني عشر قائلا :

«وبونة مدينة ازلية يعود بناؤها الى العهد القديم وبها اطلال كثيرة . وقد بنيت على نشز من الأرض يطل على البحر الذي تلطم أمواجه أسوارها ، وهي من أجمل المدن ، يكثر فيها اللبن واللحم والعسل والسمك . يوجد على شاطئها بئر منقورة في الحجر الصلد وماؤها من أعذب المياه ومن أصحها ، وأكثر سكانها يشربون منها . وبغربي المدينة مياه سائلة تستعمل لسقو البساتين والارض ، وتوجد البساتين بموضع مشرف على البحر وهو منتزه جميل . وجبل الادوغ المطل على المدينة كثيرا ما يغطيه الثلج ، والبرد به شديد ، ومن أعجب الامور أنه يوجد هناك مسجد لا يسقط الثلج عليه وتبدو كأنها نقطة سوداء وسط الجبل الأبيض .

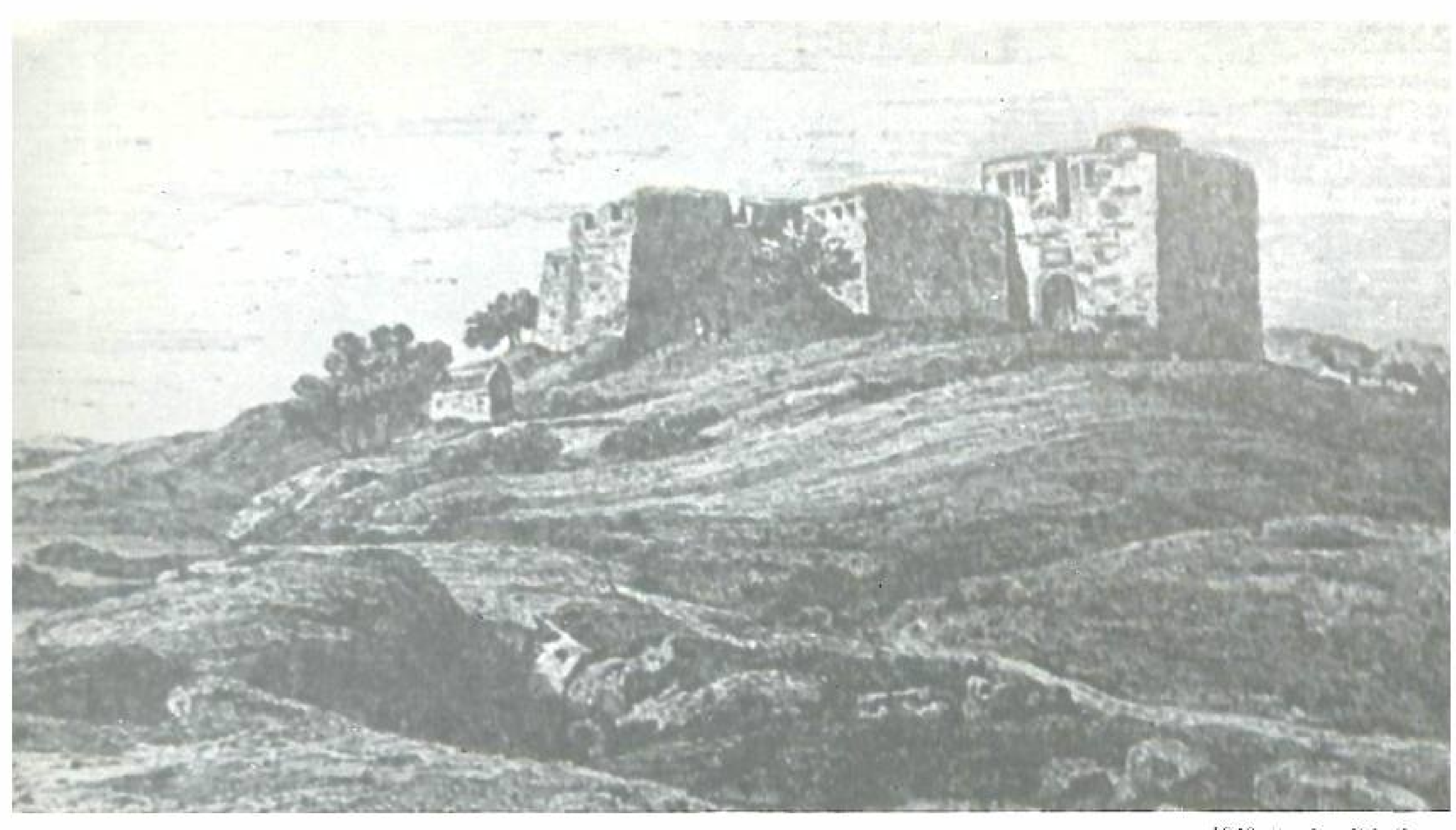
وبغربي بونة بحيرة قطرها عشرة أميال تقريبا بها سمك كثير ومطلوب . وبعيش هناك طائر يسمى الكيكل يسكن على سطح الماء حيث يضع بيضه ، وعندما ينتبه الى ان بشرا أو حيوانا يقصد. صيده يأخذ الطائر بواسطة كراعه عشه وصغاره الى قلب البحيرة حيث يكون في أمن . وهو طائر جميل معروف في مصر باسم خواص ، وجلده الاملس والجميل يستعمل في مصر كفرو يباع بثمن عالي . ويدعى مرسى بونة مرسى الازقاق وهو من أشهر الموانيء . أما بونة نفسها فتوجد على خليج يسمى جون الازقاق ، حيث الملاحة صعبة ...»

(أعيد تعريب النص عن ترجمة فانيان لكتاب الاستبصار ، ص.30 و31)

العهد الحفصي

من أجل اعادة إدماج القطاع الشرقي من افريقيا داخل الامبراطورية الموحدية أسند الخليفة الناصر الى وزيره الاول ابي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي ولاية افريقيا مؤقتا ، وكلفه بتحطيم حكم بني غانية . وكانت الحملة موفقة ولكن أبا محمد عبد الواحد قرر البقاء نهائيا بإفريقيا .

وبعد فترة وجيزة حكمت فيها افريقيا من طرف أبي العلاء عم أبي الامير الناصر ، ثم من طرف ابنه أبي يزيد ، رجع الحكم الى ابن أبي محمد ابن أبي حفص ، عبد الله بن أبي محمد بن



قلعة القصة حوالي 1840 .

قلعة القصة في القرن العشرين (واجهة غربية)

أبي حفص سنة 624 هـ/1226 م : وهكذا انطلق تشييد الدولة الحفصية في الجزء الشرقي من المغرب ، الذي كانت بونة جزء منه الى أوائل القرن العاشر هـ/السادس عشر م . ومنذ بداية العهد الحفصي ، كان حكام بونة من العائلة المالكة . فحوالي 625 هـ/30/1229 م . كان حاكم بونة أبو علي عمر بن أبي موسى عم الملك . وفي سنة 636 هـ/40 ـ 1239 م ، كلف نفس الملك ابنه أبا يحيى زكرياء ؛ وعند وفاة هذا الاخير أصبحت بونة من مشمولات انظار اخيه أبي عبد الله محمد سنة 646 هـ/50 ـ 1249 م . وقد دفن ببونة ، بالقرب من أبي مروان ، الملك ابو زكرياء نفسه الذي توفي سنة 647 هـ/51 ـ 1250 م . ولم تنقل رفات الملك الى قسنطينة الا في سنة 666 هـ/3 ـ 1262 م .

وحافظت بونة على مكانتها الاستراتيجية على الصعيد الداخلي فهي همزة وصل بحري وبري بين افريقيا والزيانيين بتلمسان من جهة ، وبني مرين بمراكش من جهة أخرى . وبونة معقل على صعيد العلاقات البحرية المتوسطية ، وسط بحر عززت فيه فكرة الحرب الصليبية القرصنة الاوروبية التي ما فتئت تقوى ضغطها على سواحلنا . وبالرغم من تقسيم الامبراطورية الموحدية ، فإن ورثائها من بني حفص في الشرق المغربي ، احتفظوا بقوة كافية مكنتهم من فرض انفسهم على الجمهوريات التجارية الايطالية وعلى دولة الاراغون باسبانيا .

وهكذا جدد الحَفصيون معاهدة 1204 م مع بيزة ، سنة 1234 م ثم سنة 1353 م . وينص الاتفاق الممضي لمدة عشرين سنة في فقراته 20 و 21 :

– 20 – **فندق بونة**

« ويقام أيضا فندق ببونة حيث يقبل أو يؤوى الاشخاص الذين يرخصون لهم ذلك . »

– 21 – **في أن تكون التصرفات نفس ما يجري بتونس**

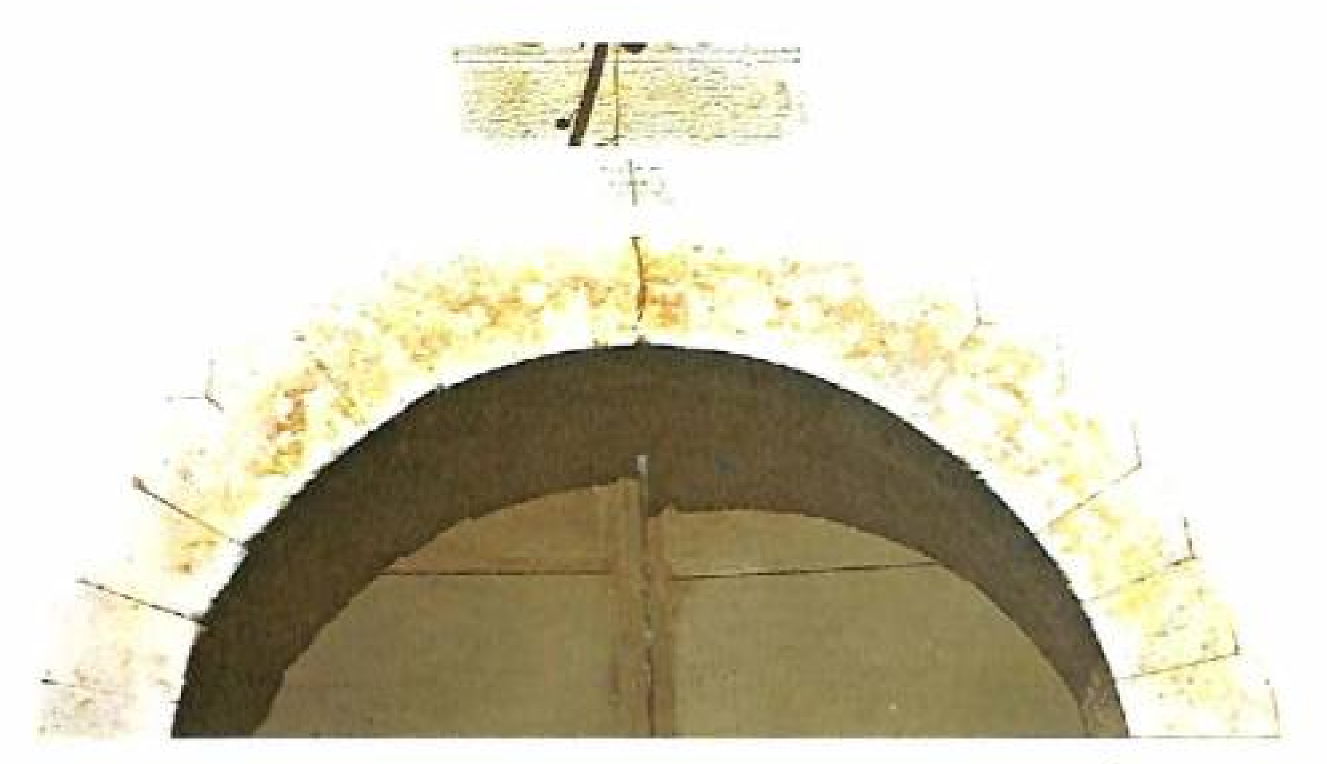
« وتتبع وتحترم في بونة نفس التصرفات الجاري بها العمل بتونس . »

(عن « بونة العسكرية »)

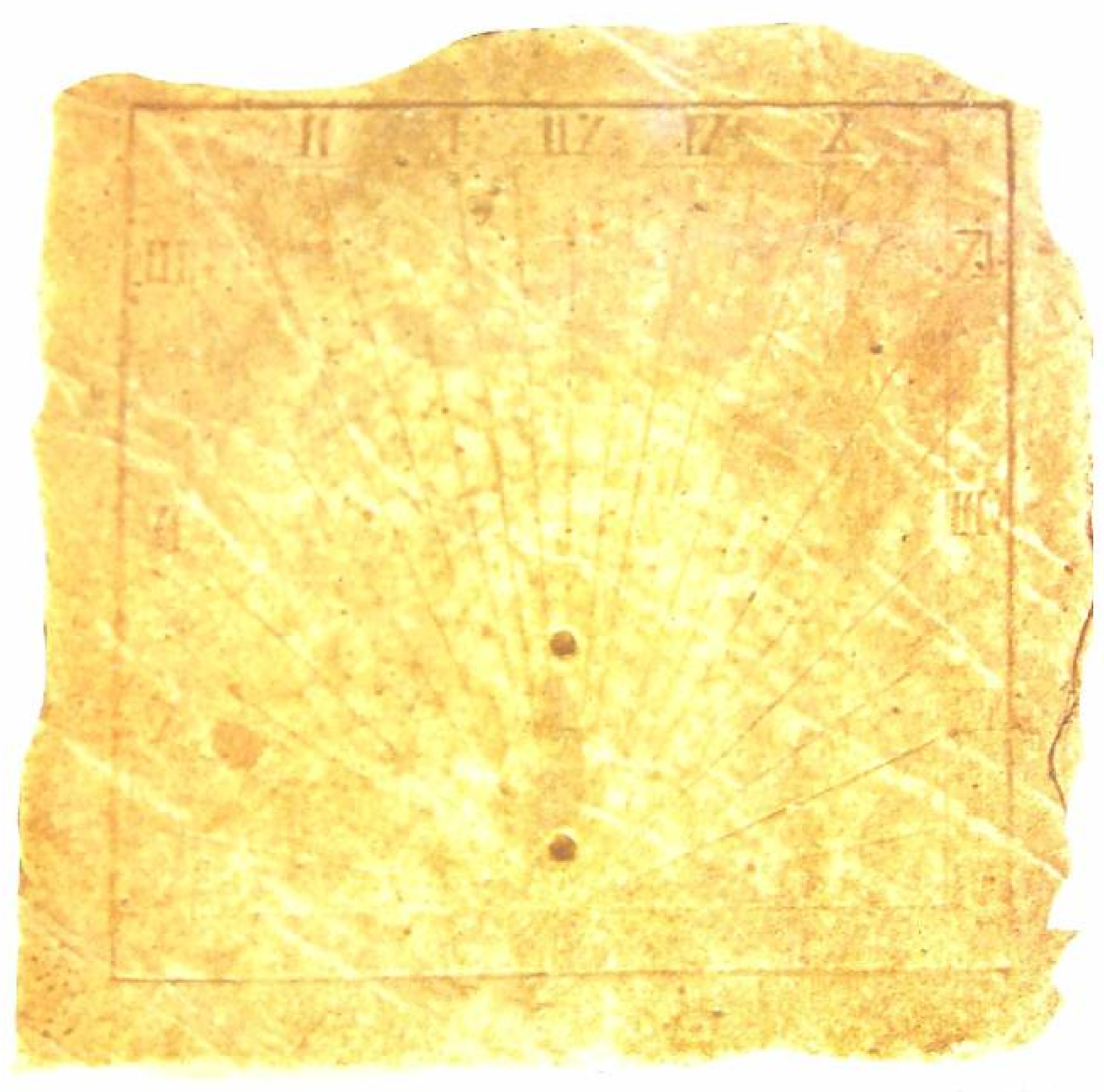
وامضت جمهورية البندقية سنة 1231 م ، معاهدة مشابهة مع الحفصيين لتعاطي التجارة مع المراسى الافريقية ومنها بونة . كما يعاد امضاء المعاهدة التجارية مع جمهورية جنوة سنة 1267 م . ويقتفي الارغون نفس الطريق مفضلا السلام مؤقتا ، فيمضي معاهدة سنة 1271 مع الأمير الحفصي أبي عبد الله المستنصر لفتح مرسى بونة في وجه التجار الاراغونيين . كما يمضي ملك فرنسا فيليب الثاني ، باسم تجار مرسيليا ، معاهدة تجارية لمدة 15 سنة .

وتتناول التجارة على الخصوص المواد الأولية ومنتوجات الارض فتأتي السفن لشراء الصوف « **بأقل ثمن وهي تساوي على الأقل في ميزتها اصواف اسبانيا وفرنسا والولايات الرومانية** » ؛ كما تشتري الشب والزيت ، والجلود والشمع والفواكه الجافة ، والسمن ... الخ ويبيع التجار الاجانب الذهب والاواني الحديدية والتوابل الشرقية . وينطلق هكذا نظام « **الكابتولسيون** » (وهو النظام الذي يوضع بموجبه الرعايا المسيحيون حتما تحت حماية الدول الاوروبية الكبرى) وهو النظام الذي سيسيطر فيما بعد ، وتنطلق المبادلات الاقتصادية ذات الطابع الاستعماري .

ويمكن النظام التجاري الاوروبي ، عند نهاية القرن الثالث عشر م ، اقتصاده الانتاجي والتوزيعي للمنتوج الاستهلاكي من التطور مع ما يواكبه من تقدم تكنولوجي وخاصة في ميدان النقل البحري .



مدخل قلعة القصبة .



[illegible]

ولكن أمام هذا ، فإن دول المغرب لا تقوى على التعايش متوازنة ، فتنازع الحفصيون والمرينيون على الاخص على خلافة الموحدين . لذلك دعيت بونة الى لعب دور مهم في إطار العلاقات الدولية عبر البحر الأبيض المتوسط ، وفي إطار علاقات الحفصيين وجيرانهم الى الغرب . فكانت ضرورة تعزيز قدرة المدينة الدفاعية بتشييد قلعة القصبة سنة 1300 م . بأمر من صاحب الملك الحفصي ابي زكرياء بن ابي اسحاق .

وتستمر بونة في استقبال حكامها من بين الثقات من محيط السلاطين . ففي سنة 1316 م عين مسرور مولى السلطان الحفصي أبي يحي أبي بكر ، بصفته قائد الجيش لاخماد ثورة قبيلة ولخاصة الذين واجههم الحفصيون ابان انتصابهم في الحكم . فقتل القائد مسرور . فخلفه ابن السلطان ، أبو العباس الفضل في بونة ، وعين السلطان لمساعدته القائد ضافر السنان . ويدل هذا الاعتناء الفائق بهذه المنطقة من المملكة ان مركزها الحساس موجود بين بجاية وبونة : اذ تمر هناك الحدود مع جيرانها بالغرب أي بني زيان بتلمسان الذين هددوا الحفصيين أثناء النصف الأول من القرن الرابع عشر م .

ولمواجهتهم تحالف السلطان الحفصي أبو يحيى أبو بكر ، مع بني مرين بالتعاهد مع سلطانهم أبي العباس الذي عزز هذا التحالف بزواجه من إحدى بنات السلطان الحفصي . ولذلك ، عند انطلاقه في اخضاع المغرب له ، بنية استرجاع الامبراطورية الموحدية لفائدته ، لا يتجاوز أبو الحسن حدود افريقيا (سنة 737 هـ /37 ـ 1336 م . ولكنه ينتظر وفاة حليفه لاستحواذه على تونس (747 هـ 48 ـ 1347 م) .

وتعود عنابة من جديد الى الحكم المستقل ، لأنها الاقليم الوحيد الذي يسوسه عضو من العائلة الحفصية .

ولا ييأس الفضل من أن يرى أبا الحسن المريني يعيده على رأس الدولة الحفصية . ولكن السلطان المريني لا يستجيب الى امله . فهو يسيطر على امبراطوريته ولا ينوي التفريط فيها . الى ان أسخط بتصرفاته الناس جميعا وخاصة العنصر العربي الذي رفض اقطاعه الاراضي . فانفجرت الثورات في كل الجهات وخسر أبو الحسن الامبراطورية التي شيدها بصعوبة .

فأغتنم الفضل الفرصة لاسترجاع قسنطينة وبجاية ثم تهيأ لاسترداد العرش بتونس . ولكن ابن أبي الحسن ابا عنان قام بانقلاب ضد أبيه وأعلن عن ارتقائه للملك بمراكش . ومن بين ما قام به هو إطلاق سراح أميرين حفصيين فاستعاد كلاهما منصبه ، ومكنوا أبا الفضل من الرجوع الى ولايته بعنابة (سنة 749 هـ /1348 م) . وفي السنة الموالية استنجدت قبائل كعوب الهلالية بأبي الفضل ضد أبي الحسن المريني ، فأغتنم الحفصي الفرصة لاستعادة تونس من جديد . فحقق حلمه في الاستيلاء على العرش الحفصي (سنة 750 هـ /1350 م) .

ولكن عنابة تشهد احتلالا مرينيا جديدا عند انطلاق أبي عنان في حملات جديدة (سنة 1357 م) . ولكن رغم عودة الحفصيين ، فإنه أصبح من الجلي أنهم لم يعودوا قادرين على السيطرة على الموقف .

ولم تساعد هذه التقلبات المتوالية المدينة على التطور وخاصة على مواجهة تقدم الامم الاوروبية المتوسطية التي اغتنمت هذا الوضع لتعزيز تنظيمها وتأكيد تفوقها في ميدان الملاحة والتجارة .



شجرة عناب تطل على الآثار

فالدول الاوروبية التي كانت أساسا في حاجة الى المواد الأولية ، أمنت لنفسها التموين بتجديدها المعاهدات التجارية : بيزة سنة 1313 م ، ثم في سنة 1353 ، أما جنوة فتحصلت على إقامة حصن على موقع مرسى ابن الاليري سنة 1401 م ، معللة ذلك بنية الوقاية من هجومات المنافسين المتوسطيين .

فاستمرت عنابة اذن ، كنقطة تصدير لاوروبا ، وهذا عندما لا تتعرض لعدوان اسبانيا الحقود وللقرصنة المتوسطية .

الحياة الفكرية

لا شك أن المدينة في فترة ما بين القرنين العاشر م . والخامس عشر م . قد طبعت بموقعها الاستراتيجي بوصفها نقطة دفاعية وسوقا اقتصادية هامة . ولكنها كانت في نفس الفترة مسقط رأس أو وطن التبنيء لعديد من العلماء والمفكرين . وقد تركت المصادر ذكر البعض منهم :

- مروان بن علي الاسدي القطان ، أبوعبد الملك البوني

هو فقيه متطلع في علوم القرآن . ولد ببونة . وبعد ان رحل الى قرطبة ، توجه الى المشرق حيث تمكن من المعرفة . وعند رجوعه الى بونة ، كرس حياته للتدريس والدراسة . وألف من بين ما ألفه تفسيرا للموطأ . وتوفي مروان ببونة ، سنة 439 هـ /1047 م ودفن بالمسجد الذي لا يزال يحمل اسمه الى اليوم .

- أحمد بن علي بن يوسف ، تقي الدين أبوالعباس البوني

عاش هذا العالم ببونة في القرن السابع هجري / الثالث عشر م . وهو من مواليد المدينة ثم غادرها للقيام بالمشرق . وقد تخصص في علم الارقام والحروف ، فألف حولها كتبا عديدة وكانت وفاته حوالي 622 هـ /1225 م .

- علي بن عبد الله الانصاري ، أبوالحسن البوني

من فقهاء المالكية ، عاش في القرن السابع هجري / الثالث عشر م . وقد ورد ذكره على الخصوص بوصفه قاضي ببجاية .

- أحمد بن محمد بن محمد بن علي العنابي

وهو نحوي من مواليد عنابة وكان حافظا للقرآن انتصب بالشام حيث درس خاصة بالمسجد الأموي بدمشق وتوفي حوالي سنة 776 هـ /1374 م .

- يحي بن أبي بكر العماد ، أبوزكرياء البوني

ورد ذكرهُ من بين حفاظ القرآن الكبار . وهو من معاصري القرن الثامن الهجري الرابع عشر م .

عنابة في التاريخ الحديث والمعاصر

تغير اسم بونة تدريجيا اثناء الحقب الاخيرة من العصر الوسيط واذا كانت تسمية بونة هي الاغلب ورودا في النصوص ، الا ان المدينة اصبحت تسمى اكثر فأكثر مدينة العناب اوعنابة ، ويبدوأن القبائل العربية المقيمة حديثا بالمنطقة والتي تأثرت بكثرة العناب كانت أميل الى تسمية المدينة بهذا الثمر .

كما تعيش نهاية العصر الوسيط انتصاب العرب الذين يندمجون في المجموعة الاجتماعية الاثنوغرافية بالجهة والأمر المؤثر أن النازحين الجدد ، رغم أنهم بدو رحل أصليا ، الا أنهم اندمجوا في حياة المنطقة الاقتصادية التي يغلب عليها الاستقرارية والانتاج الفلاحي التقليدي . وفي النهاية فإذا اسفر التوزيع البشري الجديد عن بعض التوتر السياسي ، فانه لم يؤثر على ما يبدو في الحياة الاقتصادية ، وازدهار المدينة واقليمها .

ادماج عنابة في الجزائر الحديثة

فقد الحفصيون السيطرة على مصيرهم في القرن السادس عشر م الى حد أنهم لعبوا ورقة الاسبان وأصبحوا تابعين لهم . فكانت النتيجة أن ثارت عنابة في وجه العامل الحفصي يوم 4 أوت 1534 م ، وأستغاثت بخير الدين الذي بادر صحبة بابا عروج بطرد الاسبان من مدينة الجزائر . ووصل خير الدين الى عنابة حيث ترك جزءا من أسطوله وأنطلق في حملة أطاحت بالسلطان مولاي حسن بتونس يوم 18 أوت 1534 م . ولكن شارل كان تدخل وافتك تونس يوم 21 جويلية سنة 1535 ، فتوارى خير الدين الى عنابة . فأرسل شارل كان القبطان الجنوي آدم الى عنابة ، ولكن تراجع هذا الاخير الى تونس أمام أسطول خير الدين . فكلف شارل كان الماركيس دي موندخار « **طبقا للمعاهدة المبرمة مع ملك تونس** » أن يحتل عنابة بالاستيلاء على « **قلعة القصبة** » .

« **وسيبقى الماركيس داخل القلعة ، 600 جنديا راجلا من الاسبان ويعين القبطان دون آلفار غوميز الزغل عاملا عليها ..** »

وعند وصوله يوم 23 أوت 1535 م ، أرسى الأسطول الاسباني على شاطيء « قيام الفجر » :

> « ومكث الاسبان ببونة مدة اثنى عشر الى ثلاثة عشر يوما ، وقضوا كامل الوقت في النهب الشامل . فاقلعوا حتى صفائح المرمر من جدران المنازل ونهبوا كل ما استعمل في البلاد من كبار الارحية وصغارها . أما الامتعة الكثيرة الثقل والواسعة الحجم فقد كسرت حتى يلتقط حديدها وحملت الصناديق على البواخر . كما أقلعت الابواب والنوافذ . أما السور ، من الجانب البحري ، ففتحت فيه ثغرات . »

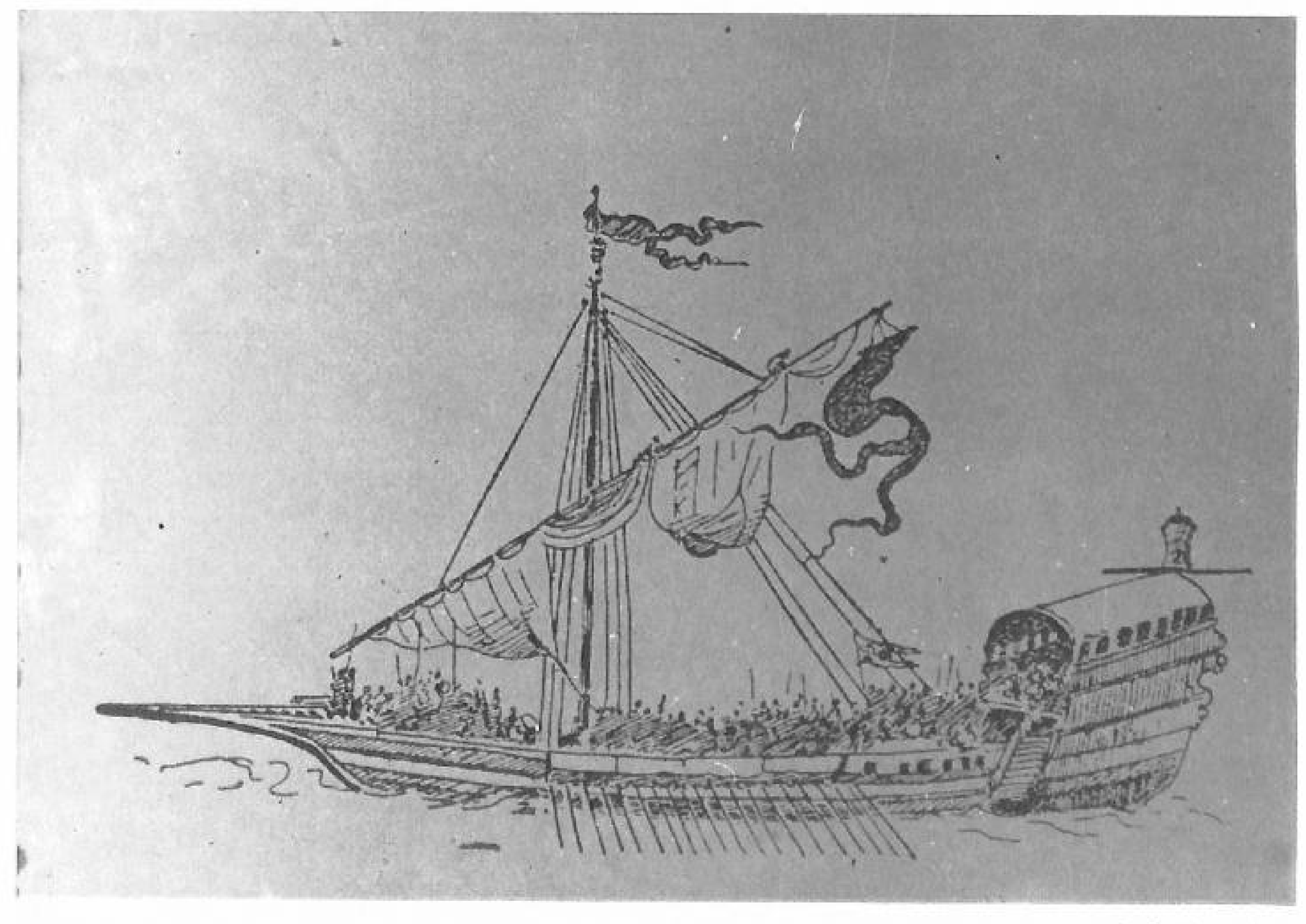
(ميترو ، « بونة العسكرية » ص.70)

وعقب هذا الفعيل بارح الماركيس دي مندخار المدينة تاركا فيها فرقتين بقلعة القصبة وعلى رأسها دون الفار ، وبالمدينة فرقة رودريغ دي أفلوص . غير أن الماركيس يعتبر في تقريره الى الامبراطور شارل كان وجوب احتلال اكثر قوة :

> « أتضح لي بعد تفحص وضعية المدينة والقلعة أنه يجب احتلالهما معا مؤقتا لأنه يصعب اغاثة وتموين حامية القلعة في حالة سيطرة الماوريين على المدينة . »

ويطلب الماركيس ميزانية لتنظيم الاحتلال الاسباني :

«سأحتفظ بالمدينة ، الى أن تعلمني جلالتكم بما يجب أن أقوم به .. ويقال أن خير الدين قد أعجب بهذه القاعدة وهو على صواب . لأنها تجمع مزايا جمة جدا تلائم اسمها . فهي حسنة الارتكاز على أرض سهلة . ومرساها محمي من الرياح وهناك واديان يسقيان مساحة واسعة من الأراضي الزراعية التي لاتقل خصبا عن ريف قرطبة . كما يوجد متسع تحتله بساتين بقرب المدينة ، وبالجبل مراعي جيدة للبقر على الجوانب المطلة على البحر .



سفينة حربية جزائرية

كما توجد أيضا مراعي جميلة في بعض المضيقات الجبليـة (...) ويرعى العرب أنعامهم حول المدينة أثناء الصيف ويسوقونها الى السهل أثناء الشتاء . وأخيرا كامل المنطقة الجبلية كثيرة الصيد فتوجد بها الاسود ، والضرابين ، والدببة والخنازير والأرانب والحجل وتكثر الخنازير خاصة (...) وقد علمت جلالتكم أن الوادي الرئيسي في وسعه استقبال العدد الكبير من الشواني التي تستطيع قضاء الشتاء هناك ، عند مدخل البحر ، في طمأنينة تامة . وقد تأكدنا من ذلك أخيرا بمكوث الاسطول هناك . ويزخر الواديان بالسمك حتى أنه يقتل ضربا بالعصي . »

(نفس المصدر ، ص.83 ـ 84)

وعند اثارته لاحتمال استعمار استيطاني ، يقترح دي مندخار ما يلي قائلا :

« ويمكن القيام بشيء آخر ، وذلك بتأهيل بونة من جديد بجلب اليونانيين أو الأرناووط (اللاجئين بجنوب ايطاليا بعد وفات ملكهم اسكندر باي سنة 1467) : وبالاستعانة بمائتين من الفرسان منهم نكون اسياد جزء عظيم من البادية ... والقلعة ، وعندما تكون الاولى والثانية آهلة بالمسيحيين ، يسهل تربية مواشي كثيرة ....»

(نفس المصدر ، ص.85)

لكن شارل كان يفضل اتباع سياسة أخرى ، فيأمر في رده قائلا :

« حتى يحفظ أمن الحامية المذكورة ، وحتى لا تتعرض لأي سوء من طرف سكان المدينة الماوريين ، بلغوا الأمر بتهديم السور رأسا على عقب بما في ذلك الابراج التي تصل القلعة بالمدينة ... وليكن من الواضح أن لن تردوا مدينة بونة للماوريين الا بعد تهديم السور ... واذا كاتبكم ملك تونس أو حدثكم عامله الذي عينه حول هذا الموضوع ، يجب عليكم التصرف بحذر ، واجابتهم أنكم تردون المدينة عن قريب ، بعد نقل الاسلحة والمؤونة التي بقيت بعيدة الى القلعة » .

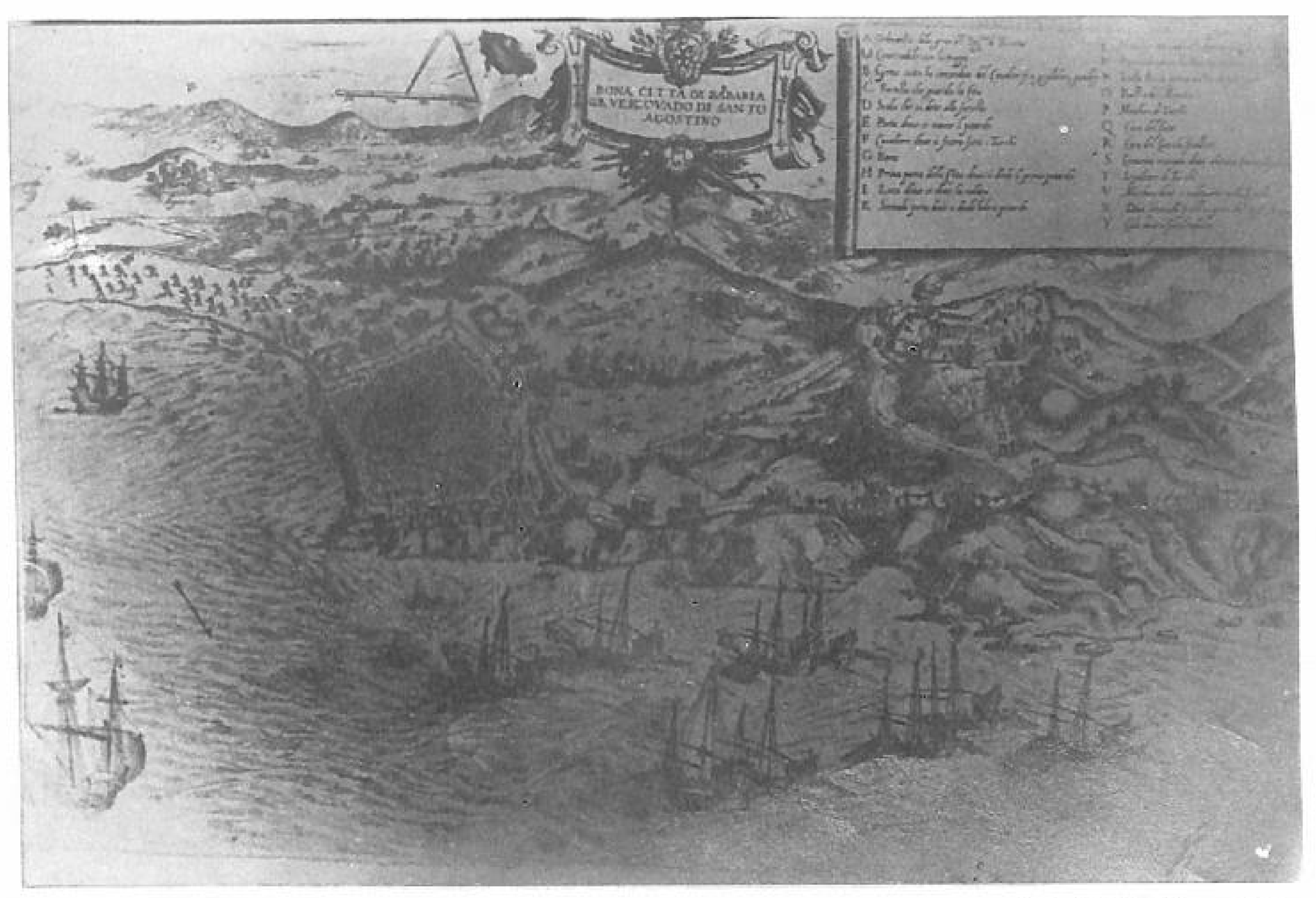
(نفس المرجع ، ص.88/89)

وينهي شارل كان رسالته بالأوامر التالية :

« حرم على جميع بواخرنا التجارية أو غيرها ... ان تتعاطى التجارة مع الجزائر أو مع أي مرسى يملكه الاتراك ولا يسمح لها الا الاتجار في وهران وبجاية وبونة وحلق الوادي وهي مدن نملكها . فهذه مراسي موجودة في أقاليم جميلة جدا وموافقة لنشاط التجار»

(نفس المرجع ، ص.93)

وهكذا فإن الامبراطورية المقدسة الرومانية الالمانية وعلى رأسها إسبانيا تفضل الاحتلال المحدود ، لأن امكانياتها لا تبدو كافية لمواجهة مقاومة محتملة ، خاصة أن الأسطول العثماني أصبح قويا في البحر الأبيض المتوسط . وتعرضت الحامية الاسبانية في عنابة للحصار والمقاومة الشعبية ، الأمر الذي جعلها تغرق ـ بعد خمس سنوات ـ في الفوضى والجنون . الى حد ان شارل كان أمر



مخطط هجوم الطوسكانيين على عنابة .

بإخلاء عنابة سنة 1540 م ، لأن الدولة الجديدة التي انتصبت بمدينة الجزائر حالت دون احتلال اسبانيا للجزائر . وهكذا ادمجت عنابة في إطار الدولة الجزائرية الجديدة التي نشأت حديثا ، وتكون عنابة جزءا من بايلك الشرق عند انتهاء عملية التقسيم الاداري بين 1557 و1567 م .

وستتعرض المدينة لهجومات عدوانية أخرى ، أخطرها عدوان تجمع ثلة من المغامرين تحت قيادة دوق طسكانة سنة 1607 . على أن موقف النظام التجاري الاوروبي تجاه عنابة هونفسه تجاه المراسي الأخرى ، إذ يتخذ طريقة جديدة في التغلغل : وهي التجارة.وفي هذا الميدان تكون عنابة أحد نقط التجارة المتوسطية .

التركيب البشري :

نتج هيكل التركيب البشري بعنابة وجهتها عن تطور انتصاب مختلف الفئات البشرية منذ العهود العتيقة البعيدة الى أواخر القرن الخامس عشر م . وتستقبل المدينة ، نفسها ، الى جانب الأعيان المنتمين للعائلات الكبيرة بالجهة ، الأندلسيين المطرودين من اسبانيا . وأما المنطقة التي تغطي جزءا من جبل ادوغ غربا ، والسهل البحري حتى القالة شرقا والاودية جنوبا فيأهلها سكان منحدرين من اختلاط عنصرين بشريين رئيسيين النومديين والعرب . وكانت النتيجة في العهد المعاصر تكوين مجتمع مستقر ، من الفلاحين ومربي الماشية ، متعلقين بالأرض شيمتهم التفتح على الآخرين ومتسامحين بطيبة خاطر مع كل من قصد بلادهم .

التنظيم السياسي والاداري :

تتبع عنابة وجهتها ، في التقسيم الاداري ، بايلك قسنطينة . وكان التنظيم السياسي والاداري متشعبا ، لأنه من جهة ، هناك تنظيم داخل البلاد المعتمد على المؤسسة القبلية ، ومن جهة أخرى هناك تنظيم المدينة الملحق بالحكومة المركزية .

التنظيم داخل البلاد:

واعتمادا على اللوحة السابقة ، يتضح أن الجهاز الاداري المحلي ينقسم الى ثلاثة تقسيمات فرعية : إقليم **أهل المخزن** ، وأقاليم **الرعايا** ، وأقاليم التابعين أو الاحلاف ، وأقاليم مستقلة . وفي الواقع ، فاستعمال كلمة «أقاليم» لا يفي بالمعنى ، لأن مختلف الأقاليم متداخلة في نفس المنطقة الجغرافية . فالوحدة الادارية القاعدية إذن هي المجموعة البشرية : العرش القبلي والفرع ... الخ ولذلك يمكن للجزء من عرش أن ينتمي الى «قطاع اداري» مختلف عن جزء آخر من نفس العرش القبلي .

ويمثل أهل المخزن الجماعات القبلية التي تنهل منها الحكومة فرق الخيالة ، والتي توزع عليها الأراضي اقطاعا . وكان القطاع المخزني محدودا .

أما الرعايا فهم السكان الذين تمارس بينهم سلطة الحكومة مباشرة ويسوسهم قائدان ، قائد الساحل وقائد الادوغ . وباستثناء بني صالح المقيمين في الجنوب الشرقي ، يعيش الرعايا بالموطن الموجود قرب عنابة المباشر .

والتابعون والمستقلون أقوام يتمتعون بحكم نصف ذاتي أو بحكم ذاتي تام ولا يخضعون لمراقبة الادارة المباشرة . وغالبا ما تدير شؤونهم مشيخات وراثية . وهؤلاء هم أغلبية العناصر الاجتماعية والسياسية .

ويملك الرعايا والتابعون والمستقلون اراضيهم في إطار نظام الملك (الملكية الخاصة) وفي إطار نظام العرش .

وبالاجمال فلا يساس داخل البلاد ، مباشرة أو غير مباشرة الا على أساس جمع الجباية وفي حالة الجهاد .

أما الاجانب النازلون بعنابة فيستقبلون بمنزل مخصص لهذا العرض ، ويهتم بهم موظف هو **المحرك** (نوع من ضابط شرطة مكلف بالاجانب) .

مؤسسات المدينة الادارية

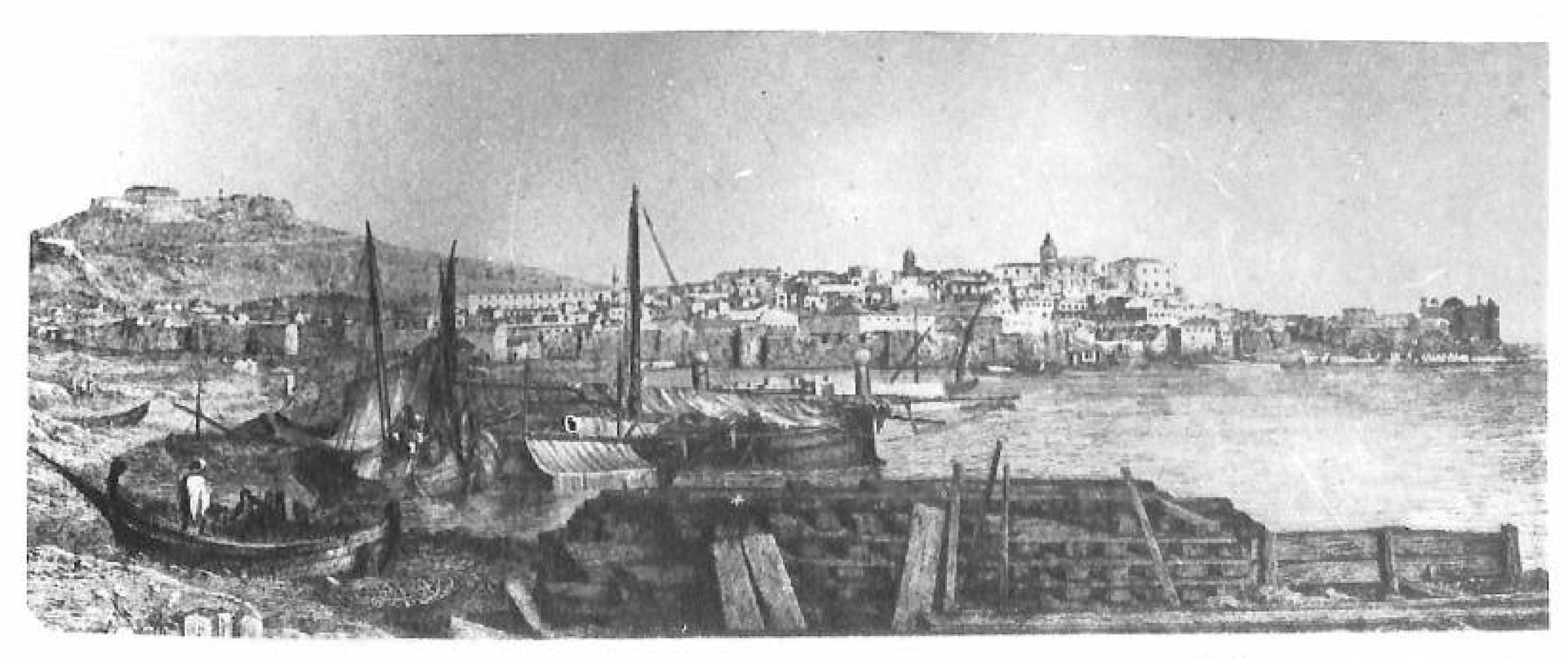
كانت الادارة البلدية من مشمولات انظار **شيخ المدينة** الذي يمثل الاوليغارشية المدنية بالدرجة الاولى .

ونظمت التجارة الداخلية والصناعية التقليدية في إطار التجمعات المهنية التي يترأس كل واحدة منها **أمين** . كما كان التجار الاجانب منظمين أيضا اذ تذكر المصادر مثلا ، **أمين تجار جربة** .

وتمثل حكم الباي سلطات محورها الحامية العسكرية . فعلى رأسها يوجد الآغا وهو قائد الحامية ، الذي يعتمد في الامور السياسية على **الديوان** وعلى **شيخ الاسلام** السلطة الدينية العليا ، وأمين تطبيق المبادىء الاسلامية . ويعود القضاء بالنظر الى قاضي المالكية وقاضي الحنفية . ونذكر من بين الموظفين الهامين **وكيل الحرج** (الضابط المكلف بإدارة الحامية) ، **والخوجة** (الكاتب بالمحاسبة) والشاوش (المكلف بالتشريفات) **وقائد الزبل** (مكلف بنظافة المدينة) **وقائد الدخان** (مكلف بتجارة التبغ) .

وتتكون الحامية بصفة عامة من **نوبة** تنقسم الى خمس سفرات وتنتدب الحامية على الاخص جنود الانكشارية ويبلغ عددهم المائة تقريبا يعززهم جنود اضافيون ينتدبون من بين **أهل المخزن** (ويسمى الجنود الاضافيون **المالكية**) .

وتعود التجارة الخارجية بالنظر الى الباي ، لذلك يديرها موظف معين من قبل الباي مباشرة وهو **المركانتي** الذي يحمل لقب **قائد** . وابتداء من أواسط القرن الثامن عشر ، أصبح هذا الموظف ، مع **الآغا** ، صاحب الادارة الفعلي بعنابة .



عنابة وميناؤها حسب الخوري حوالي 1842

قبل الشروع في وضع خطوط اقتصاد عنابة السريعة ، نترك المجال لشهادتين عن عنابة أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر :

عنابة في أوائل القرن السادس عشر :

« يسمي اكثر الناس هذه المدينة الحديثة **بلاد العناب** لكثرة هذه الثمار في هذا المكان . ويخفف الناس العناب ويأكلونه في الشتاء.
وتعد المدينة ثلاثة آلاف عائلة ، والسكان كثيروا الكثافة غير ان الديار الجميلة قليلة . ويوجد بالمدينة مسجد جميل مبني على نحر البحر .

والرجال بها ظرفاء . منهم التجار والآخرون صناع أو نساجون ، وهؤلاء الاخيرون يبيعون قسطا وافرا من أقمشتهم في مدن نوميديا (..) .

ولا توجد عيون ماء ببونة ، ولكن صهاريج مياه المطر . وترى بالجانب الشرقي من المدينة قلعة كبيرة تحيط بها جدران سميكة ، وقد شيدها ملوك تونس . ويقيم العامل بالقلعة . وخارج المدينة زرعت البادية على مساحة اربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا . وهي أرض جيدة لزراعة القمح تقطنها قبيلة عربية تسمى مرداسى التي تفلحها وتملك القبيلة بقرا وأغناما عديدة ، ويعطي هذا البقر من الزبدة قدرا كبيرا حتى ان العرب عند بيعه ببونة لا يربحون من الدراهم الا القليل . وكذلك الأمر بالنسبة للقمح ، وتأتي البواخر عيدية كل سنة من تونس وجربة ومن جميع الساحل وأيضا من جنوة لشراء القمح والزبدة من بونة : وكانوا يستقبلون بطيبة قلب .

ويقام السوق كل يوم جمعة خارج المدينة ، قرب السور ويستمر الى السماء ،

وغير بعيد عن بونة يوجد شاطيء به المرجان . وليس لأحد الحق في اصطياده في البحر أو جمعه على الساحل ، لأن الملك أجر هذا الشاطيء للجنويين الذين طلبوا منه رخصة بناء قلعة به لأن القراصنة أزعجوهم . ولم يرض السكان متعللين أنه في مرة سابقة ، استحوذ الجنويون على المدينة ونهبوها بإستعمالهم مثل هذه الحيلة وقد استرجع أحد ملوك تونس القلعة فيما بعد . » .

(ليون الافريقي = الحسن الوزاني ، **وصف افريقيا**
ج 20 . ص.370 و371)

عنابة في أواخر القرن السابع عشر :

« (...) يسميها العرب موضع العناب ، لوفرة هذه الثمار بها ... ويسميها المسيحيون **بون** (أي حسنة) بحق ، لأنه أحسن وأخصب موطن في بلاد البربر ، وحيث الهواء الصحي . وهي مسورة ، ولها بابان احدهما باب البحر والآخر باب القصر الذي لا يبعد عنها الا مسافة نصف رمي رمح . وهو مقام على تل يشرف على المدينة وقد شيده ملوك تونس منذ

عهد قريب ، لاقامة العامل والحامية : فقبل احتلال شارل كان لهذه المدينة وقبل حلول خير الدين بها ، كان أهل المدينة في حد كبير من الثراء والكبرياء الا أنهم كانوا غالبا ما يقتلون الولاة ويهددون بتسليم المدينة للمسيحيين ، إن لم يرسل قبلهم ذوي الشرف . وقد أتقن بناء المساكن بهذه المدينة وبها مسجد تحاذيه مدرسة حيث تدرس شريعة محمد . ولا يوجد بها ولا بالقصر آبار ولا عيون ، بل صهاريج كبيرة تتجمع فيها مياه الامطار الجارية من فوق سقوف المنازل ، وهي سقوف على شكل سطحة يكسوها فراش من الجير والتراب والاسمنت . وفي أسفل القصر ، نحو الجنوب هناك بساتين جميلة وديار نزهة ورياض عديدة بها أشجار ذات الثمار الجميلة . ولبونة ميناء صغير غير محمي من الريح تتجر فيه البواخر بالجلد والصوف والزبدة والتمور وسلع عديدة أخرى تزخر بها البـلاد .

وهناك سهول (البحيرة) طولها أربعة عشر ميلا وعرضها ثمانية أميال ، تسوح فيها جماعات كبيرة من البربر منهم الشاوية وبنو مرداس وبنو عدوان وبنو منصور يعيشون في الدواوير مثل العرب وهم أغنياء بالقمح والخيول والابقار . يتوجهون كل يوم جمعة الى سوق تقام بأبواب المدينة يؤمها تجار تونس وجربة وطرابلس وحتى تجار جنوة لأن الارباح بها وافرة .

وبشرقي المدينة شاطىء مقوس يصطاد فيه المرجان . أعتاد ملوك تونس ايجار هذا الصيد للجنويين الذين عندما رأوا القراصنة يهاجمونهم ، تحصلوا من الملك على رخصة بناء قلعة على صخرة . وعارض السكان وبينوا للأميران المسيحيين انقضوا فيما مضى على بونة بإستعمال نفس الحيلة ولم يصل الجنويون الى مقصدهم آنذاك ولكنهم تحصلوا عليه فيما بعد .

وبجنوبي وغربي المدينة ترتفع الجبال المريحة والبهيجة متصلة بجبال قسنطينة ، تكثر فيها العيون والفواكه وجميع أنواع الصيد .

«وغربي المدينة ترتفع روابي طويلة خصبة بالقمح (...) . وتمتد هذه الروابي من الشرق الى الغرب مسافة ثمانية وعشرين ميلا على عشرة أميال عرضا ، ليس بها مدينة ولا قرية ، ويسوح في أرجائها العرب والبربر وبها عدة عيون يتولد منها بعض الوديان التي تجري عبر البلاد وتنصب في البحر . وعندما استولى خير الدين على تونس ، استولى على بونة أيضا ، ووضع في قصرها حامية يقودها تركي ، ولما استولى شارل كان على تونس (سنة 1535 م) بعث أيضا باندريا دورية على رأس ثلاثين سفينة وألفين من رجال الحرب للاستيلاء على بونة ، ولكنه وجد انها أخليت من سكانها الذين تركوها اتباعا لأمر خير الدين ، فمنهم من تركها بحرا ومنهم برا ، فرجع اندريا دورية الى حلق الوادي بعد ان استولى على البعض من السفن الراسية ، بدون ترك حامية بالمدينة ولا

بالقصر = ولما أخذ الأمبراطور طريقهُ الى ايطاليا أمر البحرية الحربية المتوجهة الى اسبانيا ان تترك حامية بعنابة عند مرورها . وكان ذلك . وأول والي هو الفار غوميز زغل (...) وبعد موت هذا الوالي أمر الامبراطور بالتخلي عن هذا الثغر ، بعد قعر السور وتخريب بروج المدينة والقصر ، ولكن رممت المدينة والقصر بروجها لطيبة البلاد .

ولما لم يستطع ملوك تونس المحافظة على هذه القاعدة استولى عليها الأتراك فعمروها بشرا وحصنوها . » .

(مارمول ، «**افريقيا**» ج 2 ، ص.434 ـ 437 ، باريس 1667)

ان انطباعات هذين الرحالتين مفيدة وايجابية على العموم . فكل منهما ، ويفصل بينهما قرن من الزمن ، يقدم مدينة وجهة تتمتعان بحركة اقتصادية مضاعفة ، داخلية وخارجية .

سكان عنابة :

يصعب وضع تقديرات لسكان عنابة من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر = غير ان التغيرات هامة = واعتمادا على مختلف المصادر نقدم التقديرات الأرقام التالية :

1607 =	8,000 الى 10,000	ساكنا
أوائل القرن الثامن عشر =	12,000	ساكنا
1808 =	4,000 الى 5,000	ساكنا
1830 ـ 1842 =	1,500	ساكنا

فبعد زيادة ملحوظة من بداية القرن السادس عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، يصاب سكان عنابة بنقص كبير في العدد . ويبدو ان سببه الرئيسي مساوي الطاعون الذي لم ينفك يخرب الجهة ابتداء من سنة 1783 . وبلغ عدد الموتى يوميا ، سنة 1786 و 1787 ، اثناء أشد اوقات العدوى ثمانون الى مائة ميت . وفي سنة 1830 نتج خلو المدينة من السكان عن جلاء السكان امام انعدام الامن الذي خلقه الاحتلال الاستعماري .

النشاطات والمنتوجات :

تعتبر الفلاحة النشاط الأولي للجهة ، ويضاف إليها الصيد البحري ويعتمد الانتاج الفلاحي على الحبوب : القمح والشعير . وتنتج الجهة ، وهي غنية بالاغنام ، اللحم وخاصة الجلد والصوف الذي خلف تدريجيا كمادة أولية ، زريعة الكتان . ومن بين المنتوجات الأخرى نذكر التبغ ، اذ كان من بين الموظفين **قائد الدخان** .

وللزراعة الشجرية مكانتها ، ومنها شجر الزيتون ، وعرفت غابة الزياتين بعنابة انتشارا ملحوظا عند قدوم مصطفى قردناش وهو من مهاجري الأندلس ، الذي يبدو أنه غرس ثلاثين ألفا من شجر الزيتون في إقليم عنابة . وتأخذ الغابة بنصيبها أيضا في هذه المنتوجات بتقديمها للحطب الصالح خاصة للصناعة النوتية . وفي الأخير تنتج الجهة كميات وافرة من العسل والشمع .

وتملك الجهة موادا معدنية أولية منها النحاس والحديد . ويستخرج النحاس من جبال الادوغ ، بعين بربر ، ويستخرج الحديد من **مقطع الحديد** ، ومن تلال **بوحمرة** ومن منطقة **مجاز**

الرسول ، ومن عين **أم الرخاء** ، ومن منطقة **وادي معجوبة** .

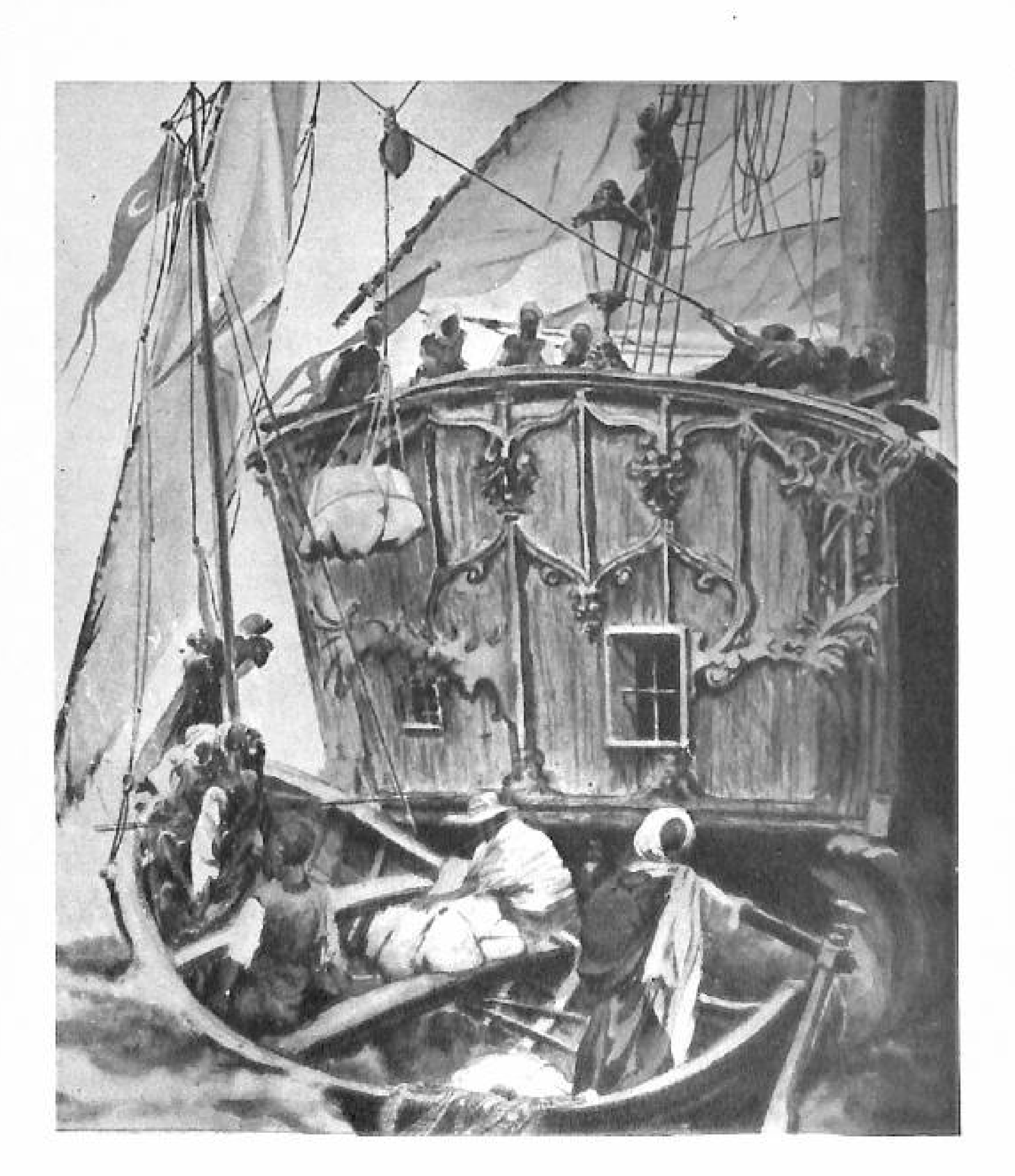
ولم تكن الصناعة والصنائع غائبة . إذ يبدو أن صناعة النسيج كانت مزدهرة ، على الأقل أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر ، اذ يؤكد **ليون الافريقي** على هذا النشاط الصناعي . ويملك المرسى دور صناعة واصلاح السفن ، وقد ورد ذكر دار الصناعة منذ القرنين العاشر والحادي عشر ، وتواصل هذا النشاط الى القرن الثامن عشر على الأقل مع تطور القرصنة والأسطول البحري .

وبصفتها مركز تجاري ، كانت عنابة سوق لكل جهة . وكان يوم الجمعة يوم السوق ترى فيه عنابة وفود 6,000 شخص في بعض الأحيان . وزد على ذلك ، يقدم حي المدينة التجاري أسواقا مختلفة منظمة على غرار الأسواق الاسلامية جميعها .

وعرف هذا النشاط الداخلي تقلبات عديدة . ومن الراجح ان فترات الازدهار استمرت من منتصف القرن السادس عشر الى منتصف القرن الثامن عشر ؛ ثم أخذ النشاط في التداعي ابتداء من هذا التاريخ ليبلغ حده الأدنى في بداية القرن التاسع عشر ، ويشهد التطور السكني على ذلك .

التجارة الخارجية :

إنها قطاع هام . فبعد غزوة أخيرة وغير مجدية على الساحل العنابي أمر بها حاكم نربونة سنة 1626 م ، فضل هذا الأخير ترك المفاوضة تعتني بإعادة تنصيب مركز تجاري بعنابة . ففاوض الكابتان القرصيقي **شمشون نابولون** سلطان الجزائر من أجل معاهدة تنصيب مركز تجاري ، وكان ذلك يوم 20



سفينة تجارية جزائرية .

سبتمبر 1628 م ، مقابل اتاوة سنوية مقدارها ستة وعشرون ألفا من الدوبل (حوالي ثلاثة ملايين دينارات حالية) فكانت بداية زرع المراكز التجارية الفرنسية بعنابة والقالة وستستحوذ هذه المراكز على كامل التجارة التصديرية لا بالنسبة لعنابة فحسب ولكن بالنسبة لكامل ولاية قسنطينة . وأدى تعكر علاقات الجزائر مع فرنسا ريشيليو ، بين 1637 و1638 ، الى غلق المركز التجاري الفرنسي بعنابة . فاغتنم الانجليزيون الفرصة حتى سنة 1694 م .

وانشأ التجار الفرنسيون سنة 1666 الشركة الفرنسية التي تنتصب من جديد بعنابة . وبعد بداية متعثرة تأثرت برداءة العلاقات بين الجزائر وفرنسا ، أبرمت الشركة يوم أول جانفي 1694 ، معاهدة مع ديوان الجزائر . وينص البند الخامس منها .

«فيما مضى (...) وفي آخر كل شهرين ، كان مبلغ خمسمائة ريالا يدفع بين أيدي قائد مدينة بونة . وابتداء من الآن لن يدفع الى القائد (...) فيجب ، كل شهرين ، دفع مبلغ خمسمائة ريالا الى الشخص المعين من قبلي في منصب آغا نوباجي (قائد الحامية) (...) ولعون الشركة المقيم بعنابة أن يتنقل كيف ما بدأ له الى قلعة القالة . وسيمنحه الآغا الرخصة بذلك» .

(عن ميترو ، «بونة العسكرية» ، ص . 125)

وتحصلت الشركة ، زيادة على الامتياز في صيد المرجان ، على احتكار التجارة مع فرنسا . ثم سلمت الشركة الفرنسية امتيازاتها لشركة افريقيا سنة 1713 فأحدثت هذه الشركة بدورها مراكز بعنابة والقالة . وفي سنة 1714 أصبحت التجارة تابعة لشركة افريقيا الملكية . والملاحظ أنه من وراء هذه التسميات المختلفة يظل الاحتكار بين أيدي التجار المرسيليين . ولم تتخذ الشركة تسمية وكالة افريقيا الا في سنة 1794 ، متعاطية التجارة باسم الدولة الفرنسية المنبثقة عن ثورة 1789 .

ويستغل الفرنسيون والايطاليون مرجان عنابة والقالة أقصى الاستغلال الى حد استنفاذ المرجان بعنابة في القرن الثامن عشر . وكانت الشركة «التي تشتري كامل الصيادة . وتبيعها في مصر وفي تونس وفي غينيا» ، تقتني المرجان بسعر 4 الى 14 ليرة لتبيعه بسعر 48 الى 96 ليرة ؛ كما تستحوذ الشركة على الجلود وعلى الشمع وعلى الصوف وعلى القمح . ويفرض قانون الشركة الداخلي لسنة 1767 ان :

«يراقب الوكيل العون المكلف بشراء الجلود والشمع حتى لا يشتري الجلود بأكثر من قيمتها المحدده وحتى لا يكون الشمع مغشوشا . وبما أنه يحدث في غالب الأحيان ، ان يطلب الاتراك شراء الشمع متعللين في ذلك بمختلف الاسباب ، فيجب على الوكيل أن يسهر على ان لا يمد منه الا لمن تقدموا برسالة من الباي أو من أحد ضباط ديوان الجزائر (...) . وعلى الوكيل ان يطالب مسبقا بحمولتي القمح الممنوحتين من طرف الحكم العثماني ، وعليه أن يجد الوسائل وان يغتنم جميع الفرص للحصول على شراء أقصى ما يمكنه من المواد الغذائية» .

(نفس المرجع ، ص.130 و131)

ويلاحظ أن احتكار الحصول على السلع يقع على حساب البلاد والاقتصاد الجزائري .

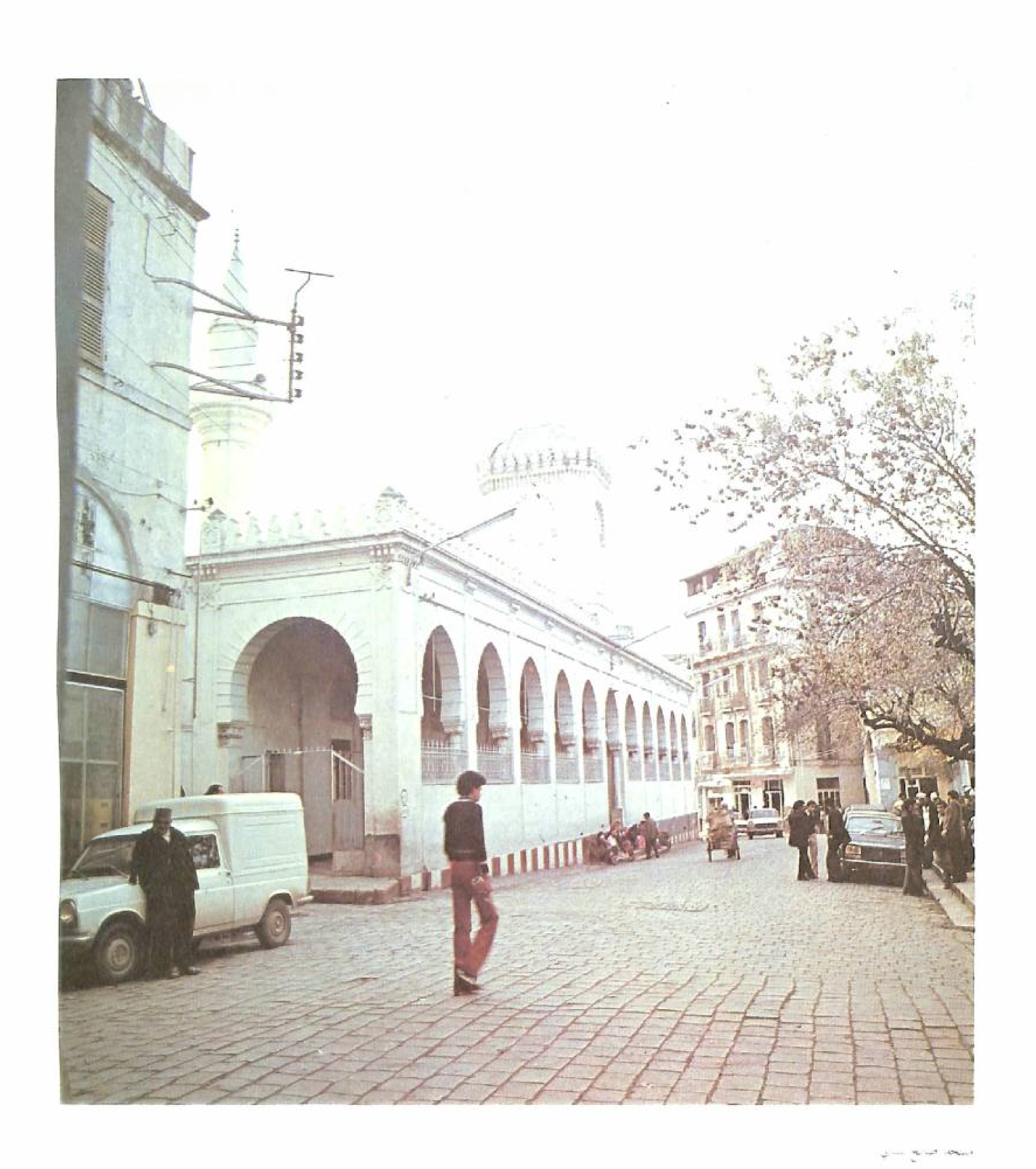
وقد أصبحت الحاجة الى القمح أكثر الحاحا ابتداء من ثورة 1789 الفرنسية . حيث تلقى مدير الشركة بعنابة ، غيبرت ، التعليمات الآتية :

«... يكلف غيبرت بجمع كل ما يمكنه من القموح لفائدة شركة افريقيا ومهما كان الخطر عليه وعلى ارزاقه حسب ما يراه صالحا . واذا كان لليهود أو المحايدين بعنابة قموح ، فعلى غيبرت أن يبذل الجهد مستعملا جميع وسائل الحذر ، لشرائها مع وجوب دفعها في احد موانيء الجمهورية ... ويدفع ثمن القمح حسب إختيار البائع ، أما في مكان انزال القمح ، وإما في بونة ، أو في الجزائر ، أو في ليفرنه ، بالعملة المتفق عليها ، بعد دفع القمح في المكان المعين . ويطلب من المواطن غيبرت أن يحتفظ بالسر ما أمكنه حول عملياته وعلمياتنا ...»

(نفس المصدر ، ص.143 _ 144) .

ولا تستعمل هذه التجارة الا راية الملاحة الأجنبية . ولا يقوم الأسطول الجزائري فيه باي دور البتة . والتبادل المنصوص عليه في المعاهدات لم يطبق حتى ولا في صالح يهود عنابة : فلم يتمكن أي تاجر عنابي من الانتصاب بمرسيليا ، فكان «اقتصاد عبيد» . وكان حجم المبادلات ظاهريا في صالح مرسى عنابة والجهة التي يمونها . بيد أنه في الواقع تعود أرباح المبادلات على احتكارين متطاحنين وهما الداي والباي من جهة لأنهما يستخرجان من هذه التجارة الجبايات للتخفيف من وطأة ضعف موارد الجبايات الداخلية ومداخيل القرصنة ، والتجار الفرنسيون الذين يتحصلون على ربح وافر بشرائهم بأسعار يفرضونها وبيعهم بنفس الشروط حتى للجزائريين : وهذا ما يقع مثلا بالنسبة لتجارة الشمع ، وكانت نتيجة هذه الوضعية المتشعبة أن وصلت الى مرحلة الاستحواذ الموالية ؛ وهي تملك البلد المنتج نفسه من طرف النظام التجاري الاوروبي .

وكان لهذه الوضعية تأثير داخليي ، اذ انتهت الى ضجر سكان عنابة الذين أصبحوا يتحملون أقل فاقل معاملة **القائد المركانتي** لهم وقد وقع تعيينه سنة 1827 .



نبذة عن تاريخ العمران

المدينة من القرن الحادي عشر الى القرن التاسع عشر

انتصب المدينة على بعد ثلاثة كم شمال بونة العتيقة . وقد وقع تشييدها على الطرف الجنوبي البحري الذي ينهي امتداد جبل ادوغ نحو الخليج . والى حد 1832 لم يكن في الامكان الوصول مباشرة من المدينة الى رأس الحمراء والعكس ، الا بمحايدة كامل الجبهة البحرية وبالمرور عن طريق وادي القبة ثم الوصول الى المدينة من الجهة الغربية . ومن هذه الزاوية ، فإن مدينة بونة ـ عنابة مدينة منيعة ، خصوصا ابتداء من القرن الرابع عشر عندما شيدت قلعة القصبة معززة دفاع المدينة .

وتحتل الأراضي الموجودة بشمال وغرب المدينة في اتجاه الادوغ البساتين التي تمون المدينة بالفواكه والخضر . وزيادة على ذلك كانت هذه المواضع منتزهات عنابة غرست فيها أشجار الزيتون واللوز وغابات بمختلف أنواع الشجر .

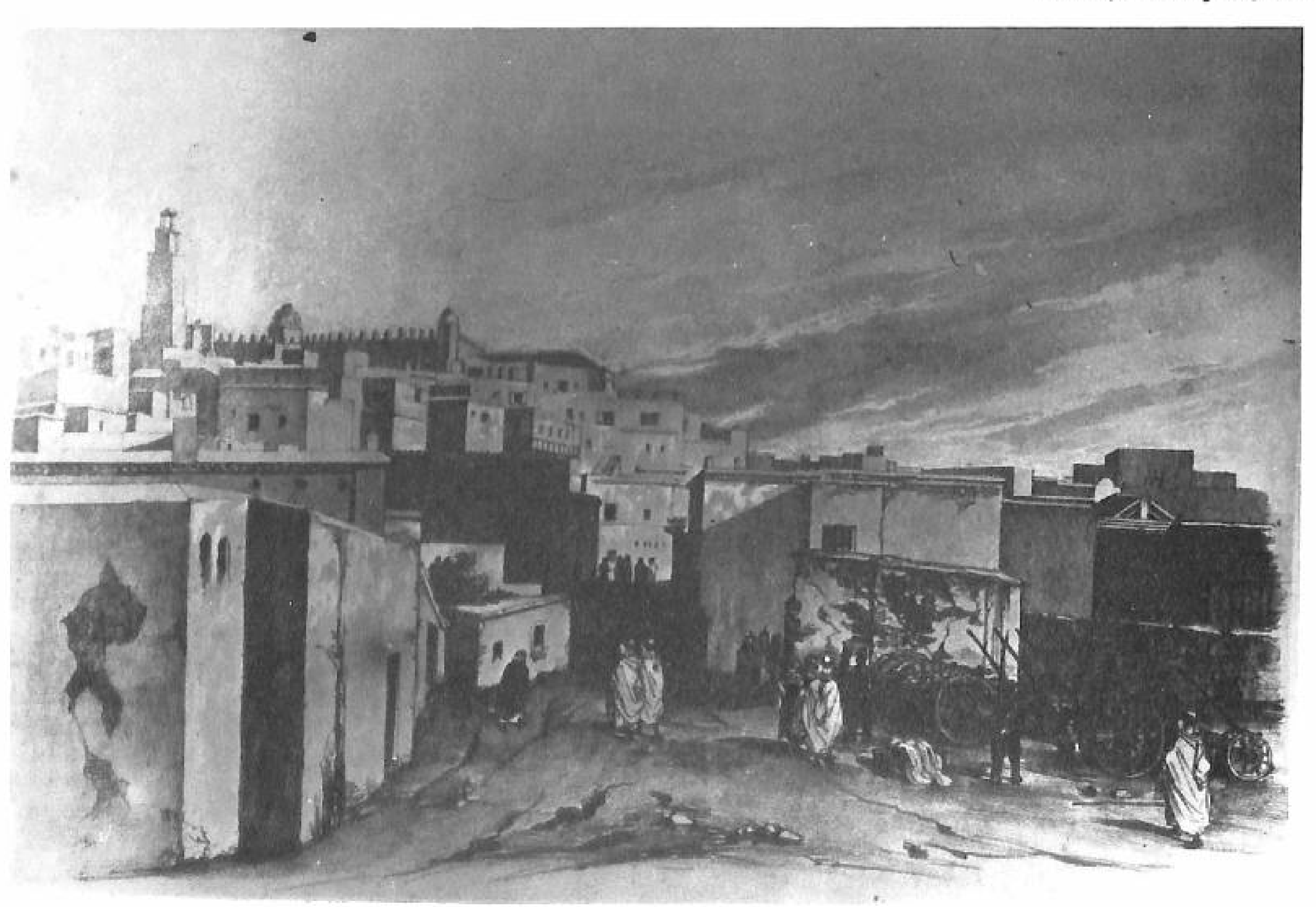
وتقدم المدينة المسورة من جهاتها الأربع ، قبيل الاحتلال الاستعماري ، التوزيع التالي :

المدينة داخل السور :

ـ المباني العمومية والدينية

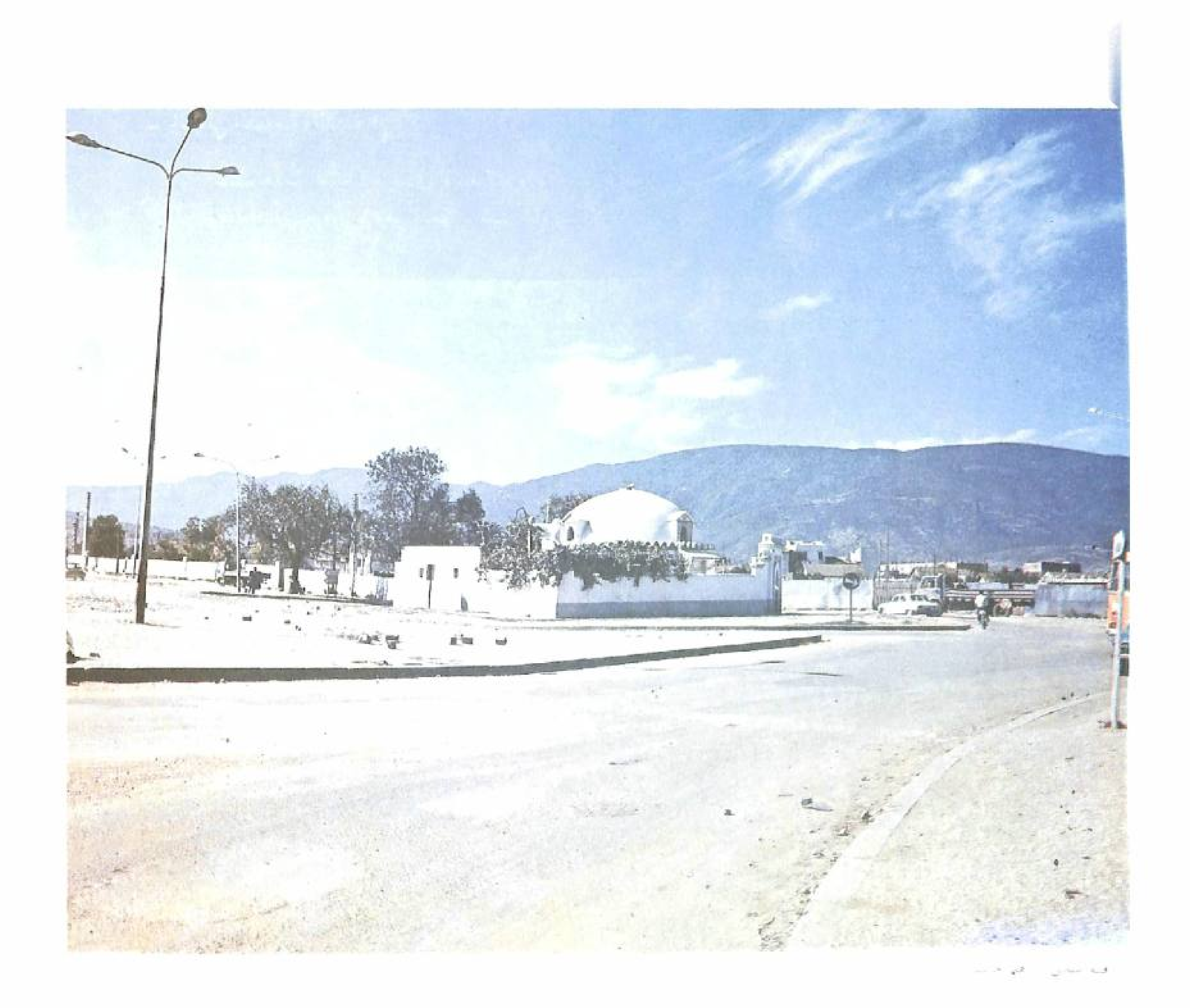
كانت مدينة عنابة تعد مباني دينية كثيرة ، حدد موضع أربعة منها ولم يصلنا منها الا أثنان . الاول هو مسجد أبي مروان ، وهو أقدمها ، شيد أثناء القرن الحادي عشر م . وهو يمثل المذهب المالكي ،

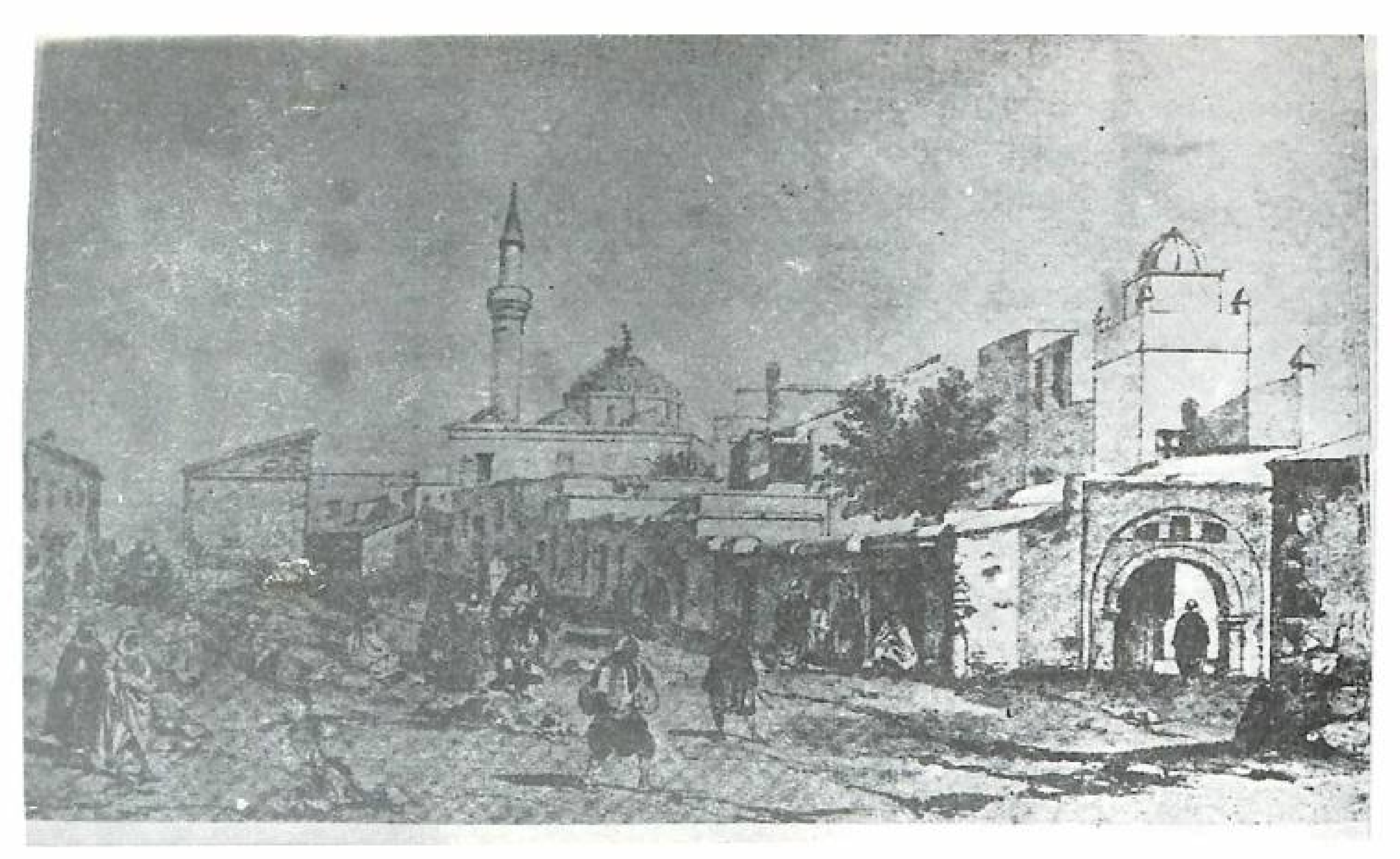
منظر من داخل المدينة حوالي 1840 .



وقد بني المسجد مستندا الى السور الشرقي ، بالقرب من زاوية الأسوار الشرقية . ويعلل موقعه في طرف المدينة لأنه كان جزءا من الجهاز الدفاعي للقرن الحادي عشر وهو الرباط . والثاني مسجد صالح باي الذي يمثل المذهب الحنفي مذهب حكم الداي الرسمي . وشيد المسجد سنة 1792 بقلب المدينة الجغرافي تقريبا . وأسلوب بناء المسجد ومئذنته هو الأسلوب التركي الشرقي .

أما المسجدان الآخران اللذان حدد موضعهما بشمال المدينة ، سنة 1830 ، فقد هدمهما الاستعمار . وأهمهما يسمى **مسجد الرمانات** . وكانت المدرسة محاذية لمسجد أبي مروان ، ولكنها لم تصلنا . ومن الراجح أن دار الامارة شيدت بالقرب من مسجد أبي مروان ، ولكنها ربما تحولت ابتداء من سنة 1300 م الى قلعة القصبة .



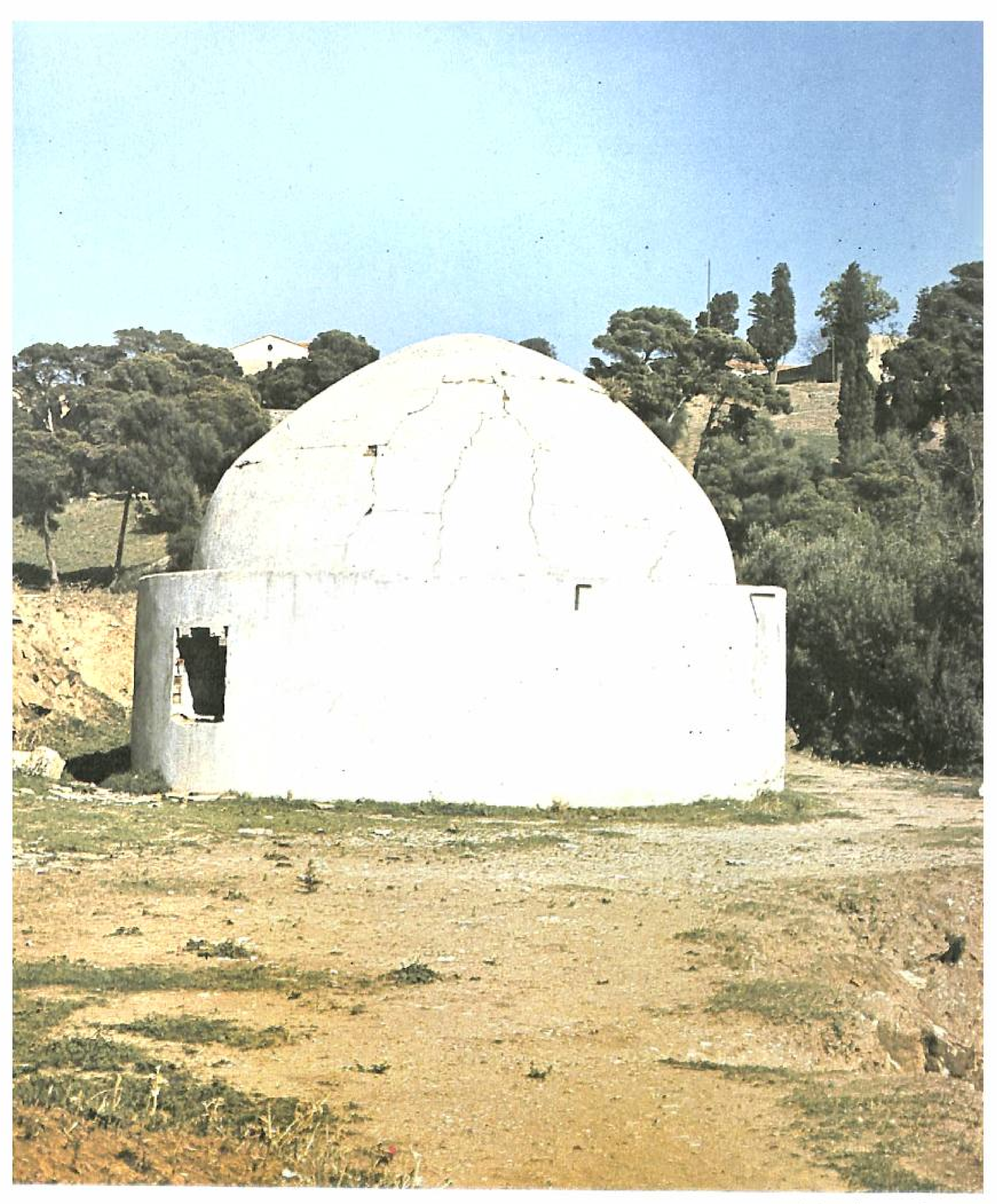


حي مسجد الباي . وربما كان هذا سوق العطارين .

ـ المركز التجاري

يوجد ، المركز التجاري في النصف الجنوبي من المدينة منحصرا بين مسجد أبي مروان شرقا ، والسور الجنوبي ، والسور الغربي ومسجد صالح باي . وكان منظما كأسواق متخصصة :

- سوق الحوكة (أعلى نهج عيسات ايدير)
- سوق الحجامين (نهج نغرة محمد)
- سوق الجزارين (نهج شمنتي عزوز)
- سوق النجارين (نهج الأهرام)
- سوق الفخارين (نهج الأهرام)
- سوق العطارين (نهج غزيري زينة)
- سوق الجيارين (قرب باب قسنطينة)
- سوق الحدادين (اسفل نهج عيسات ايدير)
- سوق الخرّازين (وسط نهج عيسات إيدير)



آخر قبب (السبع رقود)

- **الأحياء السكنية**

تمركزت هذه الاحياء أساسا في الجانب الشمالي من المدينة . وكانت تحمل غالبا أسماء مباني عمومية للخدمات :

- حي كوشة العصافري (نهج دالي علي)
- حي عبرة ، أو حومة اليهود (نهج الفداء)
- حي العقبة (نهج القديس اغشتين القديم)
- حي حمام القائد (النهج الملكي سابقا)
- حي بئر جرادة (نهج الجزائر)

- **المباني العسكرية**

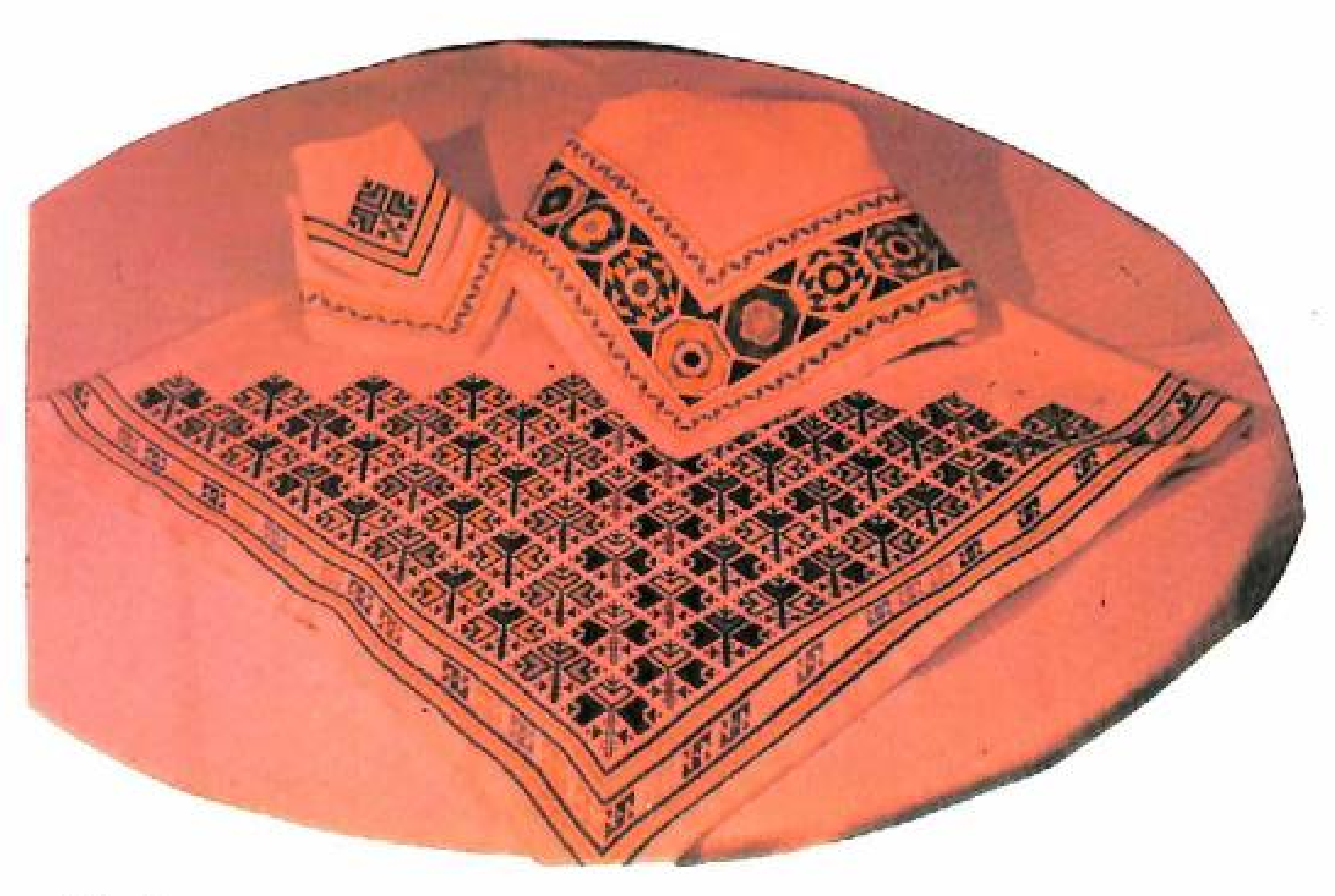
حتى بداية القرن الرابع عشر ، يبدو أن الدفاع مركز داخل المدينة نفسها معتمدا على الرباط الذي كان مسجد أبي مروان جزءا منه .

وابتداء من القرن الرابع عشر أصبحت قلعة القصبة الجهاز الاساسي ، انتصبت بها الحامية والقيادة العسكرية . وتعزز الحامية داخل المدينة ثلاث ثكنات سميت ، قبل احتلال المدينة سنة 1832 ، الطبانات ، وهي :

- طبانة القصبة ، مقامة قرب مسجد أبي مروان .
- طبانة المقابر ، ملاصقة لبرج المعدمين ، متكئة على السور الشمالي .
- طبانة القلعة ، مقامة فوق باب البحر ، متكئة على السور الجنوبي .

المنطقة الخارجة عن السور :

وتغطي الضاحية الشمالية ، وخاصة الغربية ، البساتين والرياض ، التي ترويها السواقي المنطلقة من جداول المنطقة مثل : وادي القبة ، ووادي فرشة ، ووادي الذهب ... وحول المدينة مباشرة توجد المباني الآتية :



طرز عنابي



زليج من فترة البايات .





زليج من فترة البايات .

– **السوق الأسبوعي :**

ويمثل القطاع الاقتصادي سوقان اسبوعيان : سوق الحبوب أو **الرحبة** ، وسوق الحيوانات ويسمى **سوق المواشي** ، وهو امتداد للاول وينتهي الى وادي بوجمعة . وتقام التجمعات والمبادلات كل يوم جمعة .

– **المعابد أو القبب**

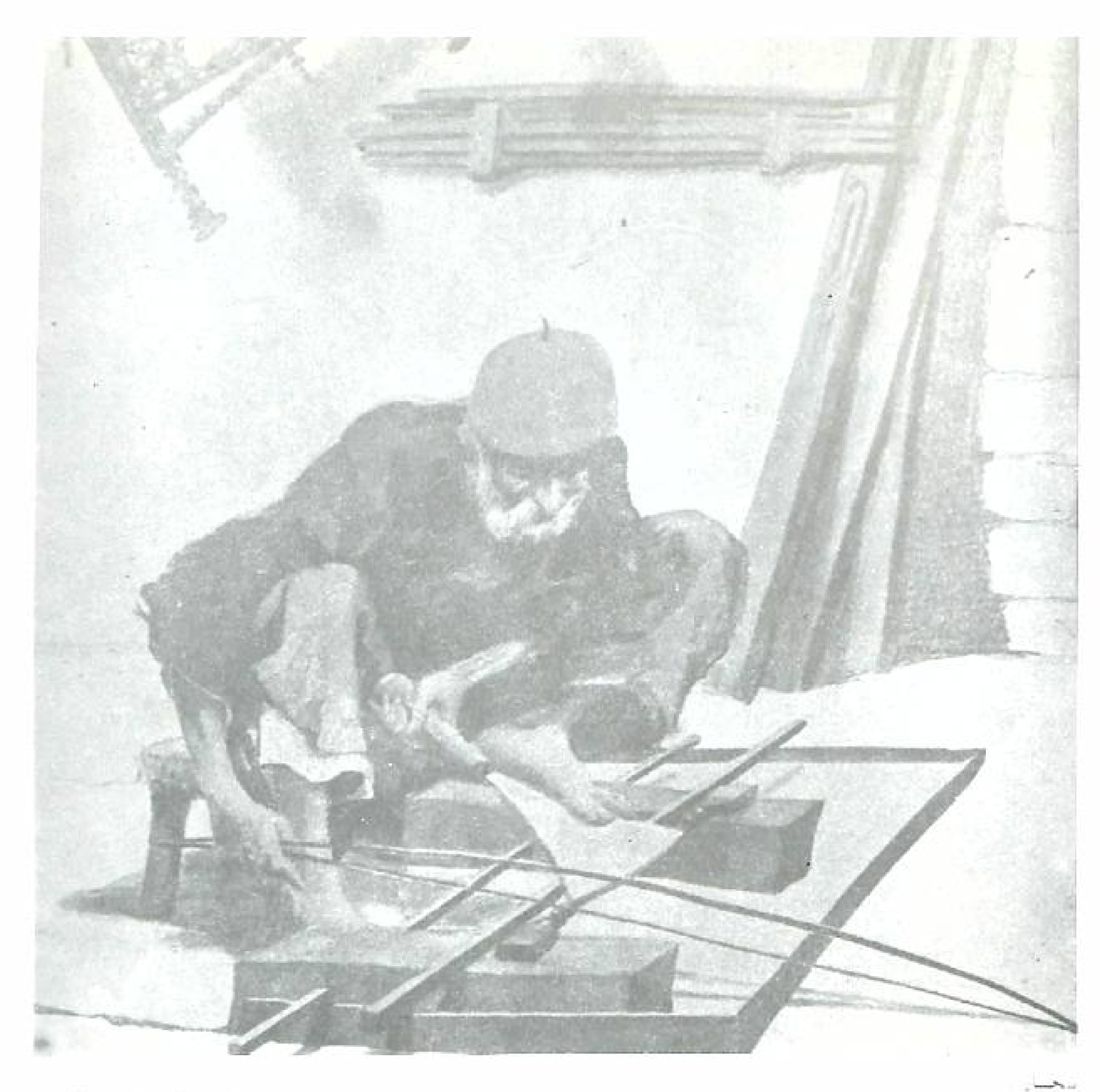
ويضفي عدد من المعابد طابعه على المنظر عند أبواب المدينة في البادية المحيطة بها . وهي أضرحة صلحاء من القوم ، أقيمت بين القرن الرابع عشر والثامن عشر . واضافة الى أنها موضع صلاة وتجمع اعضاء مختلف الطرق الصوفية ، تكون المعابد مضاجعا للمسافرين القادمين الى عنابة في وقت متأخر من النهار ، أو مصليات الجمعة للمصلين الغرباء عن المدينة خاصة يوم السوق . وأشهر المعابد **السبعة رقود** الموجودة عند أسفل قلعة القصبة من غربيها (ولم تبق منها اليوم سوى قبة واحدة) ، **ومصلى سيدي ابراهيم** (المقام حوالي سنة 1624) عند مفترق الطرق في اتجاه قسنطينة والقالة .

– **المقابر :**

ويدفن أهل عنابة أمواتهم بالمقبرة الكائنة وراء الواجهة الشمالية من القلعة . بيد ان العلماء يدفنون بالقرب من المدينة ، أسفل القلعة من الجهة الجنوبية (الموضع الحالي لقصر الماء ومستشفى الخروبة) .

– **التموين بالماء :**

قبيل 1830 ، مونت المدينة 17 عينا تأتيها المياه عن طريق الاكدوك الذي ينزل من جبل أدوغ . ويعزز هذه الأعين قادوس رئيسي من الفخار يأتي بالماء من وادي فرشة ، على مسافة 5.500 م وينتهي الى صهريج مقام في موضع ساحة اسطنبولي حاليا (قرب حديقة الحرية) .





العهد الإستعماري

الاحتلال الاستعماري

أصبحت سياسة وكالة افريقيا (شركة افريقيا سابقا) التي كانت قاعدتها الأولى بعنابة والقالة ، والمزاحمة للداي في المضاربة على القمح ، مصدر افساد العلاقات الجزائرية الفرنسية ، وأدت هذه السياسية الى انطلاق عملية الاحتلال .

واذا لم يكن التوتر الذي احدثته الوكالة بعنابة هو السبب الأول ، فهو لا شك سبب أساسي . اذ تذرعت الوكالة ، سنة 1827 ، بخطر عدوان من طرف السكان ، فبادرت بوضع جهاز عسكري للدفاع الذي قد يكون عملية استفزاز هيئت حسب سيناريو مبيت من قبل . ونشير هنا الى جزئية هامة وهي ان ابن أخي القنصل دوفال كان من بين موظفي وكالة افريقيا بعنابة ، ويسرد ميترو ، في كتابه «**بونة العسكرية**» الأحداث بالصفة التالية :

«اجبرت هذه الهجومات الليلية (...) الى أخذ اجراءات احتياطية (...) فصنع الاوروبيون مدفعين من الخشب شبيهين بمدافع حقيقية ووضعوهما بشبابيك بيوتهم . فانتشر الخبر ان الفرنسيين سلحوا مؤسستهم بمدفع ورأى **مركانتي** عنابة من واجبه اعلام باي قسنطينة الحاج أحمد .

«فقام الباي برفع تقرير الى الباشا في هذا الشأن . فاستدعى الداي قنصل فرنسا واستفسره حول معنى تسليح مؤسسة القالة . فوعد القنصل بمراسلة ممثله ببونة فورا : وعاد القنصل بعد زمن قصير الى مقابلة الداي ، وشرح له الحيلة التي أستعملها مواطنوه للتخلص من اللصوص . ولم يقبل الباشا هذه الشروح ، فأجاب القنصل ان يرسل الباشا نفسه احد اعوانه للتحري في عين المكان ، اذا لم يثق في خبره .

فتلقى الحاج احمد ، باي قسنطينة ، الامر بارسال رجلين من الثقاة الى القالة (...) فتوجها الى القالة (...) لمعاينة المؤسسة فشاهدا المدافع الخشبية التي حسباها مدافع حقيقية . فعاد الرجلان عند الباي الذي كاتب من جديد الباشا لاثبات الخبر الاول .

فغضب الباشا غضبا عنيفا . وشتم القنصل . وقيل أنه وصل به الأمر الى ضربه بالمروحة . وابتعد القنصل ثم عاد الى بلاده .»

(ميترو «بونة العسكرية» ، ص . 152/151)

وهكذا يقدم الكاتب الفرنسي ما أسماه باسطورة سردها فيرو .

ومن المعلوم أن الحكومة الفرنسية أرسلت كرد للفعل ، الكومندان كولي لوضع الحصار أمام السواحل الجزائرية .

فأرسل الداي أوامره الى جميع البايات لاتخاذ الاجراءات المناسبة ، ولكن بدون التحريض على أي عدوان . وابلغ الباي أحمد التعليمات الى أهل عنابة :

«ان ما سأحيطكم به علما (...) هو أمر ممن وجبت علينا وعليكم طاعته والى من وجهها ولاؤنا وولاؤكم المطلق .

اقيموا الحراسة على البحر ليلا ونهارا ، باستمرار وعزيمة ويقظة وحذر . ويعود هذا الأمر الخطير الى رجال المدفعية خاصة ؛ فلا يسمح لأي منهم التخلي عن هذا الواجب ولا يسمح لأي منهم أن ينام بمنزله . راقبوا البطاريات المدفعية وأصلحوا كل ما يهم المدافع وفنادقها بحيث يكون هذا العتاد جاهزا ومتأهبا . (...) ولما كنتم تقيمون بثغر وجب عليكم الدفاع عنه ، كـرسوا جميع جهودكم لهذا الغرض واتبعوا بشجاعة ما قام به غيركم . (...) فهذه القضية ذات أهمية قصوى ومن أعجل القضايا .

«واعلموا ، ان من بين ما أشير به عليكم ، أمر يتحتم عليكم تطبيقه بصفة خاصة وهو أنه عليكم مراقبة كل سفينة متوجهة الى عنابة بتحري . فإذا كان شراعا لصيد المرجان أوكان بازركانا (سفينة تجارية) لا يخشى منه مفاجأة سيئة ، يسمح له بالارساء حسب العادة . ولكن اذا رأيتم سفينة قرصنة متجهة نحو بونة ، اطلقوا الدخان من بعيد ، فإن لم تول أعقابها واقتربت من منطقة القذف ، اطلقوا طلقة مدفع بدون صخر ولا قنبلة ، فإن لم تتوار وأصرت على الدخول ، سارعوا باطلاق الكرات عليها ، وأغرقوها وأبيدوها قبل الدخول ، وقبل أن تصبح في مأمن من طلقاتكم . كونوا عازمين في مهمتكم وكونوا أقوياء ... وفيما يخص المسيحيين الفرنسيين المقيمين ببونة ، إسهروا على أن لا يعاديهم أحد ، وأن لا يسيء إليهم ، وأن لا يضيع شيء من متاعهم ، فإن أرادوا المكوث ببونة ، فليبقوا في أمان تام وأن لا يتعرضوا لأي اذاء . وإن أرادوا بالعكس ، اختيارا منهم ، وبكامل الحرية الرجوع الى بلادهم ، فلن يعترض لهم في ذلك أحد ولن يعاديهم أحد ، ولهم أن يأخذوا كامل أمتعتهم بدون أي خسارة . بيد أنه ، إن قرر أحدهم وبمحض إرادته الرحيل ، يجب أن تأخذوا منه مكتوبا من يده تصريحا بأنه رحل برضاه حاملا كامل أمتعته وبدون أي عنف (...) وتتصرفون بنفس الطريقة مع المسيحيين الآخرين المنتمين لمختلف الجنسيات . (...)

وأنتم أعضاء الديوان الموقر ، والجنود المستعينين بالله وأنتم جميعكم أهل بونة ، لا تتخلوا عن الاعتناء بمهمة المراقبة (...) ولا تقلقوا ولا تضطربوا . »

ذو الحجة 1242 ، جوان 1827

(عن « بونة العسكرية » ، ص.153 ـ 156)

ويؤكد باي قسنطينة ، إضافة الى هذا ، على أن لا يترك الفرنسيون يستعملون البنائين او مواد البناء خارج مساكنهم وخارج مدينة عنابة .

ولكن ابتداء من سنة 1827 ، لم يكن عزم الملكية الفرنسية متجها نحو المفاوضة ولا نحو الحفاظ على حسن العلاقات ، اذ أقيم الحصار على السواحل الجزائرية . وقد شمل الحصار عنابة . وقامت البحرية الحربية الفرنسية باجلاء الرعايا الفرنسيين وعلى رأسهم نائب القنصل ألكسندر دوغال ، يوم 20 جوان 1827 . فرفع باي قسنطينة تقريرا في ذلك الى الداي

« ... أتصلت برسالتين ، الأولى من علماء عنابة ، والأخرى من ابن المركانتي يعلموني فيها ان سفينة ونقيرة حربية دخلتا مرسى بونة ، وركبهما القنصل ووكيل الشركة والرعايا الفرنسيون المقيمون ببونة . وحالما علم سكان بونة ركوبهم وضعوا الاختام على ديارهم ، ثم اتخذوا الاجراءات للحراسة ليلا حول المدينة على النحو الذي تشرحه الرسالتان اللتان ابعث بهما لكم حتى تتعرفوا على التفاصيل . فيغنيني هذا من إطالة الحديث في هذا الموضوع .

وقد ارسلت المركانتي توا ، مع إعطائه التعليمات حول جميع الامور ، مؤكدا خاصة على الاجراءات الواجب اتخاذها في أمر الحراسة نهارا وليلا . (...)

وصل الحفصي (مكلف بتصفية قلعة فرنسا بالقالة) الى قسنطينة يوم الثلاثاء ، وغادرها وهو لا شك قد وصل الى حيث ارسلناه بمهمة ، وحالما اتصل بانباء منه أو من بونة ، أوافيكم بها بسرعة ...»

الحاج أحمد: 29 ذى القعدة 1242 ـ 24 جوان 1827

(نفس المصدر ، ص.158 ـ 159)

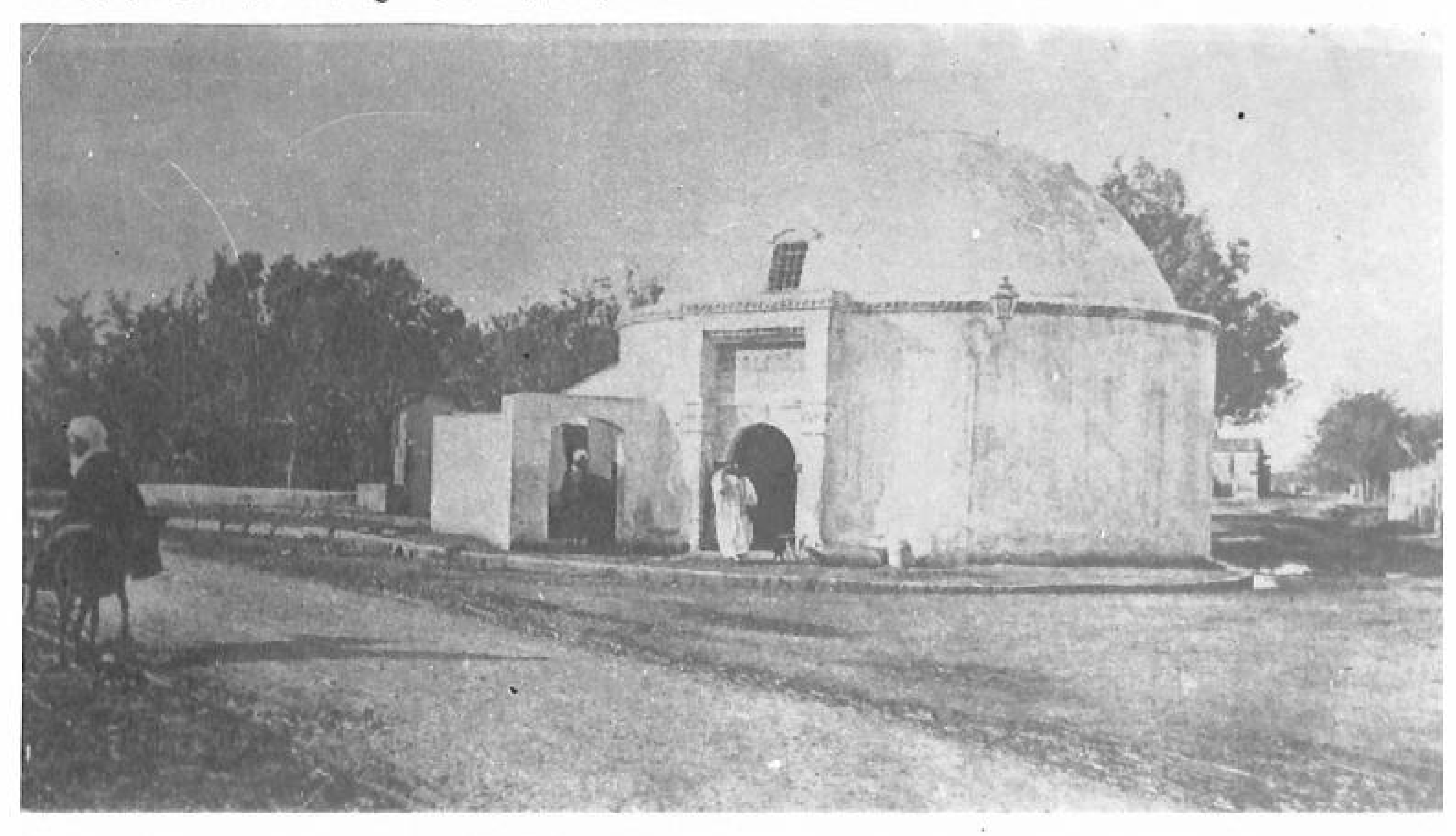
بيد ان مناورات الترهيب تستمر من طرف البحرية الفرنسية . ويعلم الباي الجزائر ، أنه أثناء شهر جويلية 1827 ، أستفزت سفينة بحرية ، في عرض رأس الحمراء ، الريس علي الفلوكجي القادم من الجزائر . ولم ينج هذا الأخير الا بعد لجوئه الى جهة الادوغ ومن هناك استغاث بحامية عنابة . فحمل هذا العدوان الداي على اتخاذ اجراءات أكثر صرامة أمر بها ممثليه . وهذا تقرير حول تطبيق الاجراءات ، أرسل به باي قسنطينة الى حسين باشا :

«وصلتني رسالتكم الموقرة وأطلعت على كل ما تأمرون به فيها . فكاتبت فورا مركانتي بونة ، آمره ان يتصرف ازاء كل مركب حربي فرنسي يتقدم بما أمرتم به ، بالاسراع بقذفه بالكرات ، وان لا يطلق عليه البارود بل بالعكس قذفه بدون هوادة . كما امرت آنيا الخليفة بان يتجه بزمالته وقومه قرب بونة وان يحط برجاله هناك ، فارضا عليه ان يراقب بيقظة وضعية المدينة ، وان يكون على أهبة الدفاع عليها ، وان لا يفوته شيء يجري ببونة ليلا ونهارا .

كما غادر الخسورجية (الجنود المعوضون) قسنطينة في طريقهم الى بونة ، محملين من طرفي بالخيام ، وزودناهم بالمؤونة والبشماط ، والزبدة والزيت والبغال الحاملة لبراميل الماء ... كما كاتبت المركانتي آمرا إياه بالقيام بجميع احتياجاتهم ...»

أحمد باي : 26 ذى الحجة 1242 ـ 21 جويلية 1827
(نفس المصدر، ص 160 ـ 161)

قبة سيدي ابراهيم في أواخر القرن التاسع عشر / م . وفيها أقام ابن عيسى مركز قيادته .



وفي رسالة أخرى . يتمم الباي وصف الاجراءات المتخذة :

«... وزيادة على ذلك ، امرت حامل الرسالة ان يقوم بنفسه بمراقبة المدفعية وبمعاينة قنادقها وجميع آلات الحرب . واشرت عليه ان يقيم يومين تقريبا ببونة ، حتى يفحص جيدا كيف تقوم الحراسة وكيف تطبق عمليات المراقبة . (...) وأتصلت اليوم من المركانتي برسالة يخبرني فيها أنه وقع اصلاح الثغرات بمواضع المدفعية . وأرسل بالنجارين الى الجبل لقطع الخشب الذي جلب جزء منه على ظهر القوارب . وقد وضعنا نجارين من قسنطينة تحت تصرف المركانتي . والتحقوا بنجاري عنابة . وهم الآن جميعا بصدد العمل بجد لصنع قنادق المدافع وخشب البنادق . (...)

ووصل اليوم ، من عنابة . بعض الذين أرسلتهم وكلهم يؤكدون تقارير المركانتي أي أن اشغال تجهيز الدفاع تسير بسرعة . وان عملية حراسة الساحل قائمة كما تقرر . وأخيرا يعم الأمن بجميع الانحاء .

الحاج أحمد: 15 محرم 1243 ـ 8 أوت 1827

(نفس المرجع . ص.161 ـ 162)

وتتهيأ عنابة هكذا الى احتمال حرب . ابتداء من سنة 1827 . ويضاف الى هده التحضيرات . اتخاذ اجراءات اخرى مثل زيادة رواتب المحاربين . وأثناء شهر ماي 1830 أصبحت الحرب متأكدة . واعلن الفزع في الأيام الاولى من هذا الشهر . ويعلم احمد باي قسنطينة . حسين باشا قائلا :

أعلمكم أن سكان مدينتنا بونة ابصروا هده الأيام أربع سفن تطل ثم تختفي . (...) وعند اطلاعي على هذه الوضعية . امددتهم بمائة بندقية وأمرت أن توزع لمن هم في حاجة اليها ... واخبرتهم انه اذا لم تكفهم البندقيات ، أرسل لهم بأخرى ...

الحاج أحمد: 27 ذي الحجة 1245 ـ 1 ماي 1830

(نفس المصدر . ص.167)

ونتج إهتمام أحمد باي بتعزيز عنابة . عن أهمية وضعية ميناء المدينة على المسرح السياسي المتوسطي . بيد أنه نتج أيضا عن التوتر السائد بالمدينة نفسها . اذ فسدت العلاقات بين مدينة عنابة وباي قسنطينة من جراء الاحتكار الذي فرضه الباي . والذي أنقص من نشاط أهل عنابة التجاري . واكتسى هذا الاحتكار الذي كاد أن يكون مضاربة . نوعا من التعسف الذي كان يقوم به المركانتي الذي نذته عنابة . ومما يعجب له أن يقوم هذا الشخص بتطبيق الترتيبات الدفاعية . في حين ان المراسلة الرسمية كان من المفروض ان توجه الى الآغا والى الديوان .

وأدى هذا التوتر الى القطيعة بين المدينة والباي . اذ قامت في شهر جوان سنة 1830 نوع من «القمونة الثورية» بعنابة . تحت قيادة سي زروق بن الشيخ وسي أحمد بن الشيخ والقاضي سي حساين وقاضي عنابة السابق سي رجم بن ربابع . ويجب الاعتراف أن الظرف غير ملائم لأنه الثغرة التي ستمكن الجنرال دي بورمون . الذي فرغ من احتلال مدينة الجزائر . من تطبيق قرار الحكومة الفرنسية التي «ابلغت الجنرال تقريرا تعلمه بمشروع التخلي للباب العثماني عن مدينة الجزائر وداخل الايالة والاحتفاظ بالسواحل فقط من الحراش الى طبرقة» (المجلة الافريقية . عدد 17 .



أحمد باي قسنطينة .

ص.7) . فأرسلت حملة الى عنابة تحت قيادة الجنرال دانريمون في شهر أوت . واذ كانت الجبهة العنابية منقسمة ، لم يجد العدو صعوبة كبيرة في احتلال المدينة يوم 12 أوت 1830 ، بالرغم من التحضيرات الدفاعية المقامة منذ 1827 .

ولكن أعطيت مهلة للمدينة ، عندما تلقت حامية دانريمون ، يوم 18 أوت 1830 ، أمرا بالتقهقر ، قصد مديد المساعدة للنظام الجديد الذي انتصب في فرنسا ، إثر ثورة جويلية سنة 1830 . ومن المؤسف ان استمر النزاع بين الباي أحمد وعنابة . وأرسل الباي جيشا الى عنابة ، ولكنه بادر مبادرة سيئة بوضع الجيش تحت قيادة المركانتي المنبوذ من طرف **«قمونة عنابة»** . فوقع طرد جيش الباي الذي ذهب يحط رحاله بناحية العلاليق يقيم الحصار على المدينة . وكان دفاع المدينة قائما على حامية من الجنود الاتراك الذين انحازوا الى انصار ابن الشيخ . وقد دارت هذه الاحداث أواخر سنة 1830 .

ويتشعب النزاع بتدخل طرف ثالث وهو ابراهيم (باي قسنطينة السابق) الذي كان يرمي الى استعمال «قمونة عنابة» لاسترجاع بايليك قسنطينة .

وانقسمت المواقف داخل البلاد أيضا : فساندت القبائل المخزنية بالسهل عمليات جيوش أحمد باي ، في حين تحالفت قبائل الرعايا بالادوغ مع «قمونة عنابة» .

وتحت ستار إعانة عنابة ضد جيش أحمد باي ، أرسل الجنرال برتوزين بحملة جديدة تحت قيادة هودير الذي نزل على الشاطىء يوم 13 سبتمبر 1831 . غير أنه اذا كان ابراهيم مستعدا للتعاون مع هودير ، فإن المفتي ابن الشيخ ، روح «القمونة العنابية» يقاوم الاحتلال الفرنسي . لذلك قام أحمد بن الشيخ بالدعوة بين أهل الساحل ، فادت دعوته الى ثورة المدينة على الفرنسيين .

فحطمت الحامية الفرنسية اشلاء وتقهقرت في (28 سبتمبر 1831) . غير أن حمدان خوجة يقدم روايته للاحداث قائلا :

«ثم أعلم باي قسنطينة جميع سكان الايالة الآخرين بقرار نقباء إقليم قسنطينة بالاعتراف به ممثلا شرعيا لسلطان اسطنبول . وطلب منهم

منحه الولاء فنحوه أياه . وطلب من سكان عنابة ذخيرتهم الحربية . ولهذا الغرض ، بعث الحاج عمار عاملا على هذا البلد ، وقد كان الحاج عمار وكيله بتونس . وكانت سمعة عمار هذا ببونة سيئة ، ويعتبر موظفا عاجزا إذ أنه كان عاملا بعنابة في الماضي وعرف بمساوئه . لذلك عصى أهل بونة أوامر الحاج أحمد باي ، ورفضوا تسليمه الذخيرة التي طلب ، ولما أهانه هذا الرفض ، أرسل الباي جيشه لحصار أهل عنابة وردعهم . وافزعت هذه الترتيبات أهل عنابة الذين توسلوا للباي أن لا يعين عليهم هذا العامل ، الحاج عمار ، ووعدوه في المقابل بالخضوع لأوامره . ولم يقبل الباي التخلي على قراره واستمر في محاربتهم .

« وعندئذ أغتنم ابراهيم باي ، والي قسنطينة السابق ، هذه الفرصة وأتى الى بونة ، فاستقبله أهلها بالترحاب ، وكل ما كانوا يبغونه ان لا يكون الحاج عمار واليا عليهم . ولم يتم الأمر ، إذ عوض هذا الأخير : لأنه أتضح للحاج أحمد باي مساوئه وعدم كفاءته فعزله . ففتح أهل بونة أبواب المدينة للوالي الجديد الذي حل بمنصبه وعادت الطمأنينة . بيد أن ابراهيم باي أعتزل في القصبة مع الجند الاتراك ، ثم لاذ بالفرار وأدخل جيشه المرتد يوسف وبصحبته قرابة الثلاثين جنديا فرنسيا » .

(عن « **بونة العسكرية** » ، ص.185 ـ 186)

تحررت عنابة من الفرنسيين وأصبح يدير شؤونها تحالف « القمونة » وابراهيم . وقد أخذ هذا الأخير قيادة العمليات الحربية . فجند من ازمير 400 من الانكشاريين . وقرر محاربة جيوش أحمد باي ، يوم 6 جانفي 1832 ، ولكن بدون نتيجة في كلا المعسكرين . وعين أحمد باي قائدا جديدا أرسله ضد عنابة مع مزيد من التعزيزات ، وهذا القائد هو علي بن عيسى يساعده الآغا الحملاوي اللذان انتصبا على وادي الذهب . وحاصر جيش ابن عيسى المدينة من الجهة البرية ، وحاصر المرسى مركب قطع تموين المدينة بحرا ولكن لنقرأ رواية أحمد باي للاحداث :

« وأما ابراهيم (...) فبدأ أولا وكأنه أرتبط إرتباطا متينا بالفرنسيين الذين لم يكن وضعهم فيها قد تعزز حينئذ . الا أنه سرعان ما راح يحث هم المسلمين ، ويؤلبهم ضد الكافرين وثور السكان ، فأرغموا الفرنسيين على مغادرة المدينة ، واستقر هو في قصبة الساحة المشرفة عليها . وكانت مجاورة هذا العدو خطرا شديدا على سلطاني ، فارسلت ضده ابن عيسى ، باش حمبايا فحاصر عنابة من جميع نواحيها واستطاع ان يدخل المدينة وأجبر ابراهيم على الانحباس في القصبة (...) . »

(**مذكرات أحمد باي**)
تحقيق محمد العربي الزبيري ، ص.26 ـ 27

الا أن القائد الجديد للجيش الفرنسي ، الدوق روفيغو ، والمكلف خاصة بالعناية بالشرق الجزائري اقترح نوعا من الحماية على باي قسنطينة ، مقابل تسليم عنابة الى فرنسا ، ولكن أحمد باي رفض التخلي عن عنابة .

أما في عنابة فكانت القطعية بين «القمونة» وابراهيم ، اذ فضل المفتي أحمد بن الشيخ الانحياز لأحمد باي . فكانت الفرصة التي اغتنمها الدوق دي روفيغو لارسال حملة جديدة يوم 8 فيفري سنة 1832 ، تحت قيادة دار مندي ، يساعده المملوك يوسف . وفضل ابراهيم الاعتماد على البعثة الحربية الفرنسية . ولكن ابن عيسى الذي يحاصر عنابة والذي تحصل على مساندة مسيرى «قمونة عنابة» استطاع أخذ المدينة يوم 5 مارس 1832 . وكان المفتي ، شيخ الاسلام ، ابن الشيخ هو الذي مهد الارضية ومكن جنود ابن عيسى من الدخول في المدينة ، سالكين مسربا يربط مسجد أبي مروان بالميناء (وهو الباب المسدود ، الواقع قرب ثكنة رجال مطافيء المرسى الحالي) .

وعاد جيش دارمندي الى البحر . ولكن بحث الفرنسيون استغلال قضية وجود القلعة في ايدي ابراهيم الذي كان سجينا بها اكثر منه مسيطرا على الوضعية ، وفي انتظار الامدادات ، أخذت القوات الفرنسية تتعاطى المناورات لربح الوقت . لذلك جرت سلسلة من اللقاءات جمعت ابن عيسى ودارمندى بمصلى سيدي ابراهيم . وأخذ دارمندي في التسويف ، مقنعا ابن عيسى ان اتفاقا بصدد الحصول بين الجزائر وأحمد باي . وكان غلط ابن عيسى في انتظاره الى يوم 28 مارس . وعندما قرر ابن عيسى الهجوم على القصبة ، استطاع ابراهيم الفرار ، وتمكن الجند الفرنسي من افتكاك القلعة ، يوم 28 مارس 1832 . وفي أول افريل 1832 ، سقطت المدينة أيضا بين ايدي الجيش الفرنسي . وهذه شهادة احمد باي :

«ولم يفقد الفرنسيون أمل استرجاع عنابة (...) فأرسلوا الى الميناء باخرتين محملتين بالجيوش تحت قيادة ضابط اسمه دارمندي وأستغلت هذه الجيوش الفرصة فنزلت على الشاطيء . وقد بقيت أذكر اسم هذا الضابط لأن ابن عيسى ، خليفتي ، كان قد أقام معه بعض العلاقات ووجد ابراهيم نفسه بين استعدادات الفرنسيين المهددة بالخطر وهجومات ابن عيسى ، فلم يجد مسلكا آخر غير طريق الفرار . فغادر القصبة خفية بينما أنضم من تركهم فيها الى السيد دارمندي ، والمدعو يوسف المملوك وفي هذه الأثناء ، وبينما كان ابن عيسى قد اقترب من القلعة ، تأهبا منه للاستفادة من فرار ابراهيم ، رأي أن الجيوش الفرنسية نزلت من مراكبها متوجهة الى القصبة . وساعدها المحتبسون في هذه الاخيرة فتسلقت الحيطان . واعتقد ابن عيسى ان لا طائلة في مواصلة هجومه ، على الحين وجهت حملة ضده ، وتم نفيه بعد ان الق عليه القبض» .

(نفس المصدر ، ص : 26 ـ 28)

وحالما احتلت المدينة والقلعة ، انطلقت الحملة العسكرية الفرنسية في إتمام إحتلال المنطقة وقد دامت العملية الى ما بعد سنة 1850 . ونذكر من بين أبطال المقاومة العنابية **الحسناوي** الذي قاد الثورة التي هزت قبائل شرق عنابة الى الحدود التونسية **وزغدود** الذي ترأس ثورة بجبل أدوغ ، **واحمد بن شعيب** الذي أثار وراءه بني صالح معتمدا على الولي **علي بن جاب الله** ، **وابن العربي** الذي زرع الرعب بين معمري السهل ... الخ .

اقامة النظام الاستعماري بعنابة

ـ التنظيم الاداري :

ما ان انتصر حتى بادر الاستعمار أولا بتنظيم المؤسسات الادارية . ونلاحظ ان تسمية المدينة ابتداء من ذلك الوقت وطيلة العهد الاستعماري أصبحت **بون** وهي فرنسة للتسمية القديمة للمدينة .
وقسم مرسوم أول نوفمبر 1838 ، إقليم عنابة الى أربع دوائر ، ثلاثة منها تهم ولاية عنابة الحالية مباشرة وهي : دائرة بون ، ودائرة القالة ، ودائرة الادوغ ، ودائرة قالمة .

« ـ ويأتمر حاكم دائرة بونة بأوامر القائد الاعلى لإقليم قسنطينة ويتلقى منه أوامره مباشرة» . (البند 2)

« ـ ان حكام الدوائر الخاضعين للادارة المدنية لا يخضع لسلطتهم الا السكان الاهالي . » (البند 3)

« ـ يوضع السكان الأهالي في كل من دوائر بون والقالة والادوغ تحت أوامر قائد يبقى تابعا للحاكم العسكري للدائرة ... » (البند 4)

وبالرغم من احتفاظهم بالبنية القبلية التقليدية ، فقد أخضع السكان للحكم العسكري الذي نزع من المؤسسات التقليدية شخصيتها القانونية . واستطاعت الادارة الاستعمارية وضع جهاز استغلال جبائي وعقاري .

وقد نظم المرسوم المذكور أعلاه قانونيا هذا الاستغلال :

« ـ يستخلص العشر والزكاة من جميع القبائل المقيمة في البلاد التي تحكمها السلطات الفرنسية . ويمنح قائد الدائرة ثلث العشر ... وعلى القياد دفع الجباية لحاكم الدائرة العسكري ... وتقع الدفعات في ثكنة صاحب الدفع ، بمحضر المجلس الاداري للإقليم الذي نظمه مرسوم هذا اليوم ... » (البند 5)

« ـ ويدير شؤون املاك البايليك والاملاك المحجوزة مجلس إدارة إقليم بون ، ويقع كراؤها بالمزايدة العلنية وتدفع مداخيلها للخزينة » . (البند 7)

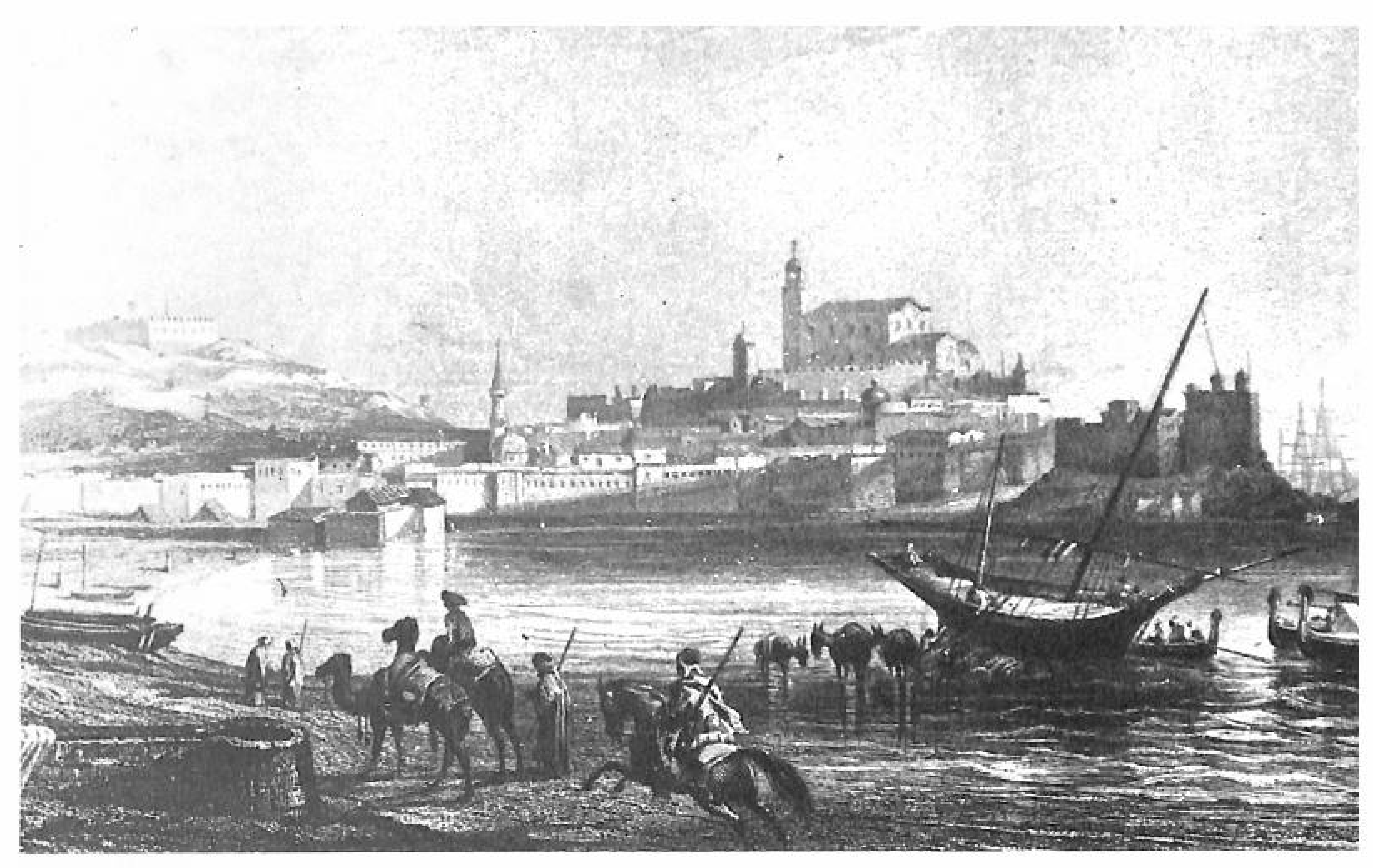
(عن ميترو« **بونة العسكرية** » ص.355

وأنشيء مجلس إدارة للإقليم يوم 3 سبتمبر 1838 : ومن دوره ان يراقب استخلاص الضرائب وان يستحوذ على أملاك الدولة الجزائرية وعلى أملاك القبائل المحجوزة .

أما في المدينة ، فأنشيء منصب مدير مساعد مدني ، يوم 20 افريل 1832 ، ويهتم هذا الأخير بإدارة المدينة . يعاونه في عمله ضابط شرطة . ونظم بمرسوم 22 ديسمبر 1834 مجلس بلدي . وأخذ المعمرون في التهافت على الجهة ومنهم الفرنسيون وخاصة الايطاليون والمالطيون .

واحدث قرار افريل 1845 بلدية المدينة . وأصبحت عنابة قمونة يوم 31 جانفي 1848 ، وعلى رأسها شيخ المدينة ومساعداه ، طبقا لقانون تنظيم البلديات الجزائرية (28 ديسمبر 1847) غير أن شيخ المدينة معين من طرف الحكومة .

وتطبيقا لقرار 9 ديسمبر 1848 ، انشأت بعنابة دائرة (Sous Préfecture) .



عنابة حوالي سنة 1840 .

ـ الاستغلال الاقتصادي :

ومع وضعه للاجهزة الادارية ، عاد الاستعمار الى هدف وجوده الاول ، وهو الاستغلال الاقتصادي لثروات الجهة .

وكأني بهم يريدون تأكيد استمرارية النشاط الذي بادرت به شركة افريقيا ، لأن أحد وكلائها السابقين ، **رايمبرت** ، قام بحركة دائبة للحصول على العودة الى صيد المرجان بمرسوم 31 مارس 1832 . واستأنف نشاط الميناء التجاري ، امتدادا للنشاط الماضي :

« فأنشيء مكتب الجمارك (...) وتوسعت التجارة توسعا كبيرا اذ رخصت عمليات التصدير ببون للبواخر الأجنبية » .

(« بونة العسكرية » . ص.322 ـ 323)

وكانت قائمة السلع المصدرة ، سنة 1838 ، طويلة ، اذ بلغت قيمتها الاجمالية بفرنكات ذلك العهد 1.860.019 ، ومن بين السلع التي تحتل المرتبة الأولى المرجان والمنتجات الحيوانية والجلود والاقمشة .

وفي سنة 1844 كانت فصائل من الجنود الحطابين على قدم وساق لاستغلال خشب غابات الادوغ .

وبادر المعمرون ، ابتداء من نفس التاريخ ، بالزراعات الاستعمارية الواسعة مثل زراعة العنب والتبغ والقطن .

ودشن الاقتصاد المنجمي في الجهة بمنح مقتطعات سنة 1845 لاستغلال مناجم الحديد في **بوحمرة وفي عين أم الرخاء** (مقطع الحديد) . وفي نفس التاريخ انشأت شركة طالابو ، قرب وادي سيبوس ، معملا لسبك الحديد .

ومن أجل خدمة سياسة الاجهاز على ثروات البلاد ، وضع الحجر ، يوم 14 جانفي 1853 على 277 ملاكا جزائريا من **بني صالح** . وتوجت هذه السياسة في عنابة ، بإعادة تنظيم المرسى ، والذي دشن يوم 23 افريل 1912 .

ـ السكان المعمرون :

عرفت عنابة وجهتها قدوما تلقائيا أو موعزا للمعمرين الفرنسيين والاوروبيين الذين منحوا جميع التسهيلات . وتقدم اللوحة التالية تطور هؤلاء السكان الى بداية القرن العشرين وفيه أخذ عدد السكان في الاستقرار ، وتخص الأرقام مدينة عنابة وحدها :

1834 ـ 800 معمرا
1838 ـ 2622 معمرا
1852 ـ 11083 معمرا
1873 ـ 13185 معمرا
1882 ـ 19428 معمرا
1891 ـ 21,003 معمرا
1902 ـ 22,200 معمرا

وأنشأت في نفس الفترة ، أهم مراكز المعمرين :

ذرعان : في افريل 1836 ، وكان أولا معسكر الحامية التي يقودها يوسف .

دوزرفيل (الحجار أو القحمصية) : وقع انشاؤها يوم 12 فيفري 1845 ، معتمدة على 800 هكتارا ، في صالح 52 عائلة .

بوجو (سريدي):وقع انشاؤها يوم 3 جوان 1847 ، معتمدة على 162 هكتارا ، في صالح 24 عائلة .

بنتيافر (عين باردة):وقع انشاؤها يوم 26 سبتمبر 1847 ، معتمدة على 1400 هكتارا ، في صالح 60 عائلة .

العلاليق وقع:انشاؤها يوم 30 جويلية 1831 ، معتمدة على 262 هكتارا في صالح 34 عائلة .

عنابة في القرن العشرين قبل الاستقلال

الادارة الاستعمارية :

أحدثت يوم 7 أوت 1955 ولاية بون ، وضبطت حدودها الجغرافية في 30 ماي 1957 ، وتغطي مساحتها اذ ذاك 403 . 22 كم ، وتمتد الولاية الى حدود ولاية تبسة الحالية على مسافة 440 كم ، وتمتد من الحدود الجزائرية التونسية شرقا الى حدود ولايات قالمة وتبسة الحالية ، أي على مسافة عرضها 160 كم تقريبا . وقد استمر هذا التقسيم ما بعد الاستقلال الى سنة 1974 . وقسمت الولاية إلى ست دوائر منها دائرة عنابة التي تشمل 29 بلدية . وقد وضعت على رأسها «نيابات خاصة» وقع تعيينها سنة 1957 . وقررت السلطة الاستعمارية تعويض النيابات «بمجالس بلدية» منتخبة ، سنة 1959 ، ولكن حالت معركة التحرير الوطنية تحقيق «الانتخابات» : اذ لم ينتخب الا 15 مجلسا بلديا من 146 مجلسا تحت حماية الجيش الفرنسي . وترمي هذه الوحدات الادارية الجديدة ، على ما يبدو ، الى الحلول محل هيكل الدواوير القديمة ، ولكن في الواقع ترمي هذه الواحدات الى وضع سياسة ادماجية في فرنسا .

السكان :

وفي نفس الوقت الذي ترتقي فيه عنابة الى وضعية ولاية ، كان سكان دائرة المدينة ، يبلغ حوالي 258 . 219 ساكنا . منهم 733 . 50 معمرا ، وكانت المدينة تعد 120.000 ساكنا . منهم 47.000 معمرا .

الاقتصاد :

نظم الاقتصاد خدمة لهذه الأقلية الاوروبية . وقد عززت المحاور الأساسية للسياسة الاستعمارية المعتمدة على استغلال ثروات البلاد والتي وضعت غداة سنة 1832 .

ـ الفلاحة :

وجهت بصفة خاصة نحو الزراعات الاستعمارية . واستغل السهل في صالح زراعات الدالية (000 . 9 هكتارا) والقطن (000 . 3 هكتارا) والتبغ (800 . 8 هـ) في حين لم تغط الزراعات الخضروية الا 600 . 2 هـ . والحوامض 300 . 2 هـ .

ولم تدرس سياسة أحياء مناطق السقو باقامة أشغال الري . ولم يوافق عليها الا تحت ضغط الحوادث التي شهدتها البلاد منذ نوفبر 1954 .

	توزيع الأراضي حسب العناصر السكانية	
دائرة عنابة	**الأراضي الفلاحية**	**المقاطع الغابية**
ـ الجزائريون	65 . 831 هكتارا	7 . 276 هـ .
ـ المعمرون	20 . 763 هكتارا	51 . 363 هـ .

وتجدر الملاحظة أنه رغم المساحة التي يملكها الجزائريون ، الا ان الفلاحة بها بقيت تقليدية ولم تحظ بتطور التقنيات الحديثة . بل وضعت جميع الامكانات تحت تصرف المعمرين .

أما فيما يخص المقاطع الغابية ، فهي في إطار القطاع الخاص محتكرة من طرف المعمرين الذين يستغلون زيادة على ذلك . 464 . 164 هكتارا من غابات الدولة .

ـ المناجم :

انهك الاستغلال المفرط حديد منجم مقطع الحديد حوالي 1920 . أما مناجم النحاس والرصاص والزنق بعين بربر ، فقد شرع في استغلالها من أجل التصدير .

الصناعة :

كانت الصناعة الثقيلة مفقودة ، وكانت المنتوجات المعدنية مخصصة للتصدير . وقد أدى ضغط معركة التحرير الوطنية الى وضع مشروع صناعة الصلب في اطار مخطط قسنطينة ، ولم ينجز المشروع .

أما الصناعة التحويلية فهي تمس قطاعات التصدير الوافرة الربح . ومنها صناعة الزيت ومعامل التصبير ، وصناعة الفلين ، ومعامل الاصلاح (مثل منشآت الشركة الشمال الافريقية للسكك الحديدية) .

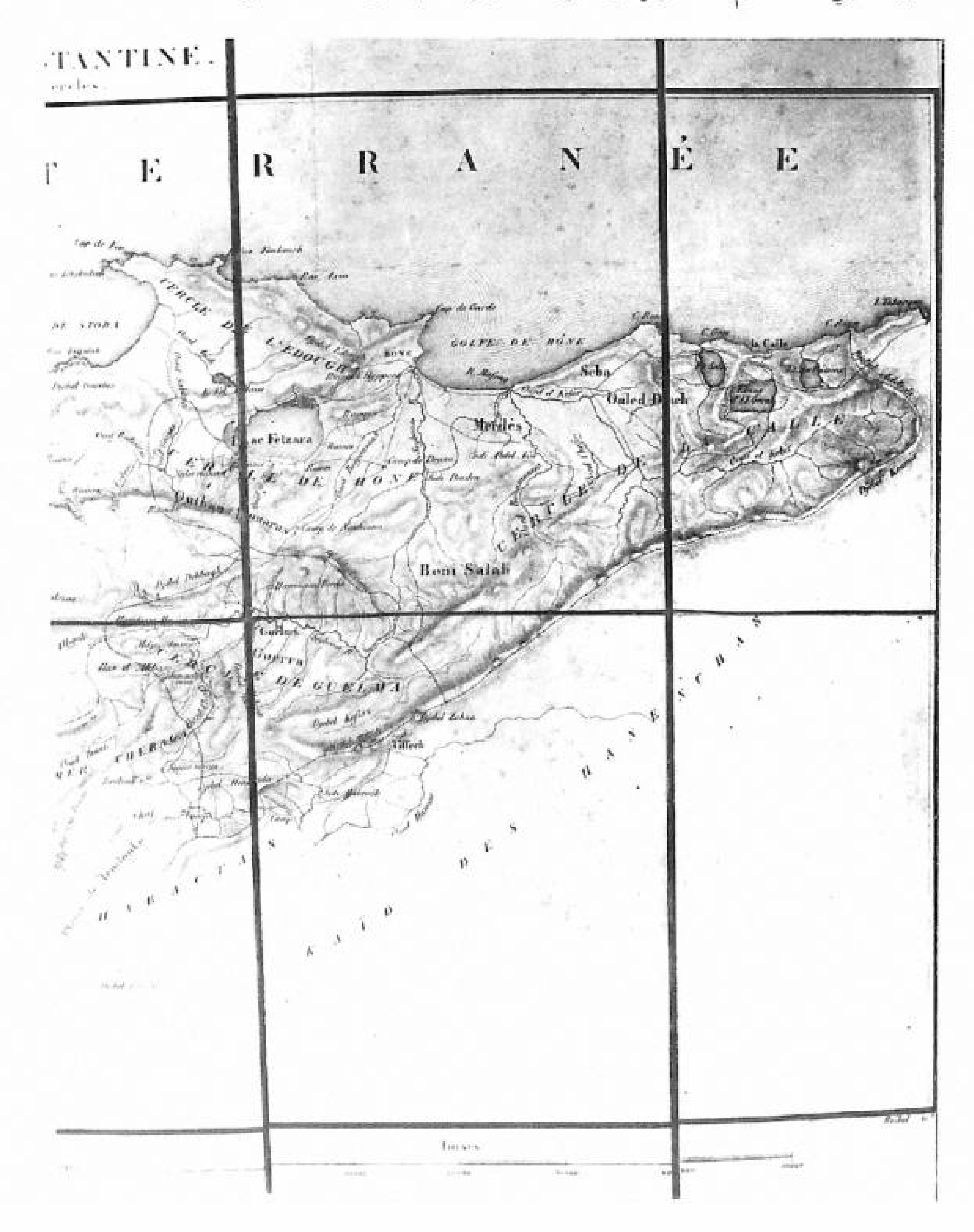
التجارة :

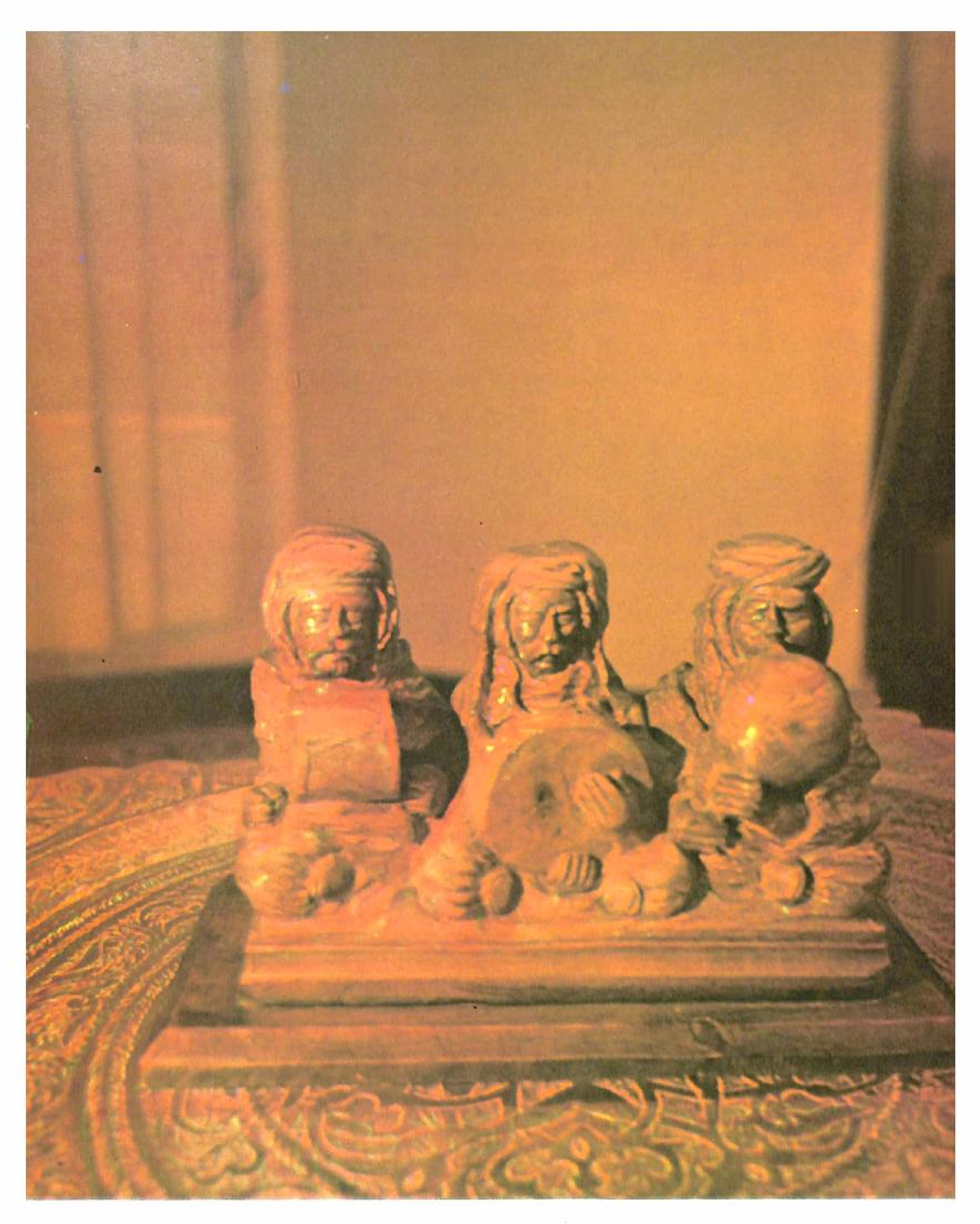
وقع تحوير منشآت مرسى عنابة خدمة للحركة التجارية الاستعمارية الموجهة نحو تصدير المواد الأولية وجلب المواد الاستهلاكية .

وغداة الأزمة الفلاحية من 1900 الى 1920 ، وبعد انهاك مقطع الحديد ، اتجه الميناء الى تصدير فسفاط الكويف ، وعلى الاخص حديد الوانزة .

وفي حركة تصدير المنتوجات المنجمية والفلاحية وانتاج الصيد البحري تأتي عنابة في الصف الثاني بعد الجزائر ، والثالث بعد الدار البيضاء والجزائر فيما يخص حركة الموانيء المغربية ؛ أما بالنسبة للحركة في افريقيا فتقع عنابة قبل دكار .

ويصدر الميناء المنتوجات المعدنية (الحديد والفسفاط ، والمنتوجات الفلاحية والغابية والخمور والحبوب والمطحونات والحوامض والباكورات والتبغ والفلين والحلفة والقطن) . أما الواردات التي تحتل مكانة كبيرة فهي : الفحم الحجري والمحروقات ومواد البناء والمعادن المصنوعة .



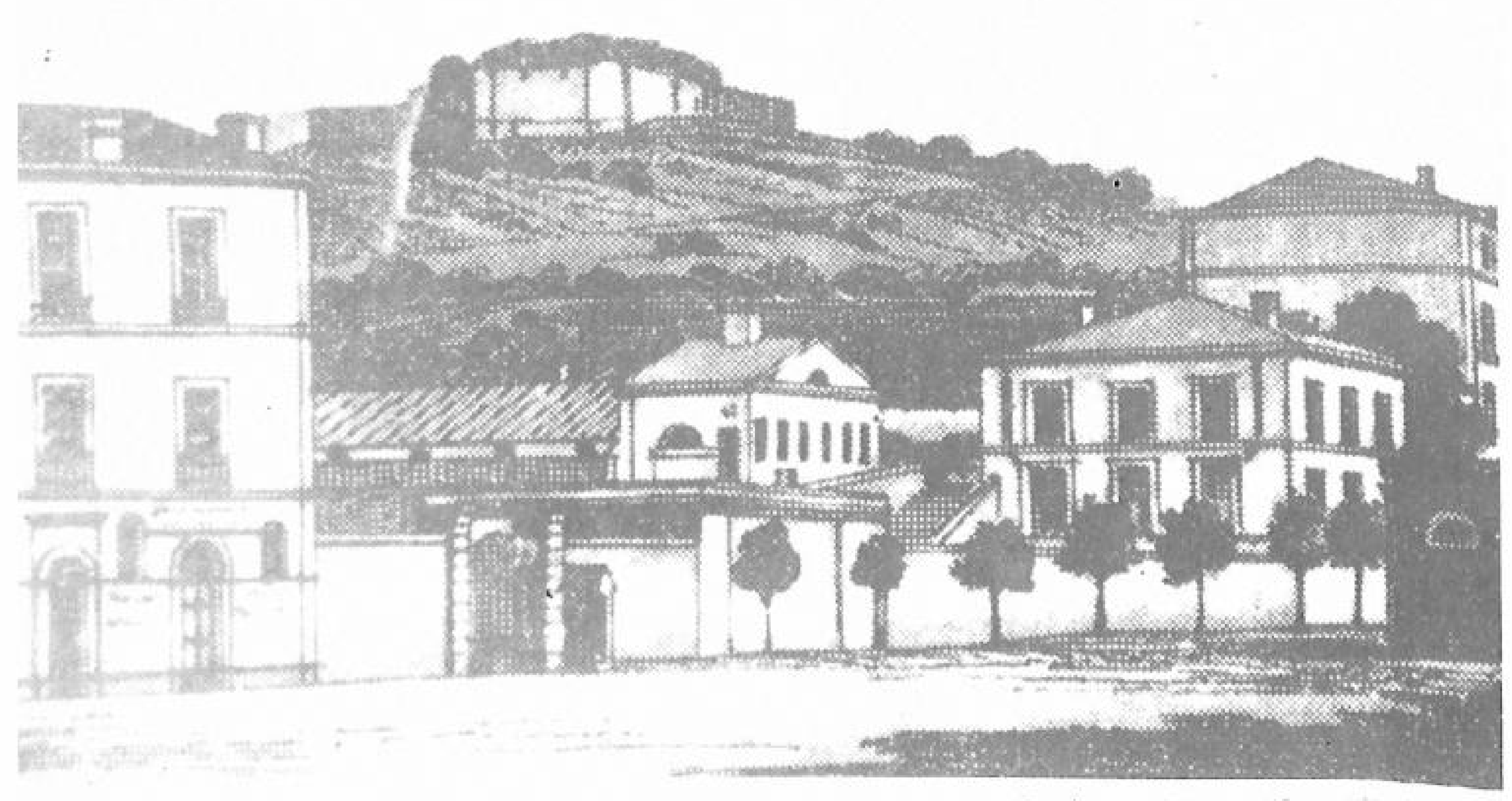


[illegible] أثناء النصف الأول من القرن العشرين

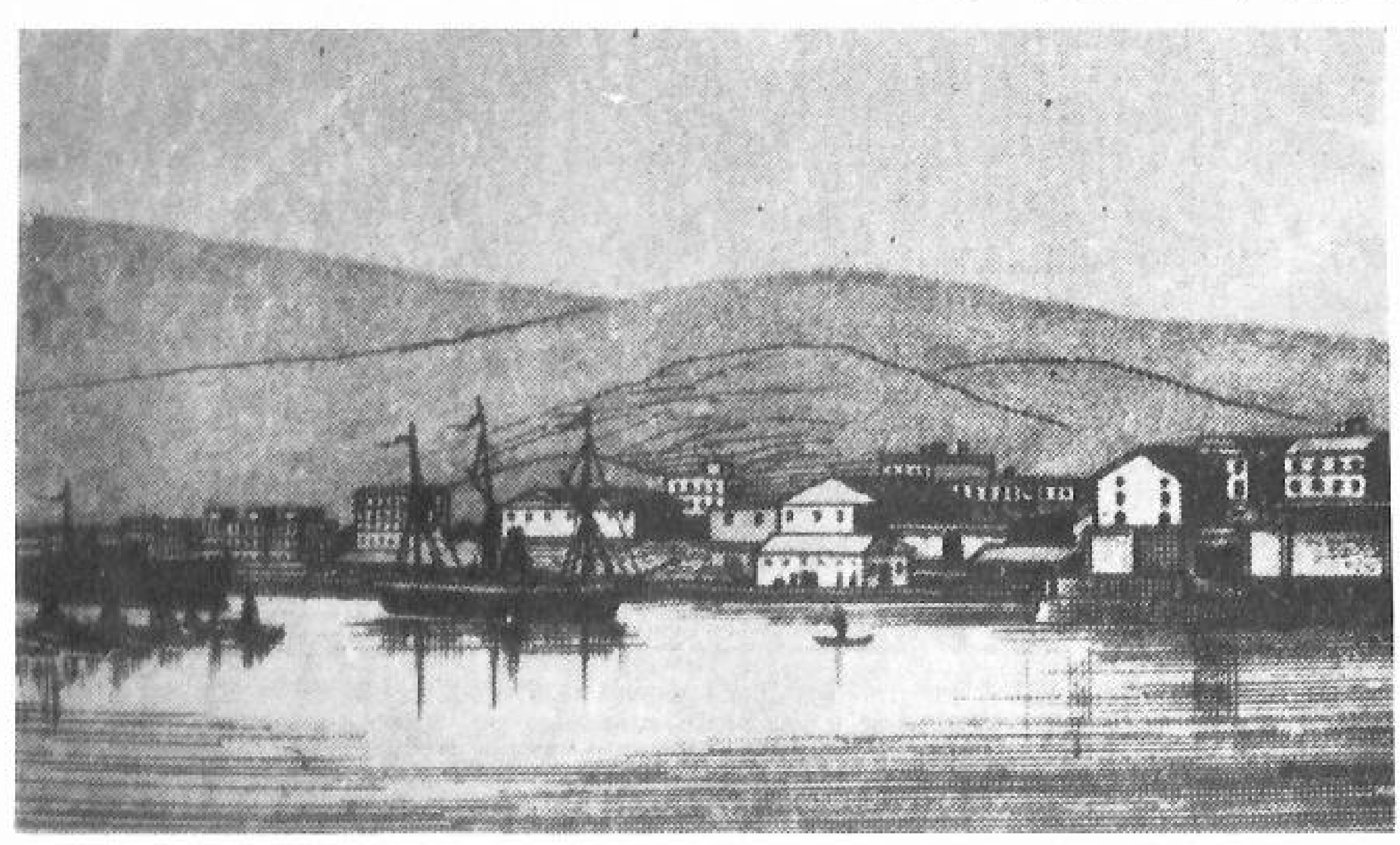
الهندسة المعمارية

عنابة من 1830 ، الى 1962

أدت الحرب من 1830 الى 1832 الى خراب المحيط القريب من عنابة ، فافسدت البساتين وتحطم جهاز الري ، وتموين المدينة بالماء ، وحولت المياه الى مستنقعات . وهجرت المدينة المحاصرة ، فلم يبق بها الا 1500 شخصا على الأكثر . وكان اهتمام الجيش الفرنسي الذي انتصب بعنابة ، التي سميت **بون** ، هو تنظيم المدينة حسب احتياجاته .



لقصبة ، في الأعلى ، وثكنة (هدمت اليوم) من القرن التاسع عشر



[illegible] 1840

مخطط سنة 1833 :

صودق على مخطط اصلاح حالة المدينة في شهرنوفمبر 1833 ، فوقع تحوير مخطط المدينة القديم . مع المحافظة عليها داخل أسوارها القديمة ، وأدى هذا الى تهديم المباني . وتصفيفها مع ما يرافق العملية من بتر في الأسلوب المعماري والجمالي . ورافق هذا التحوير تسمية الشوارع باعطائها اسماء الشخصيات . والسفن الحربية التي ساهمت في احتلال المدينة . وخضعت الاحياء الجانبية من المدينة ، خاصة لتغيير جذري ، بدأ بتهديم المساكن والمباني (مثل بيعة اليهود) التي تساير او تتكيء على السور.

وخضعت المساجد أيضا لهجوم النظام الاسكاني الاستعماري . فلم ينج سالما من مجموع مساجد المدينة الا مسجد صالح باي ، بيد أن واجهته وقع بناؤها من جديد سنة 1853 اذ أقيم بالواجهة رواق ينسجم مع الاروقة المقامة على الجوانب الثلاث من الساحة ، التي نظمت وسط «المدينة القديمة» وسميت الساحة «ساحة الاسلحة» (ساحة 19 أوت حاليا) .

وحول مسجد أبي مروان الى مستشفى عسكري حتى سنة 1945 ، حيث عاد الى الدين الاسلامي .

وحول مسجد الرمانات الى حانة أولا ، ثم هدم سنة 1882 وحل مكانه محكمة أصبحت فيما بعد مجلس القاضي الإسلامي ثم مكتبة بلدية صغيرة .

مخطط عنابة حوالي 1840



التوسع خارج السور :

ولكن سرعان ما توسعت المدينة خارج سورها القديم . فرسم مخطط معماري جديد يوم 24 أوت 1869 . وأحيطت المدينة بسور جديد (لم يبق منه اليوم الابقايا خاصة امام سينما افريقيا ، بموضع دار الثقافة ، وبالقرب من السجن ، حول قلعة القصبة).

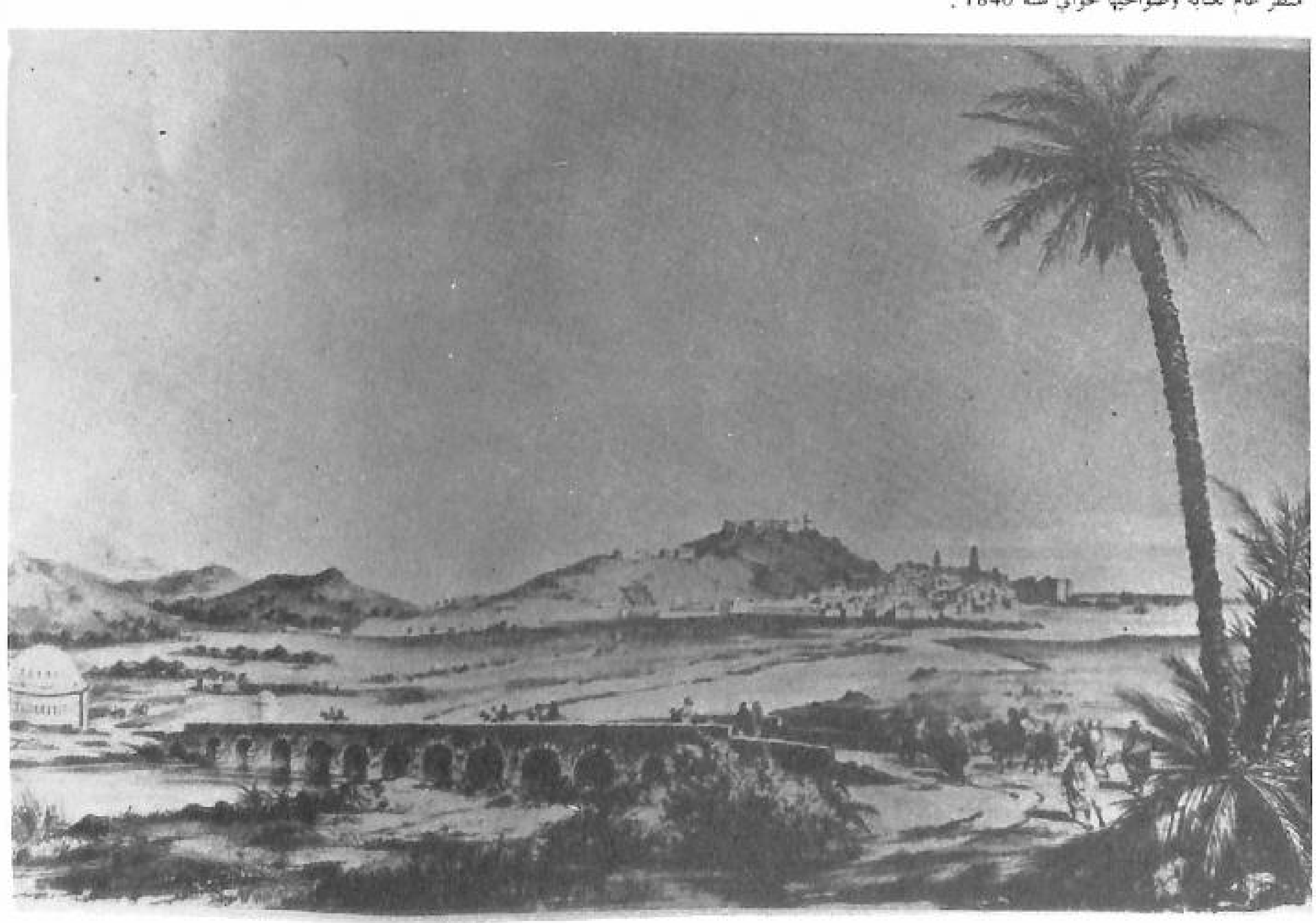
وتقع أجزاء هذا المخطط المعماري الجديد اليوم بين ساحة الثورة ، وممر 17 أكتوبر وشارع الزعفرانية ، وأرصفة الميناء .

وشرع بناء العمارات الاولى وتحرير الساحة منذ 1843 . فشيدت الكنيسة ، في أعالي الساحة بين 1847 و 1850 . وأنشأ معهد التعليم سنة 1851 ، ثم حول أثناء القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، واستقر نهائيا في سنة 1937 (وهو مبنى ثانوية القديس اغشتين) . وشيد للاناث معهد البنات ابتداء من 1907 (وهو مبنى ثانوية ماري كوري الحالية) . وشرع في بناء المستشفى المدني في ماي 1869 ودشن اول مسرح في أفريل 1854 وقد هدم فيما بعد وأعيد بناؤه .

وشيد مكان السوق الاسبوعي القديم سوق جديد سمي « السوق العربي » أي الرحبة ، أما سوق المواشي فأقيم اولا بموضع محطة السكة الحديدية الحالية ، ثم بموضع آثار بونة العتيقة . وأتخذ سنة 1860 قرار بناء سوق مسقف . وفي سنة 1885 أعيد تحوير الرحبة وأصبحت تسمى « الفندق » .

ووقع اتمام الساحة في أواخر القرن التاسع عشر ببناء دار البلدية (1884 _ 1888) والمحكمة .

منظر عام لعنابة وضواحيها حوالي سنة 1840 .



أما عمليات التحوير التي تهدف الى ربط القلعة بالمدينة ، فبدأت ببناء طريق الى المدينة وهذا ابتداء من 1843 . ثم للوصول الى طريق الطنف عن طريق الميناء ، خرق منحدر الاولياء ابتداء من 1889 ، وهذا ما أدى الى بناء القنطرة المعلقة واستمرار عملية إقامة أرصفة المرسى وانتهى تنظيم بناء الميناء حوالي 1911 قبيل الحرب العالمية الاولى . ولم يفتأ النقل الحديدي يميز عنابة منذ 1681 ، لأنه اداة هامة في إعانة النشاط البحري ، فوقع توسيع المحطة التي ينتهي إليها خط «بون ــ قالمة» سنة 1879 .

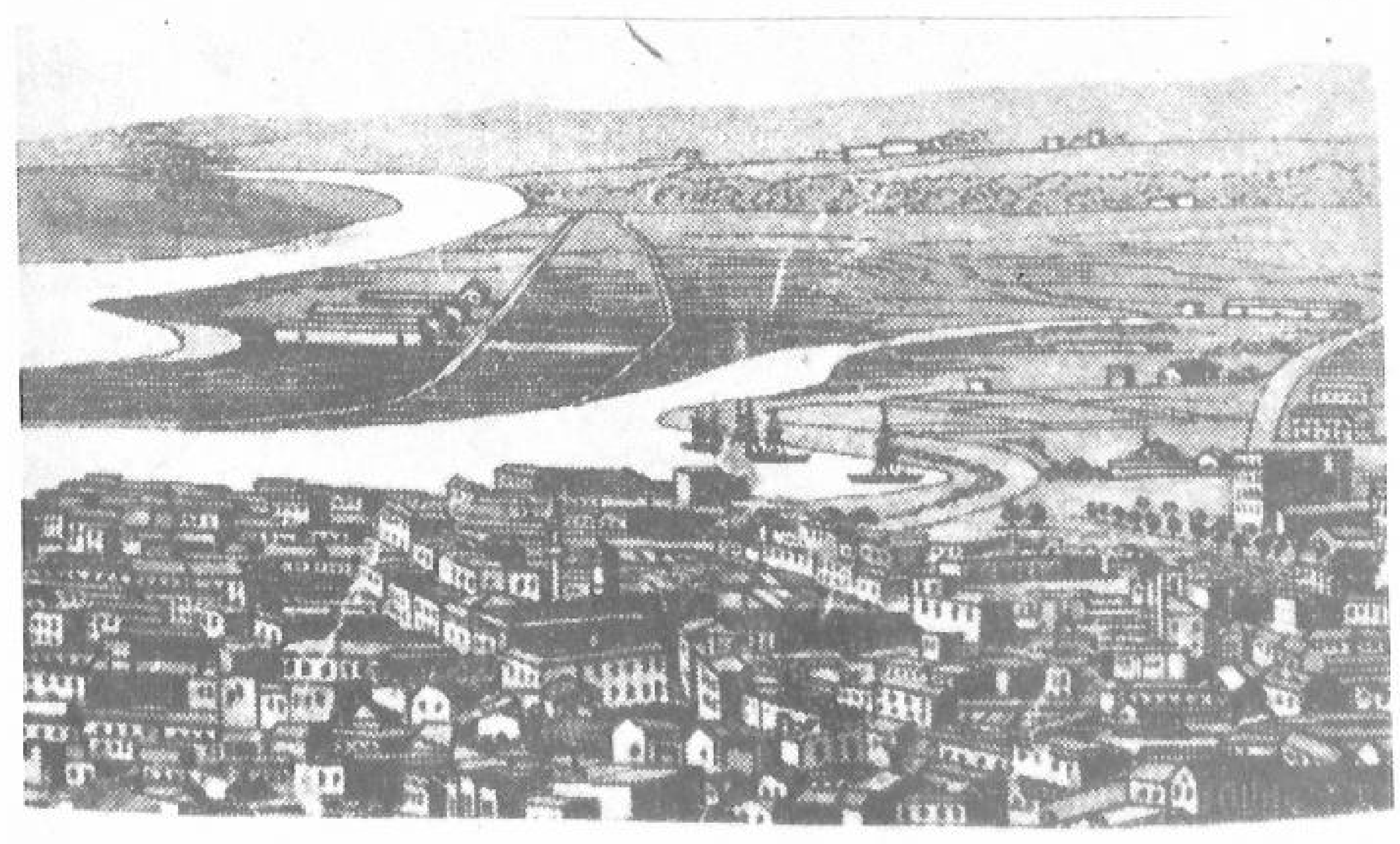
وشاهدت بداية القرن العشرين تشييد القصر القنصلي سنة 1909 . فأصبح مقر الحجرة التجارية والمحافظة المركزية للشرطة وقضاة السلام .

وادخلت على تموين المدينة بالماء تحويلات ، فأعيد ترميم القناة التي توصل الماء من وادي فرشة ابتداء من سنة 1832 ، ويصل الماء الى قصر ماء ، عن طريق تل الاولياء ، وكان القصر موجودا بموقع نهج الاخوان جعطوط حاليا . وأضيفت قناة أخرى سنة 1862 نازلة من الادوغ منطقة من عين الامير ، ثم من جبل بوزيان ، وتوسعت شبكة توزيع الماء بين 1887 و1894 . ؟ ويأتي الماء من الشرق للتموين من ابي قلاس وابي رديم (على مسافة 60 كم من عنابة) وينصب في صهاريج الامبراطور هادريانوس (ببونة العتيقة) .

مكانة الاهالي في هذا الاسكان :

ويعود النفع أساسا الى المعمرين في تنظيم الاسكان أثناء هذه الفترة ، فأقام الاهالي في البداية ، «بالمدينة القديمة» من جهة او بالوضع الحالي للمركز الصحي ، ودار الثقافة ، وعندما توسع السور سنة 1868 ليمر بهذا الموضع أجبر السكان الاهالي الى التنقل للاقامة بحي بني محافر ، وهو التل الذي يوجد على الضفة اليمينية لوادي قبة على الطريق الغربية نحو الادوغ .

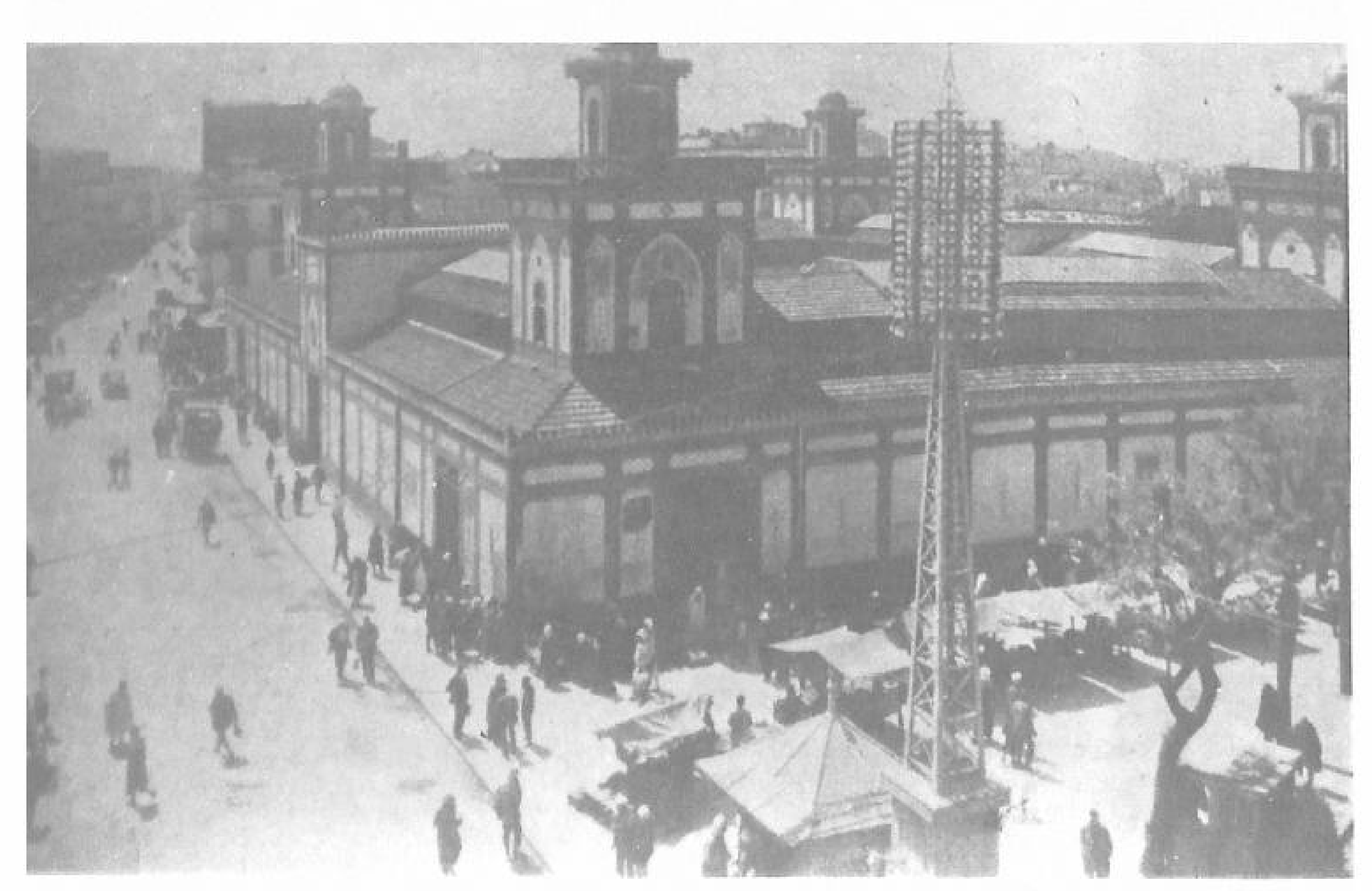
المرسى والمدينة سنة 1835 .



Le port et la ville en 1835.



دار البلدية في مطلع هذا القرن .

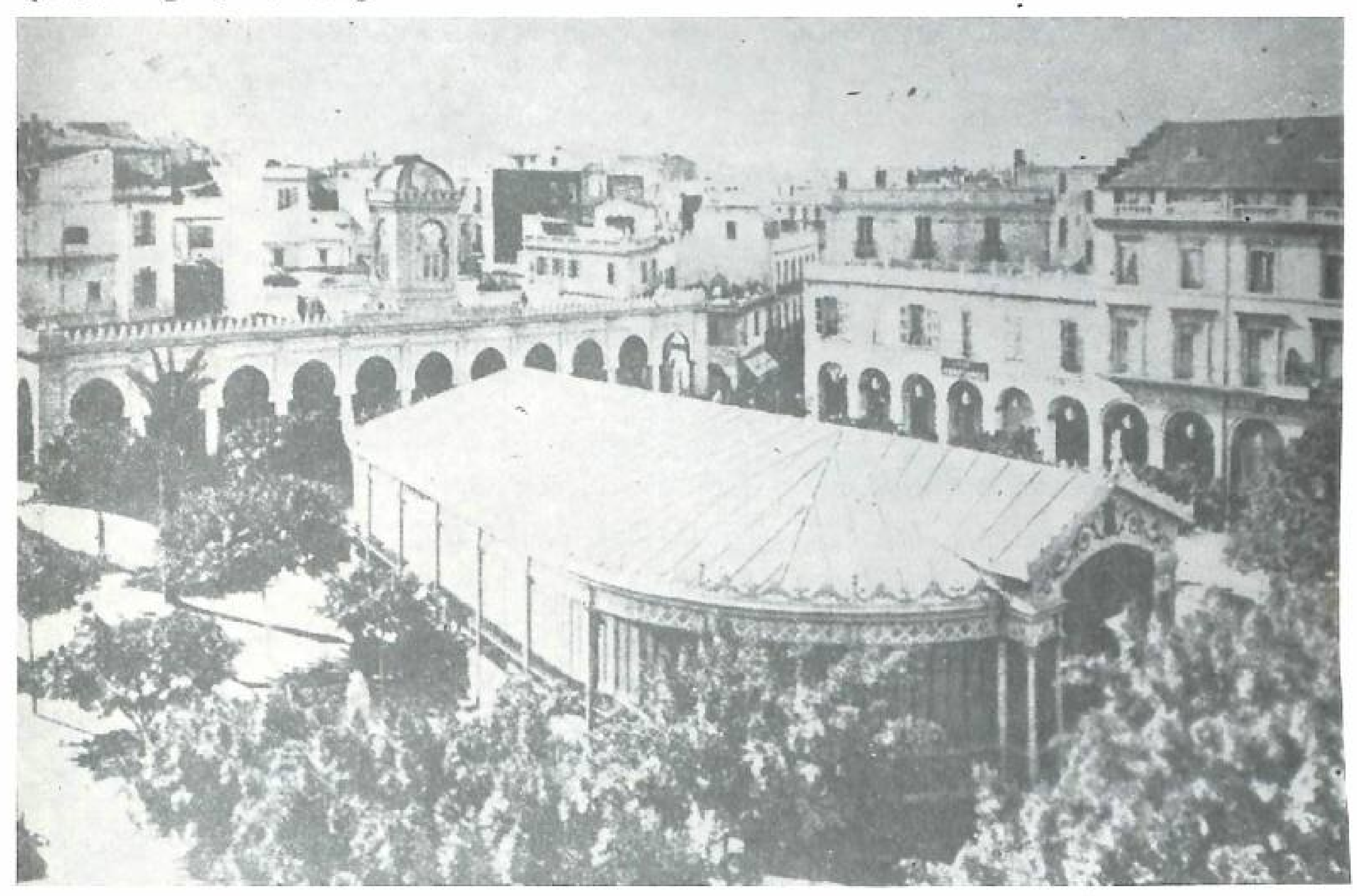


السوق القديم الذي وقع هدمه في أوائل هذا القرن

وفي القرن العشرين كانت «الاحياء العربية» اضافة الى «المدينة القديمة» هي **حي سيدي ابراهيم** (اوراس سابقا ، حي غابة البرتقال **وحي المحافر** (بني غماس) .

والبناية الدينية الوحيدة التي **شيدت** في هذا العهد في الاحياء الجديدة هو مسجد حي المحافر . الذي بني بفضل اكتتاب أهل المدينة .

ساحة السلاح وسوق الحوت الذي أصبح قاعة عرض سينمائي .



جزء من سور القرن التاسع عشر / م .

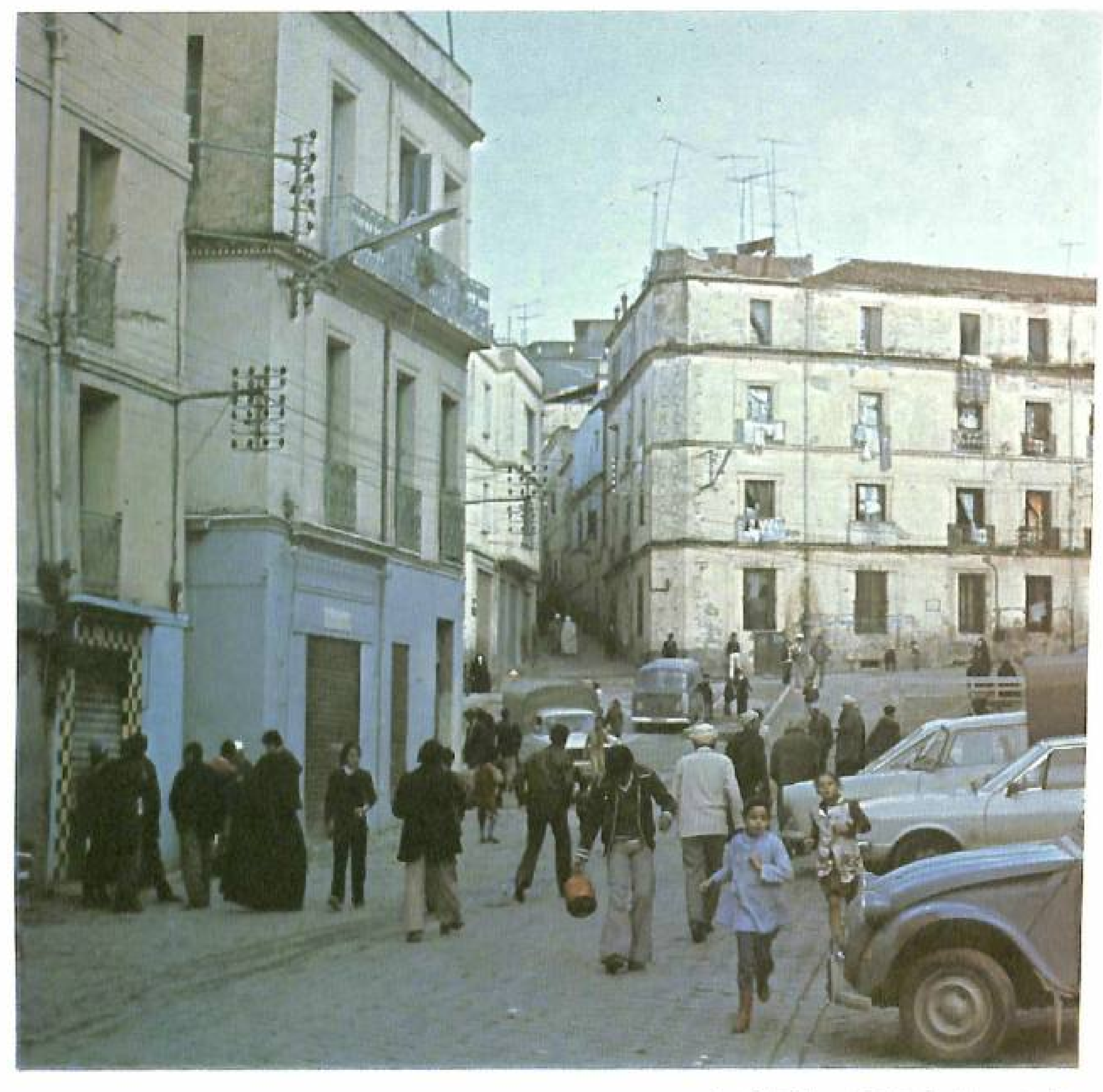




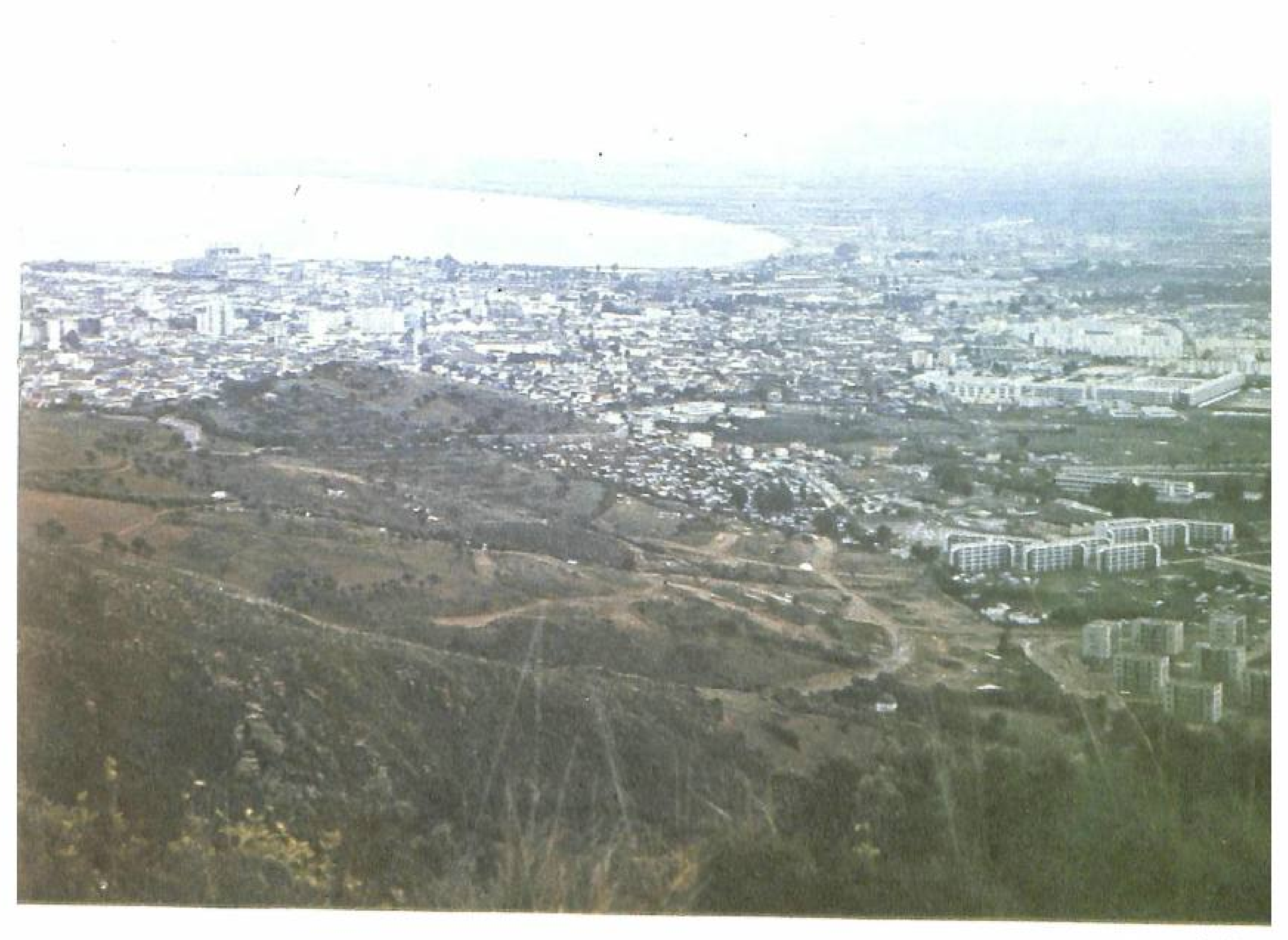
منظر للمدينة القديمة والخليج من تل القصبة

مشاركة عنابة في معركة التحرير الوطني

لم ترضخ عنابة ، كما رأينا ، للاحتلال الاستعماري بدون مقاومة فكانت « **القمونة العنابية** » لسنة 1830 ، والتي نشطها أعيان المدينة قوة مساعدة في المعركة ضد الحملة الاستعمارية . وتتابعت الثورات لمدة تزيد على الثلاثين سنة ، وكان من أبطالها الحسناوي ، وزغدود ، وأحمد بن شعيب ، وابن العربي .



زقاق منعرج بالمدينة القديمة (حي العقبة القديم)



المدينة ومصب وادي سيبوس

المعطيات الاجتماعية الجديدة :

زاد العدوان الاستعماري في جميع مظاهره من سرعة تطور المجتمع الجزائري . فقد أدى تشتيت اطارات المجتمع التقليدية الى نتائج عديدة .

قلصت سياسة الحجز المسلطة على التراث العقاري التابع لنظام العرش ، من المساحة الفلاحية للجزائريين الذين فقدوا اراضيهم ، وتوجهوا نحو الشغل اليومي على اراضي المعمرين ، أو فضلوا الاتجاه نحو المدينة ، وفي كلتي الحالتين تكونو شبه بروليتاريا مستغلة اقتصاديا ، ومقهورة سياسيا . وحتى الملاك الصغير كان هو الآخر يقاسي نفس الاستغلال ونفس القهر ، وفرض واقع اجتماعي جديد نفسه ، وهو : ان الجزائر المسلمة كوحدة ، تجابه المجموعة السياسية الاستعمارية .

للعمل السياسي المضاد للاستعمار :

وتولد الوعي السياسي انطلاقا من هذا التطور وتشارك عنابة بقسطها عندما تبلور العمل المضاد للاستعمار عند بداية القرن العشرين . وتمثل **جمعية الصادقية** «حركة» الشاب الجزائري ، وانشأت جمعيات للعمل من أجل التقدم الثقافي منها **المزهر البوني** .

العمـل الوطني :

ولما أخذت مختلف تيارات الحركة الوطنية انطلاقتها في «الثلاثينيات» وتعززت غداة الحرب العالمية الثانية ، ساهمت عنابة بمناضلين في التشكيلات الرئيسية التي تمثل الوطنية والاصلاح . وهي حسب أهميتها حزب الشعب الجزائري ، أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، واقتسمت هذه الحركات مختلف الطبقات الاجتماعية بعنابة . واذا كانت الحركة الأولى تشمل أساسا ممثل الطبقة المتوسطة والعمال ، فالحركتان الثانيتان ينخرط فيهما أعضاء من الطبقات الجزائرية الأكثر ثراء أو الأكثر ثقافة .

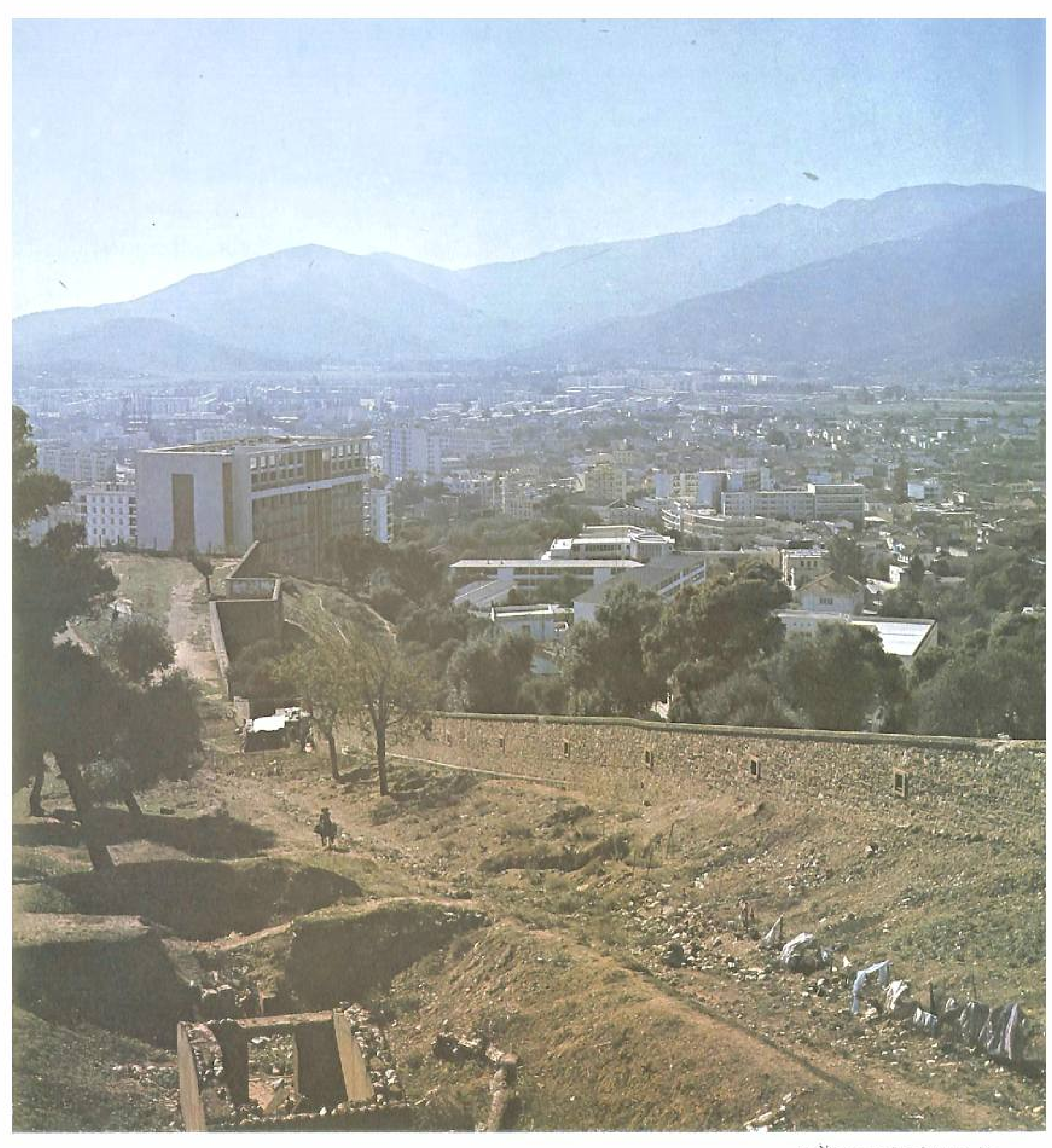
وجعلت أهمية عنابة في تنظيم حزب الشعب ان أصبحت المدينة **مقرا لدائرة** الحزب تتبعها مناطق القالة وقالمة وسوق أهراس وتبسة وكانت بعنابة آنذاك **قسمة** تشرف على فروع ينقسم كل منها الى **افواج** .

وشاركت عنابة عمليا في الكفاح السياسي وأثناء الاضراب الذي شرع فيه في ماي 1952 أضرب عمال عديدون من مختلف المؤسسات وعمال المرسى . وغلق التجار دكاكينهم ...» وعند عملية الانتخابات الجهوية في أكتوبر 1951 ، لم يصوت من 5.581 مسجلا جزائريا سوى 814 فبلغت نسبة الامتناع 86 بالمائة وعرف سجن عنابة عملية هروب مشهورة قام بها عديد من مناضلي المنظمة السرية ، وكان منهم بطل الحرب التحريرية الشهيد زيغود يوسف .

حـرب التحـريـر

كانت المدينة مستعدة يوم غرة نوفمبر 1954 للمساهمة في المعركة التحريرية . وفي إطار تقسيم البلاد الى ولايات ، كانت عنابة جزءا من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) وتنتمي الى **المنطقة الرابعة** الناحية الاولى ، التي تمتد من الادوغ الى حدود القاعدة الشرقية ولم تكن حتى سنة 1959 سوى ناحية واحدة تضم قسمين . ولكن ، ابتداء من سنة 1960 صارت عنابة مقسمة الى ثلاثة نواحي .

وكان العمل في جميع المستويات ، من 1954 الى 1962 ، سياسي وعسكري ويحدد مشاركة عنابة في حرب التحرير حدثان هامان :



منظر عام لمدينة عنابة عند سفح الادوغ

معركـة 24 جـوان 1959 :

دارت المعركة بين جمع من الكومندوس يتكون من 90 مجاهد . تحت قيادة الشهيد **حيذوش** ، بناحية سيدي سالم (على بعد 7 كم شرقي المدينة) والجيش الفرنسي . **واستعمل الجيش** الاستعماري جميع الوسائل : آلاف الجنود والاسلحة الثقيلة والطيران .

ولكن المعركة التي بدأت على السادسة صباحا ، يوم الاربعاء 24 جوان ، والتي دامت يوما كاملا وكانت هزيمة سياسية للاستعماريين .

أيـــام ديسمبـــر 1960 :

وهو الحدث الشهير الثاني ، لأن رمز التحام الشعب باكمله وهذا وصف الصحافيين الفرنسيين لهذه الأيام :

الأحد 11 ديسمبر 1960 :

«حوالي الساعة الواحدة والربع بعد الزوال تكونت مجموعات من خمسين او مائة متظاهرا يحملون علم جبهة التحرير الوطني ويهتفون بشعارات «الجزائر الجزائرية» «والجزائر المسلمة» بالأحياء الجانبية (حي اوزاس ، حي البرتقال ، وأسفل حي بني غماس) وبالمدينة القديمة أيضا بشارع بابي .

ساحة 19 أوت (ساحة السلاح سابقا) .



وعندما حاولوا الاتجاه نحو بني غماس اعترض سبيلهم جنود اللفيف الأجنبي ، واطلقوا النار صوب الأرض ففر المتظاهرون ، ولكن البعض منهم أصيب بجراح خفيفة من جراء تطاير العيارات من الأرض .

والتقت سيارة الشرطة ، بحي البرتقال (نهج ميرابو) حوالي الساعة الثانية بعد الزوال ، بشابين مسلمين يركبان دراجة ساكوتر ، ويحملان شعار جبهة التحرير الوطني .

وكان الاضراب عاما في المدينة على الساعة الثانية والنصف ووقف الاوروبيون بساحة بريطانيا ، الشارع الرئيسي للمدينة يعلقون على الاحداث (...)

وتدخل جنود اللفيف الاجنبي أيضا في حي اوزاس ضد المتظاهرين المسلمين الذين قتل منهم البعض آخرون (...) وكان عدد القتلى أربعة والجرحى حوالي عشرة . »

(ابول اباللدو ، «لوموند» يوم 1960/12/15)

«رافق جمع من 2,000 شخصا كلهم مسلمون ، نعوش ثلاثة من بينهم قتلوا أثناء حوادث أمس البارحة ، ودار الجزء الاول من الدفينة بدون حوادث ولكن بعد الدفن وبينما كان الناس ينصرفون في تؤدة ، حلت سيارة يركبها خمسة أشخاص منهم امرأة ونشر ركاب السيارة أعلاما خضراء وبنود جبهة التحرير الوطني . فاوقفت السيارة من طرف سيارة الشرطة ، والقي القبض فورا على ركابها وصودرت الاعلام وبعد لحظات من هذا الحدث وقعت مشادة بين المتظاهرين وقوات الأمن» .

(لا بريس يوم 14 ـ 12 ـ 60 ووكالة الانباء الفرنسية)

الاثنين 12 ديسمبر

«وقعت أمس بعد الظهر حوادث خطيرة ببون ، آخر مرحلة من سفرة الجنرال دي غول ، وأطلق أثناءها النار جنود اللفيف الاجنبي ومصالح الأمن . وحسب وكالة الانباء الفرنسية خلفت الطلقات سبعة قتلى منهم ثلاث نساء وطفلين ، وعددا غير معين من الجرحى بين المسلمين ، وقتيلين و15 جريحا من بين الاوروبيين .

وفي بداية الظهيرة ، بنهج سادي كارنو ، وقع تفريق جمع من الجزائريين يحمل علما أخضر من طرف الشرطة ، وتم ايقاف خمسة عشر شخصا . وكانت هذه المظاهرة الاولى من نوعها من مجموعة مظاهرات .

انطلقت في الواقع ابتداء من حوالي الواحدة والنصف بعد الزوال في جميع الاحياء الجانبية من بون ، وفيها اتجه في كل مكان جماعات من المسلمين ، تكثر ، أو تقل ، نحو قلب المدينة ، ويرفع البعض منهم علم جبهة التحرير الوطني . وعلى الساعة الثانية ، بنهج جوم ، في كولون زاندن ، اصطدم اللفيف الاجنبي بجمع هام واستعملوا اسلحتهم .

وعلى الساعة الرابعة والنصف بعد الزوال بحي اوزاس استعملت قوات الامن 3/4 أسلحتها أثناء مظاهرة مسلمة عنيفة . فقتل ثلاثة مسلمين وجرح اثنان .

وقد وقعت أثناء الصبيحة ، بساحة الاسلحة في المدينة القديمة ، مظاهرة نظمها المسلمون . وكانت تقود المتظاهرين النساء ، وبعضهن يحملن العلم الاخضر . »

(لبيرسيون ، يوم 1960/12/14)

الساعه الرابعة والنصف بعد الزوال :

« في حي اوزاس ، وأثناء مظاهرة عنيفة نظمها المسلمون استعملت مصالح الأمن ثانية أسلحتها . فقتل ثلاثة مسلمين وجرح قرابة الخمسة عشرة وقد مات أربعة منهم من جراحهم ، ومن بين الأموات المسلمين ثلاث نساء وطفلان يبلغان من العمر ثلاث عشر الى أربع عشر سنة . »

(الفيغارو ، ليوم 1960/12/14)



الخاتمة

ان عنابة الفخورة بماضيها تعمل منذ 1962 ، في جزائر مستقلة ، على ربط ماضيها بالحاضر والمستقبل .

وان عنابة المدينة التي تحتوي على أكثر من 300,000 ساكنا لتفتخر بشبابها والطاقة النابعة منهم .

فهي العاصمة الصناعية للشرق الجزائري ، وستمكن آفاق الفلاحة من اقتصاد مدمج بفضل السهول وبفضل أحياء مواردها المائية .

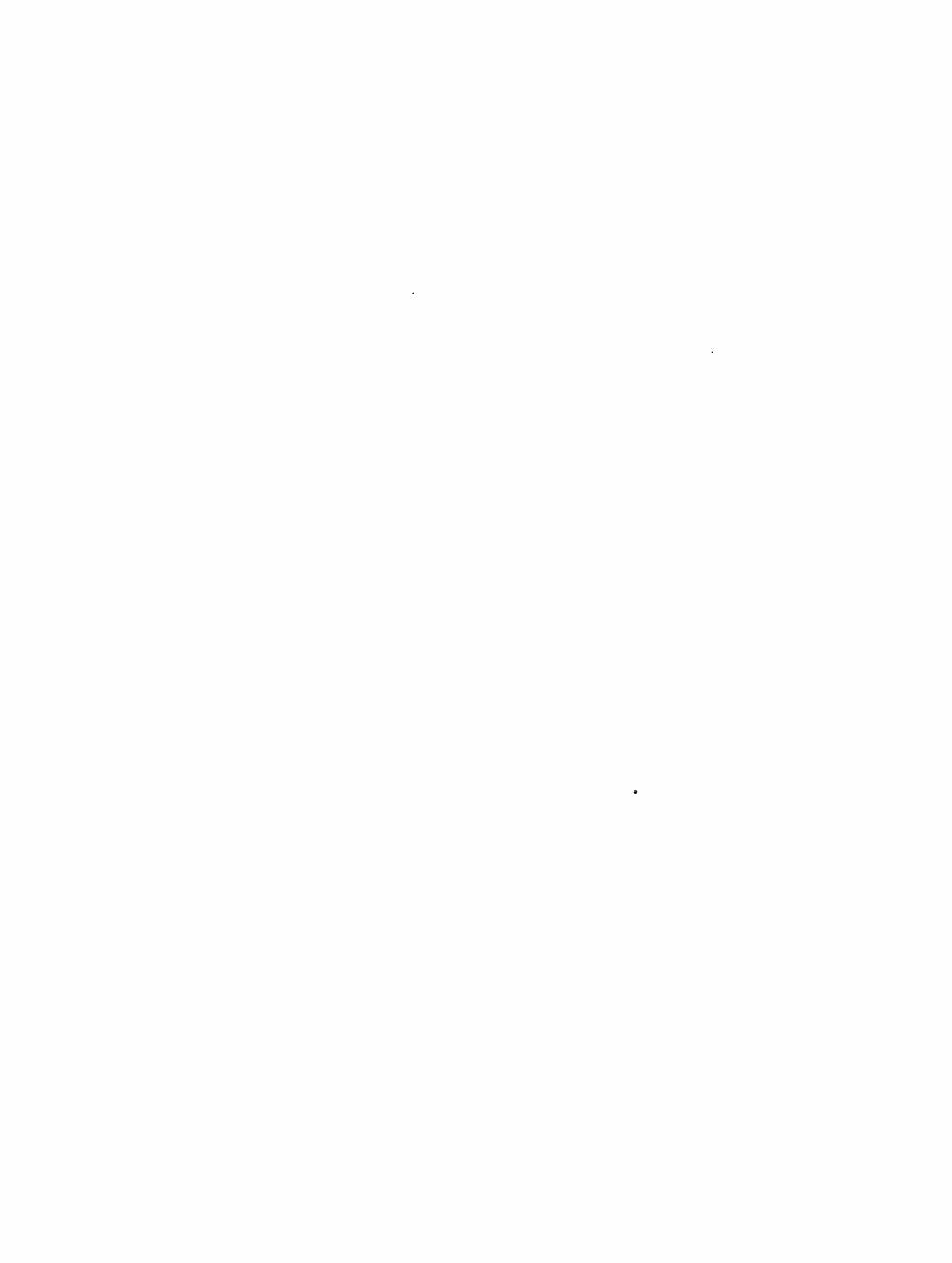
وهي مدينة تتعزز فيها الموارد الفكرية ، اذ توجت جميع مراحل الأداة التعليمية بفتح جامعة .

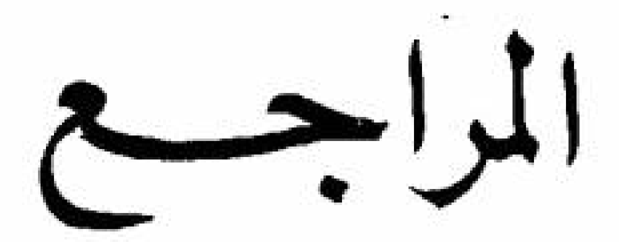
واخيرا للجهة مناظر طبيعية متنوعة تقدم فيها الجبال المشجرة ، والطنف والشواطيء ذات الرمل الفضي ، امكانات عديدة للراحة والاستحمام

منظر من نهج الثورة



الجامعة





OUVRAGES GENERAUX :

JULIEN (Ch-A.). — *Histoire de l'Afrique du Nord*, Payot.

GSELL (St.). — *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord.*

GSELL (St.). — *Atlas archéologique de l'Algérie*, Feuille de Annaba. N° 9.

JOLEAUD (L.). — *Etude géologique de la région de Bône et de La Calle*, Alger, 1936.

SOURCES HISTORICO-GEOGRAPHIQUES :

AL-ABDARI. — *Al-Rihla al-Maghribiya* (version originale), éd. critique de Bendjeddou A. (Alger, s.d.).

AL-BAKRI. — *Description de l'Afrique septentrionale.*

IBN HAQAL : *Surat al-Ardh* (description de la terre), version originale.

LEON L'AFRICAIN (J.). — *Description de l'Afrique* (éd. Epaulard et autres).

MARMOL. — *Description de l'Afrique.*

ANONYME (Traduction FAGNAN). — *L'Afrique septentrionale au XII^e siècle de notre ère.* (Recueils de Constantine, 1909).

DIVERS :

ARNAUD (L.). — *Bône, son histoire, ses histoires* (Constantine, s.d.).

CAMPS (G.). — *Massinissa*, in Libyca, archéologie, épigraphie t. VIII 1^er semestre 1960.

BOUROUIBA (R.). — *L'art religieux musulman en Algérie*, S.N.E.D. 1972.

DAHMANI (S.). — *Hippo Regius*, M.I.C. Alger, 1973.

MAITROT. — *Bône militaire*, Bône, 1912.

MOREL (J.). — *Contribution à la connaissance de la préhistoire du cap de Garde*, in Bulletin de l'Académie d'Hippone, n° 38, p. 107.

AL-NUMAN. — *Iftitah al-Dawa* (version originale), éd. Dachraoui F., Tunis, 1975.

AL-ZUBAYRI (M.-L.). — *Mémoires de Ahmed Bey et autres* (version originale). S.N.E.D. Alger, 1972.

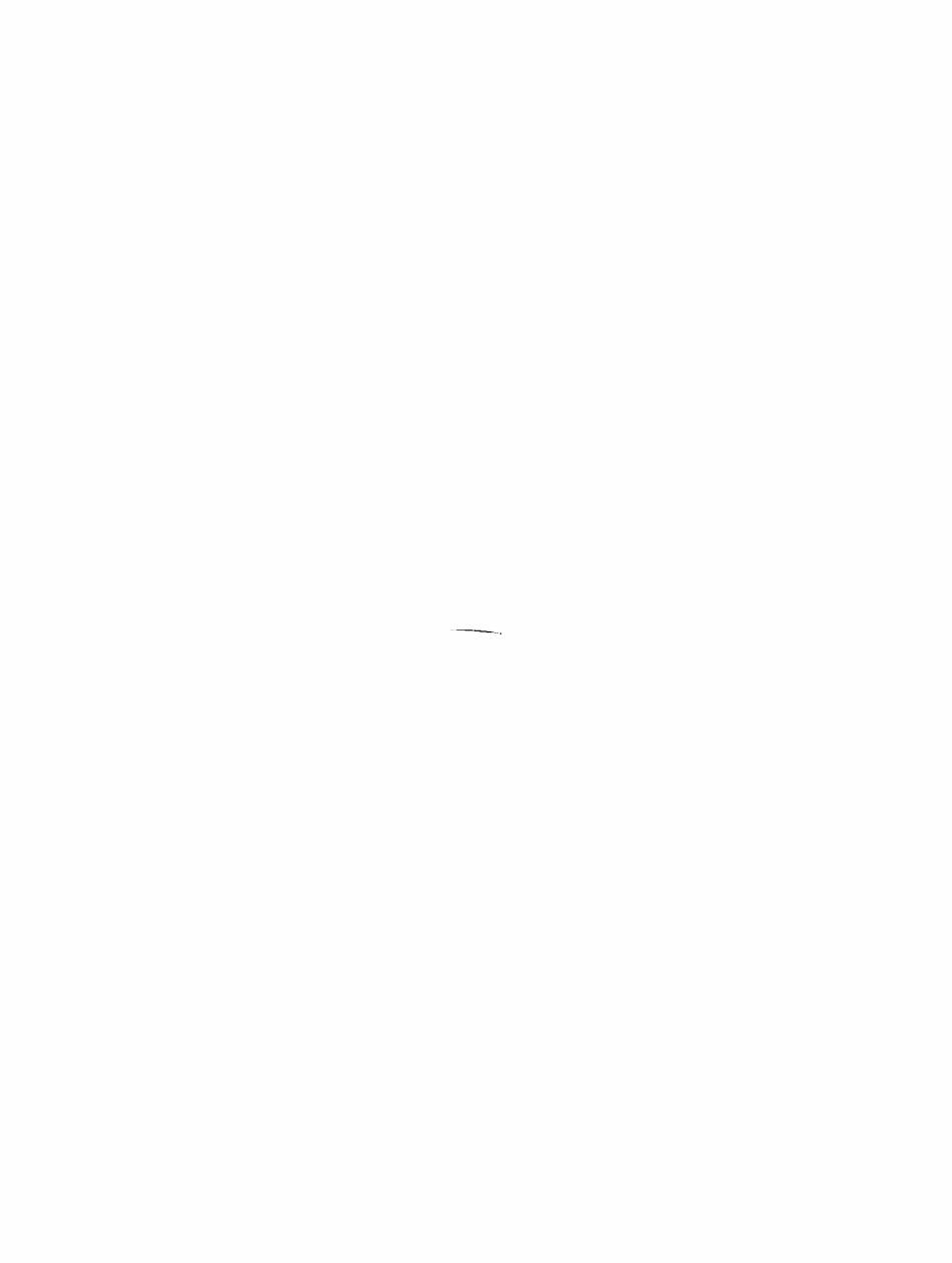
COLLECTIONS DE REVUES ET DE JOURNAUX :

REVUE AFRICAINE.

BULLETIN DE L'ACADEMIE D'HIPPONE.

EL MOUDJAHID (1957-1962).

AL-AÇALA, N° 34 35, consacré à l'histoire de Annaba (juillet août 1976).



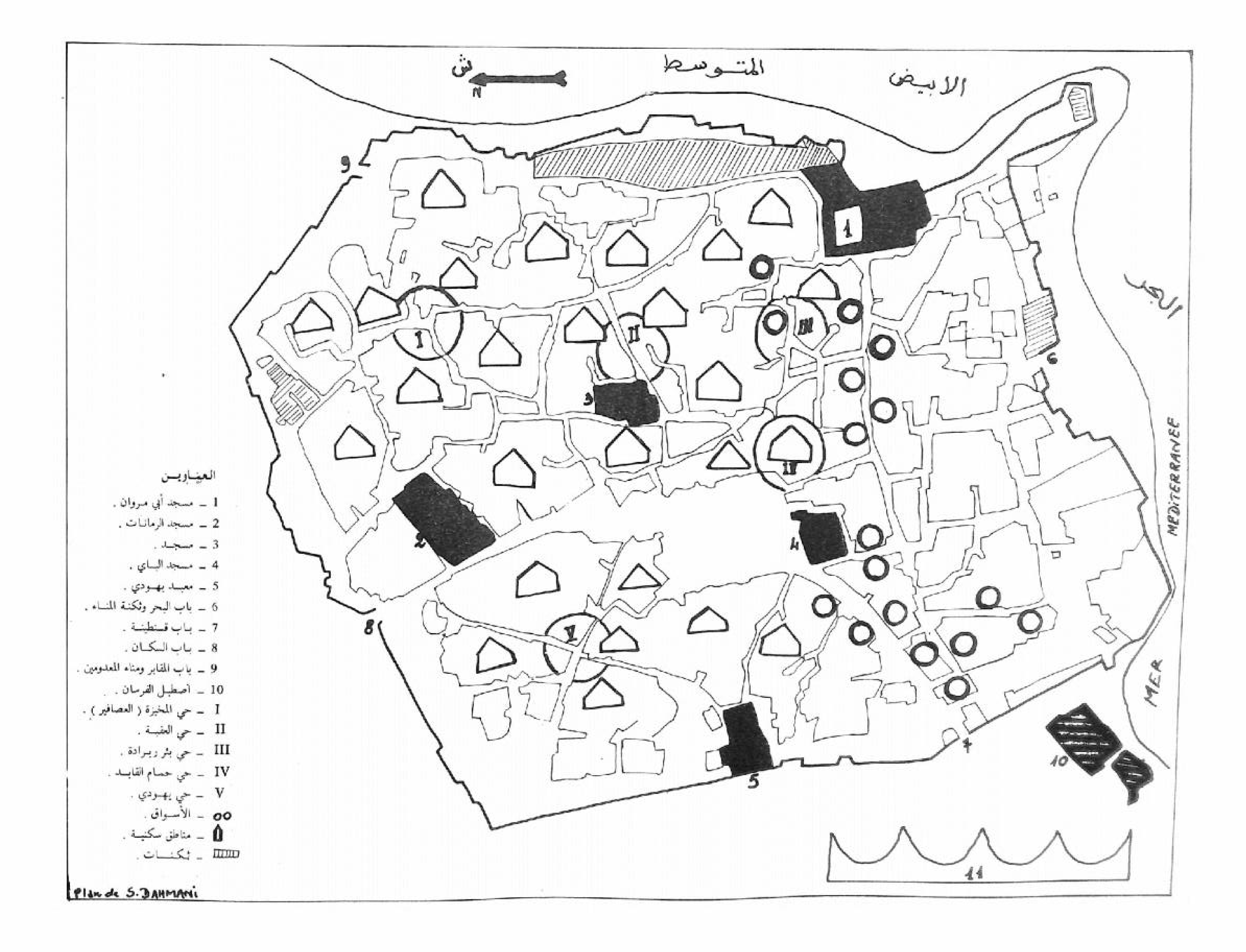
الفهرس

عناوين سلسلة فن وثقافة

- المساجد في الجزائر (نفذ)
- الفن المعماري (نفذ)
- بجاية (نفذ)
- تلمسان (نفذ)
- متاحف الجزائر : صور من الماضي (نفذ)
- متاحف الجزائر : الفن الجزائري الشعبي والمعاصر (نفذ)
- الأمير عبد القادر (نفذ)
- الجزائر (نفذ)
- قصبة الجزائر « علي مروك » (نفذ)
- عبد المؤمن « رشيد بورويبة » (نفذ)
- المجوهرات والحلي في الجزائر « فريدة بن ونيش » (نفذ)
- المدن القديمة في الجزائر « منير بوشناقي » (نفذ)
- قسنطينة « رشيد بورويبة » (نفذ)

مدن مندثرة « رشيد بورويبة » (نفذ)

- وهران « رشيد بورويبة »
- عنابة « سعيد دحماني »



الابيض المتـوسـط
ش
N
البحر
MER MEDITERRANEE
العنـاويـن
1 ـ مسجد أبي مروان .
2 ـ مسجد الرمانات .
3 ـ مسجـد .
4 ـ مسجد البـاي .
5 ـ معبـد يهـودي .
6 ـ باب البحر وثكنة المنـاء .
7 ـ بـاب قسنطينـة .
8 ـ بـاب السكـان .
9 ـ باب المقابر ومناء المعدومين .
10 ـ أصطبـل الفرسان .
I ـ حي المخبزة (العصافير) .
II ـ حي العقبـة .
III ـ حي بئر زبرادة .
IV ـ حي حمام القايـد .
V ـ حي يهـودي .
ـ الأسـواق .
ـ مناطق سكنيـة .
ـ ثكنـات .
11
Plan de S. DAHMANI



هذه السلسلة «فن وثقافة» . تنشرها وزارة الإعلام ـ الجزائر .

ـ مديرية الوثائق والمنشورات
ـ النص : سعيد دحماني
ـ الصور : سعيد دحماني
ـ الماكيت : الوكالة الوطنية للنشر والإشهار (فريد بابا عيسي) الجزائر
ـ التوزيع : المديرية الفرعية للمنشورات . مجانا
ـ الطبع : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ رغاية (الجزائر) 1983